وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية
الجامعة المستنصرية

تاريخ علم الطب في العصر العباسي الأول

رسالة تقدم بها الطالب سعد عبد الحليم ذو النون الحيالي
وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي
مقدم إلى مجلس عمادة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية – الجامعة المستنصرية

بإشراف

الأستاذ الدكتور

محمد جاسم المشهداني

بغداد

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

فهرست المحتويات

المقدمة

تناولت موضوع ((تاريخ علم الطب في العصر العباسي الأول)) ، وهو من المواضيع المهمة ، وذلك لكون علم الطب أحد أهم العلوم العقلية ، والمرتبطة بحياة الإنسان وحفظ صحته وسلامته ، ولدراسة الجوانب التاريخية والكشف عن العمق الحضاري الذي أنجزه الأطباء العرب والمسلمين ، وما قدمته العقول العربية المسلمة وغير المسلمة على حد سواء للنهوض بالعلوم الطبية المختلفة ، فضلا عن أن تراثنا العربي الإسلامي قد زخر بالعلوم والإنجازات العلمية المتنوعة .

ومما لا شك فيه أن علم الطب من أوائل المعارف والعلوم التي عرفها أو مارسها الإنسان منذ القدم عن غريزة ورغبة منه في التخلص مما يعانيه من الألم ، فسعى ذلك الإنسان جاهدا للبحث عن كل ما يحفظ صحته وسلامته خوفا من الوقوع في هاوية المرض فتوصل إلى بعض العلاجات النافعة عن طريق الصدفة ، وتكرار التجربة حينا ، أو من خلال تقليد ما تفعله الحيوانات حينا آخر ، وامتزج الطب في تلك الأيام الغابرة بالدجل والشعوذة .

وتأثر الطب عند العرب قبل الإسلام بأمور الشعوذة والدجل ، ولكن من الإجحاف أن نقول بأن معارف العرب الطبية قبل الإسلام قد اقتصرت على تلك الممارسات ، بل كان لهم حظ وافر من المعرفة الطبية ، والتي على الرغم من كونها معرفة بسيطة غير أنها كانت متناسبة مع مستواهم الحضاري ، فاهتدوا إلى معارفهم بتجارب شخصية مستنبطة من وحي بيئتهم ، أو عن طريق اتصالاتهم مع جيرانهم من الأمم والأقوام ، ولم يكن الطب عندهم يعتمد على علم مدروس أو تجربة علمية منظمة ، إنما هو طب موروث يداوي بوصفات استعملها الآباء والأجداد ، وجل أطبائها من أصحاب الخبرة من كبار السن الذين كانوا عماد الطب حينئذ .

وما أن بعث الله برسول الرحمة والهداية مُحَّد بن عبد الله (ﷺ) بدين الإسلام حتى أحدث ثورة عظيمة في تاريخ البشرية جمعاء فهذب النفوس ورسخ المبادئ والقيم والأخلاق وصنع رجالا بعقيدة الإسلام ، وتأسست بفضله أرقى وأسمى حضارة عرفتها الإنسانية بفضل

تعاليم الإسلام السمحة ، والتي حثت على طلب العلم من المهد إلى اللحد ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة وأمرهم بالتضلع من منهله مهما كانت الظروف ، فحرم الإسلام كل أنواع الدجل والشعوذة والسحر ، ونهى عن استعمال التعاويذ والتمائم والأدعية الغريبة ، كما حرم طلب الكهنة والعرافين معتبرا إياه من الأمور الباطلة ، والتي لا تمت بأي صلة للعلم أو العقل .

وأمرهم عليه الصلاة والسلام بالتداوي وطلب العلاج عند الأطباء ، على أن لا يعالج هؤلاء الأطباء مرضاهم بأشياء محرمة أو سموم ، وأعطى عليه الصلاة والسلام النصائح والإرشادات الطبية في أحاديث نبوية شريفة ، جمعت فيما بعد وعرفت بالطب النبوي ، واستمر حال الطب في مساره الصحيح وتقدم في عهد الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين) وصولا إلى عصر الخلافة الأموية والتي فتحت عصرا جديدا من التطور والنهوض الطبي ، حيث قطع علم الطب شوطا طويلا في التطور وامتاز خلفاء بني أمية بأنهم أول من أدخل الأطباء الأجانب إلى قصورهم ومنازلهم وأشرفوا على علاج الخلفاء وأهليهم وخواصهم ، وبالغ خلفاء بني أمية في إكرام وتعظيم أطبائهم ، ويمكن اعتبار تلك الحقبة الزمنية هي حجر الأساس في مسار تطور علم الطب .

وقد واصل الخلفاء العباسيون اهتمامهم بالمسيرة العلمية والتراث الزاخر الذي وضع لبنته الأساسية من سبقهم ، ولا سيما ميدان الاهتمام بعلم الطب كعلم قائم بذاته ، في إطار النهضة العلمية الذائعة الصيت التي وصل إليها العصر العباسي آنذاك وهذا بحد ذاته قد خلف لدينا رغبة لدراسة الموضوع وتوضيح المجالات التي أبدع فيه أطباء ذلك العصر ، وابتكاراتهم العلمية والمستوى العلمي الراقي لهم ، في إطار الرعاية والاحتضان والدعم الذي تلقوه من خلفائهم ، إذ نجد أن الخلفاء كانوا مولعين بحقول متعددة من العلم والمعرفة فنجدهم فتحوا أبواب عاصمتهم الجديدة بغداد أمام العلماء والشعراء والأدباء والأطباء ، وأجزلوا لهم العطاء وأضفوا عليهم ضروب التشريف والتشجيع والرعاية ، بغض النظر إلى مللهم وعقائدهم وأجناسهم وألوانهم ، فعمل اليهودي والنصراني والمجوسي إلى جوار المسلم وبكل ثقة وأمان مما حدا بالكثير إلى شد الرحال إلى عاصمة الخلافة ومن مختلف الأمصار الإسلامية ، فأصبحت بغداد قبلة الدنيا بأسرها ، فترجمت الكتب الطبية والعلمية المختلفة من يونانية وفارسية

وهندية إلى لغة العرب والمسلمين ، وأضاف الأطباء العرب والمسلمين إلى ذاك التراث العلمي الشيء الكثير ونشروه بلغات عدة لينتفع منها الجميع ولعلمهم بحاجة الناس إلى مهنة الطب ، وذلك الأمر الذي جعل من الحضارة العربية الإسلامية ، حضارة إنسانية علمية شاملة متكاملة ، فأضاء الأطباء العرب والمسلمين سماء الدنيا بعلمهم وعلومهم وإنجازاتهم العظيمة .

وخلال كتابتي لهذا البحث واجهت بعض الصعوبات والمعوقات والتي كان لها تأثير واضح في إتمام هذا البحث وإنجازه ، فلا يخفى على أحد منا الوضع المأساوي الذي وصل إليه قطرنا العزيز من رزوخ تحت نير الاحتلال ، وتردي الأوضاع الأمنية وما صاحبها من تخريب وتدمير في كافة النواحي والمجالات ، إذ لم يسلم منها دار عبادة أو مكتبة أو دائرة حكومية ، مما أدى في نهاية المطاف إلى ندرة المخطوطات والمصادر الأصلية ، فكانت سببا رئيسيا في استعانتي بالكثير من المراجع الحديثة بدلا من الرجوع إلى المصادر الأصيلة تاريخية كانت أم طبية ، حتى أهدرت الكثير من الوقت في البحث عن تلك المصادر المبعثرة ولم أستطع الحصول إلا على القليل منها إما لفقدانها أو لتبعثر أجزائها ، في الحين نفسه اختلفت الطبعات والتحقيقات مما فوت علي تسلسل المعلومات ، فذكرت العديد من المعلومات المهمة معتمدا على مراجع حديثة ، كذلك من الصعب جدا حصر موضوع الطب العربي الإسلامي في دراسة صغيرة كهذه ، ذلك لأن تاريخ الطب ممتد ومتشابك ويحتاج إلى دراسة وتعمق وقد تصل إلى مؤلفات ضخمة ، هذا فضلا عن أن دراسة تاريخ الطب من المواضيع الشاقة ، لقلة المخطوطات المحققة أولا وذلك لصعوبة التحقيق فيها حتى أن الكثير من الباحثين يتجنبون الخوض في تحقيق المخطوطات العلمية كما يحتاج الأمر إلى تفسير وتحليل المعلومات والروايات التاريخية والعلمية والتي قد وضعها الأطباء العرب والمسلمون في العصر السابق للإسلام وما بعد ظهور الإسلام وصولا إلى عصر القوة والازدهار في العصر العباسي الأول .

وبما أن محور الدراسة قد تركز على تاريخ علم الطب في العصر العباسي الأول ، كان لا بد لي من تتبعه زمنيا لرد بعض المسائل إلى جذورها التاريخية ولأن الطب عبارة عن سلسلة حضارية واجب تكامل حلقاتها لمعرفة الأصول والأسس التي ارتكز عليها الطب لذا اقتضت

الحاجة إلى إطلالة مختصرة عن حال الطب منذ العصر السابق للإسلام إلى نهاية العصر العباسي الأول .

اشتملت الدراسة في الأصل على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وجريدة للمصادر والمراجع المعتمدة على النحو الآتي :

تناول الفصل الأول ((الطب عند العرب)) وقسم إلى أربعة مباحث ، كان أولها الطب عند العرب قبل الإسلام موضحا فيه المعارف الطبية التي كان يملكها العرب في العصر السابق للإسلام ، أما المبحث الثاني فاختص بالطب النبوي واشتمل على العديد من الإرشادات والنصائح الطبية المأخوذة عن النبي مُحَمَّد (ﷺ) إما بواسطة أحاديث نبوية شريفة أو روايات تاريخية ، وجاء المبحث الثالث بالطب في العهد الراشدي وما وصل إليه علم الطب من الثبات والاستقرار العلمي تماشيا مع خط سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي الحنيف ، وكان المبحث الرابع الطب في العصر الأموي وتم فيه إظهار النقلة الجريئة من قبل خلفاء بني أمية في إيوائهم الأطباء الأجانب ، كما ترجم فيه أشهر أطباء العصر الأموي .

أما الفصل الثاني فخصص ((بأسباب وعوامل تطور علم الطب في العصر العباسي الأول)) واحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث ، أولها دور الخلفاء العباسيين ورعايتهم للعلوم وما صحب ذلك في دفع عجلة التطور الطبي نحو الأمام ، واختص المبحث الثاني بدور المراكز الحضارية القديمة وما لعبته تلك المراكز في تنشيط العلوم العقلية عموما وعلم الطب على وجه الخصوص ، واختص المبحث الثالث بحركة الترجمة ومراحلها وأبرز العاملين فيها لينظم هذا المبحث إلى حلقات ومراحل التطور الطبي ، واشتمل المبحث الرابع على دور بيت الحكمة البغدادي في ترقية علم الطب وتطويره كونه أحد الدعائم الحضارية المهمة في تاريخنا الحضاري .

وبحثت في الفصل الثالث ((إضافات العرب والمسلمين في العلوم الطبية في العصر العباسي الأول)) واحتوى هذا الفصل على سبعة مباحث مبسطة تم بواسطتها إظهار الإنجازات العلمية في فروع علم الطب المختلفة والعلوم المتعلقة به من طرق التشخيص والعلاج ، وعلم التشريح ، وعلم الجراحة ، وعلم الكحالة (طب العيون) ، وطب النساء

والأطفال ، وعلم الصيدلة وغيرها من العلوم الطبية الأصيلة ، كي لا يتسنى للبعض أن ينتقص من العرب والمسلمين ويتهمهم بأنهم مجرد نقلة علوم مترجمة يونانية كانت أم فارسية ، مبينا الابتكارات العربية الإسلامية الأصيلة والتي وضع فيها الأطباء العرب والمسلمون عصارة أفكارهم .

واشتمل الفصل الرابع على ((أسلوب التعليم ومكانة الأطباء في العصر العباسي الأول)) ، وقسمت الفصل إلى أربعة مباحث ، تطرق المبحث الأول إلى أماكن تعليم الطب الأساسية من مساجد ومكتبات ومجالس طبية ومارستانات ، أما المبحث الثاني فاعتمدت الأسلوب المتبع في تدريس علم الطب ونظام الرقابة الطبية والامتحانات ، وكان المبحث الثالث قد شمل الأمور المالية من رواتب وأعطيات ، والتي كان يحصل عليها الأطباء نظير خدماتهم للخلفاء ، وتم في المبحث الرابع إعطاء صورة عن مكانة الأطباء وما وصلوا إليه من المناصب والمكانة المرموقة وما مر به الأطباء من نكبات قد حلت ببعض منهم .

واحتوى الفصل الخامس على ((أشهر الأطباء ومارستانات العصر العباسي الأول)) وهو على مبحثين ، ضم المبحث الأول ترجمة لأبرز أطباء العصر العباسي وأشهرهم ، أما المبحث الثاني ، فقد بحثت فيه عن مارستانات العصر العباسي الأول من حيث أسس البناء ونظمت عملها ومحتوياتها وتقسيماتها الإدارية .

واعتمدت في دراستي على العديد من المخطوطات والمصادر الأصيلة والمراجع الحديثة والمجلات الأطاريح الجامعية على النحو الآتي :

يعد القرآن الكريم من أغلى وأثمن المصادر التي عولت عليها في دراستي هذه .

((المخطوطات))

لعبت المخطوطات دورا أساسيا في بناء البحث وهيكلته ، حيث اعتمدت على البعض منها وفي عدة مواضع من الرسالة ، والتي أغنتني كثيرا بمعلوماتها وأبرزها ، رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها ، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، وكذلك مخطوطة الزبدة في الطب ، لأبي إبراهيم زين الدين إسماعيل بن الحسن الخوارزمنشاهي (مجهول الوفاة) .

((كتب الحديث النبوي الشريف))

لكتب الحديث النبوي الشريف الدور الأساسي والمهم ولا سيما في إسناد الأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالنصائح والإرشادات الطبية ، ذات العلاقة والارتباط بالموضوع ، كصحيح البخاري ، لأبي عبد الله مُحَّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، وصحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) ، وسنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، وسنن ابن ماجه ، عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .

((كتب السير والمغازي))

إن لكتب السير والمغازي فائدة جليلة فقد استعنت بها عند الكتابة عن حياة الرسول الكريم مُحَّد (ﷺ) ، وصحابته الكرام (رضوان الله عنهم أجمعين) فكان لي الشرف بأن استقي معلوماتي من كتاب المغازي ، للواقدي ، مُحَّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) ، والسيرة النبوية ، لابن هشام ، مُحَّد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٧٣٣م) .

((كتب التاريخ))

على الرغم من قلة المعلومات الواردة في كتب التاريخ والتي لها علاقة مباشرة مع لب دراستي ، غير أن كتب التاريخ لها أهميتها الخاصة وفائدتها العظيمة في إغناء الموضوع بالحقائق التاريخية ومن تلك الكتب ، تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر مُحَّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م) ، الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وتاريخ مختصر الدول ، لابن العبري ، أبو الفرج غوريغوريوس بن هارون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، وتاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وتاريخ الخميس ، للديار بكري ، حسين بن مُحَّد بن الحسن (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) ، فضلا عن العديد من الكتب الأخرى في هذا الميدان .

((كتب التراجم والطبقات))

تعد كتب التراجم والطبقات من المصادر الأساسية والتي وضع عليها الثقل الأكبر في إتمام هذه الرسالة من حيث الترجمة للعديد من الشخصيات وذكر العديد من الحوادث التاريخية ، وكانت في طليعة تلك المصادر ، كتاب الطبقات الكبرى ، لابن سعد مُحَّد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٦٩م) ، وطبقات الأطباء والحكماء ، لابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) ، والذي كان من المصادر المهمة والمذكورة بكثرة إلا أنه يمكنني أن أسجل عليه بعض نقاط الضعف أولها وجود عدة أخطاء تاريخية إذ كان ابن جلجل غير دقيق في نقله للروايات ، أما ثانيها فقد نسب ابن جلجل بعض المؤلفات إلى غير أصحابها كما أنه لم يعير أي اهتمام للتواريخ ، إذ لم يوثق ابن جلجل الحوادث التاريخية بالسنين ، أما كتاب الفهرست ، لابن النديم ، مُحَّد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، قد كان أكثر منهجية وموضوعية إذ قسم العلوم والصناعات إلى أبواب وفهارس وضم لكل علم عدد العاملين فيه مع بيان لترجماتهم ، ومن كتب التراجم أيضا ، كتاب معرفة الصحابة للأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، ويعد من المصادر الجيدة ، أما كتاب صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُحَّد بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، ويعد كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، أبو الحسن جمال الدين علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعه ، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) ، من أهم المصادر التي بنيت عليها الرسالة ، فالمصدران ليسا من كتب التراجم فحسب وإنما من كتب التاريخ لورود العديد من الروايات التاريخية والأحداث الهامة ، إلا أن كلا المصدرين وجدت عليهما بعض المآخذ ولا بد لي من أن أبينها فكلا المصدرين غير دقيقين في ذكر التواريخ وسنوات الوفاة للشخصيات وللحوادث التاريخية ، كما أن كلاهما قد نقلا بعض الروايات الخاطئة عن ابن جلجل المذكور سابقا ، مما أوقعهما في أخطاء حقيقية ، أي أنهما وبكل بساطة لم يتحققا من الروايات التاريخية ، ومن المصادر الهامة أيضا كتاب وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وكذلك كتاب الإصابة في تمييز

الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن مُحَّد بن علي الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، فضلا عن عدد آخر من المصادر القيمة وذات الفائدة الكبيرة والتي أفادتني في ترجمة الكثير من العلماء والأطباء الذين أعتمتهم في موضوع البحث .

((كتب العلوم الطبية))

من البديهي أن تكون للكتب الطبية أهمية عظيمة ودور كبير في إتمام البحث لا سيما وأن محور الدراسة هو تاريخ علم الطب فكان لا بد لي من دراسة العديد من المؤلفات الطبية ، للوقوف على ما أنجزته العقول العربية والإسلامية في تلك الحقبة الزمنية ، وكان أشهرها كتاب فردوس الحكمة ، لابن ربن الطبري ، أبو الحسن علي بن سهل (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) والنوادر الطبية ، ليوحنا بن ماسويه الخوزي (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م)، والعشر مقالات في العين ، لأبي زيد حنين بن إسحاق العبادي (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، والحاوي في الطب ، للرازي ، أبو بكر مُحَّد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ/٩٢٥م) ، وتذكرة الكحالين ، للكحال ، علي بن عيسى بن شرف الدين (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، والقانون في الطب ، لابن سينا ، أبو الحسن علي (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، والمختارات في الطب ، لابن هبل المجوسي ، أبو الحسن علي بن مُحَّد بن علي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) ، والطب النبوي ، لابن قيم الجوزية ، أبو بكر شمس الدين بن عبد الله بن أيوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) ، وكذلك كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة ، لابن الأزرق ، أبو بكر إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ٨٩٦هـ/١٦٠٤م) ، فضلا عن العديد من المصادر الطبية الهامة والنافعة والتي كشفت لي العديد من المسائل العلمية والإبداعات الطبية والتي كان قد عرفها العرب والمسلمين في العصور الإسلامية المختلفة .

((كتب المعاجم اللغوية))

لقد استعنت بالعديد من كتب المعاجم اللغوية لتفسير وتوضيح العديد من الكلمات التي أخفيت عني معانيها فأوضحت لي الصورة ومدتني بأصول الكلمات العربية ، فكان كتاب العين ، للفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) ، دور بارز في تفسير وتحليل المعاني والمفردات ، كما استعنت في إعداد البحث على المعاجم اللغوية الأخرى ، مثل

المخصص ، لابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٧١١هـ/١٣١١م) ، وتاج العروس في جواهر القاموس للزبيدي ، مُحَّد بن مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .

((كتب الجغرافية))

لعبت كتب الجغرافية دورا مميزا ولا سيما في تزويدي بمعلومات عن مواقع المدن والدول ، والتي كان لها ارتباط بحياة الشخصيات التاريخية ، وأذكر منها كتاب ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين مُحَّد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٦م) ، وكذلك معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، وبطبيعة الحال هناك الكم الكبير من المصادر الهامة والتي ساهمت في إعداد هذه الدراسة إلا أنه لا يمكنني أن أذكرها جميعا لضيق الوقت .

كما نفعتني العديد من المراجع والكتب العلمية والتاريخية الحديثة وخصوصا في كشف الطرق والمسالك والتي كانت مخفية عن بصيرتي كما لا يمكنني إنكار الدور الذي قدمته المجلات والدوريات والدراسات التاريخية والطبية ، كما أعانت البحث الأطاريح والرسائل الجامعية المنجزة من قبل إخوتي وزملائي الطلبة ذات القيمة والفائدة العلمية الكبيرة .

وفي النهاية فقد حاولت في دراستي هذه أن أضيء جزءا قليلا من تاريخ أمتنا الحضاري وأستظهر مدى أصالة حضارتنا العربية الإسلامية والتي يحاول الغرب تشويه صورتها بأي وسيلة كانت ، ولكن الحقيقة لا يمكن أن تغيب فقد شاع نور تراثنا الحضاري العالم بعلومه وفنونه وآدابه وعلى مدة قرون طوال ، وفي الوقت نفسه كانت أوربا تائهة ومتخبطة في ظلمات الجهل ومؤمنة بأساليب الشعوذة والخرافة وأعمال الدجل.

وأتمنى من الله العزيز القدير أن ينال جهدي المتواضع هذا رضاكم واستحسانكم ، ومن الله التوفيق .

الباحث

الفصل الأول : الطب عند العرب

المبحث الأول : الطب عند العرب قبل الإسلام

أولا : تاريخ الطب عند العرب قبل الإسلام .

عرف علم الطب بأنه : ((حفظ الصحة في الأبدان الصحيحة وردها على الأبدان السقيمة بما صدر عن سقمها)) (١) كما عرفه ابن سينا بـ((علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصلح ويزول عنه المرض ليحفظ الصحة أو يستردها زائلة)) (٢) وعرف أيضا ((علم يبحث فيه بدن الإنسان من جهة وما يصلح ويمرض للالتماس حفظ الصحة وإزالة المرض وموضوعه بدن الإنسان)) (٣) ومن ذلك نعلم أن غرض الطب هو حفظ الصحة في الأبدان الصحيحة وردها على الأبدان السقيمة بأي شكل من الأشكال ولا يتم ذلك إلا بصناعة الطب وعن شرف مهنة الطب يذكر الرهاوي (٤) ((إن صناعة الطب هي أشرف الصنائع والمهن والعلم بها هو أقدم العلوم)) .

وكما يقول ابن هبل ((أما بعد فإن شرف العلوم والصنائع بحسب شرف موضوعها وشرف غايتها ومطاويها ، ولما كانت الصناعة الطبية ناظرة في بدن الإنسان من جهة ما يصلح ويمرض لتحفظ الصحة عن الزوال وتردها بعد الاستبدال بالأحوال المرضية صارت من أنفس الصنائع وأشرف العلوم وذلك لأن موضوعها هو بدن الإنسان أشرف عالم الأكوان وغايتها وهو حصول الصحة أفضل أحوال الأبدان ...)) (٥) .

---

(١) العبادي ، حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، العشر مقالات في العين ، تحقيق : ماكس مايرهوف ، (القاهرة – ١٩٢٨) ، ص١١٢ .

(٢) أبو علي الحسين بن علي (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، القانون في الطب ، تحقيق : إدوار القش ، قدمه للعربية ، علي زيعور ، (مؤسسة عز الدين للطباعة – ١٩٨٧م) ، ج١ ، ص١٣ .

(٣) البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن علي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها ، مخطوطة محفوظة في المكتبة القادرية ، بغداد رقم ق/١٣٤٤ ، ورقة ٥ .

(٤) إسحاق بن علي (توفي في القرن الثالث للهجرة) ، آداب الطبيب ، تحقيق : د. كمال السامرائي و د. داود سلمان علي ط١ ، (بغداد – ١٩٩٢م) ، ص١٤١ .

(٥) أبو الحسن علي بن أحمد بن علي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) ، المختارات في الطب ، ط١ ، (حيدر آباد الدكن – ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) ، ج١ ، ص٣ .

ويعود العمق التاريخي للمعرفة الطبية عند العرب إلى أزمنة وعصور قديمة فقد برع العرب بمختلف الفنون والعلوم والآداب وقد ارتبط الطب بحياة العرب قبل الإسلام لأن الطب من العلوم المطلوبة في كل زمان ومكان لما له من ارتباط مباشر بحياة الإنسان إلا أننا نجهل بطبيعة الحال الممارسات الطبية لدى الأعراب في العهود السحيقة والتي تزامنت مع دول بلاد وادي الرافدين ووادي النيل وعلى ما يبدو أن الهجرات البشرية من منطقة إلى أخرى قد نقلت من الخبرات الطبية الكثير فوصل إلى شبه الجزيرة العربية الخبرات الطبية من وادي الرافدين ومن بلاد وادي النيل أو حتى بلاد اليونان لأن الشعوب العربية لم تكن منعزلة عمن حولها من الأمم والأقوام التي جاورتها في بادية الشام والعراق (١) .

لذلك فقد نقل العرب أساس طبهم من الشعوب القديمة المجاورة لهم ، فضلا عن ما استنبطوه من تجاربهم اليومية فأصبح لديهم ما يعبر عنه بالطب الجاهلي (٢) ومن الطبيعي أن يكون طب الحواضر والمدن عند العرب قبل الإسلام أرقى من طب البادية غير أن المعلومات عن طب المدن في شمال الجزيرة وجنوبها تكاد تكون معدومة أو شبة مفقودة على عكس ما يتصور وأن سكان الجزيرة كان أكثرهم من سكنة البوادي فيعرف طبهم بالبدائية والبساطة إلا أن المعلومات عنه أفضل بكثير عن طب الحواضر (٣) وعبر ابن خلدون عن طب البوادي قائلا : ((وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس قانونا طبيعي ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون)) (٤) .

واستند الطب عند العرب في العصر السابق للإسلام على العادات المتعارف عليها في استعمال التعاويذ والتمائم وتناول المواد الخام القريبة من الأيادي كالأعشاب الصحراوية

---

(١) السامرائي ، د. كمال ، الطب وتاريخه عند العرب ، بحث منشور في مجلة المورد ، (بغداد – ١٩٨٥م) ، مج١٤ ، ع٤ ، ص١٩ .

(٢) الماحي ، التجاني ، مقدمة في تاريخ الطب العربي ، ط١ ، (الخرطوم ، ١٩٥٩م) ، ص٣٥ .

(٣) السامرائي ، د. كمال ، مختصر تاريخ الطب العربي ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص١٩٩ .

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد التونسي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، المقدمة ، تحقيق : حجر عاصي (بيروت – ١٩٨٦م)، ج١ ، ص٣٠٩ .

وأبوال الإبل ورماد الحرائق ودماء الذبائح كما عرفوا الشمع والعسل [1] وكانت للعرب ثلاث طرق في المعالجة ، طريقة النصح أو ما تعرف في الوقت الحاضر بالطب الوقائي ، وطريقة الكهنة والعرافين والسحرة ، وطريقة العلاج الطبي بالأدوية (والعقاقير) [2] والأعشاب [3] .

ثانيا : الممارسات الطبية وطرق التشخيص .

علمنا مسبقا أن طرق المعالجة ثلاث هي طريقة العلاج بالنصح وطريقة العلاج بالكهنة والعرافين وطريقة العلاج العلمية وتركزت الممارسات الطبية عند العرب قبل الإسلام على طريقة العلاج بالكهنة وعلى طريقة العلاج العلمية .

واعتقد العرب بمثل ما اعتقدت به الحضارات القديمة من سيطرة الآلهة على حياتهم اليومية فأرجعوا سبب الأمراض إلى غضب الآلهة والأرواح الشريرة وللوقاية من تلك الأمراض أو الشفاء منها التجأوا إلى السحرة والكهنة والمشعوذين والمنجمين وأخذوا باستعمال التعاويذ والأدعية والتمائم [4] .

وبما أن الاعتقاد السائد لدى العرب والشعوب القديمة بما يخص الأمراض وعقاب الآلهة لهم فإن أبرز العلاجات هي التوسلات والتضرعات للآلهة لشفائهم وبما أن المقربين من الآلهة هم الكهنة لذلك لجأ إليهم المرضى لإشفائهم واعتقد الناس بأن السحرة يستطيعون بسحرهم شفاء الأمراض لذا سمي الطبيب ساحراً [5] ولا بد أن يكون الكهنة والسحرة هم أول من مارسوا الطب في الجاهلية وربما أيضا أنهم قد عالجوا المرضى بالأدعية والصلوات وما إلى ذلك أو حتى استخدام بعض الأدوية التي قد أخذوها عن الأمم السابقة [6] ولكن لا يوجد شيء

---

(١) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٩٩ ؛ علي ، د. داود سلمان ، ممارسة مهنة الطب عند العرب ، بحث منشور من وقائع الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب للفترة ١٦-١٨ مايس ١٩٨٩ ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٣٨١ .

(٢) العقار : ما يتداوى به من النباتات أو أصول الأشجار وهي أصول الأدوية والعقار كلمة غير عربية وعربت وجمعها عقاقير ، الزبيدي ، محمّد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ؛ تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، (مصر – ١٣٠٦هـ) ، ج٣ ، ص٤١٧ .

(٣) الشطي ، د. شوكت موفق ، السفر الأول من تاريخ الطب ، ط١ ، (دمشق – ١٩٥٦م) ، ص١٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

(٥) علي ، د. جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط١، (بيروت – ١٩٧١م)، ج٨ ، ص٣٨٠-٣٨١.

(٦) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٨١ .

مؤكد حيث لا وجود لأي مدونات أو كتابات بسبب الأمية المتفشية وقلة المتعلمين للقراءة والكتابة .

ومن أبرز طرق المعالجة عند السحرة والكهنة هي شق بطون الطير لمنجاة روحها أو الشيطان الذي يسكنها وكانوا يتفقدون أعضاء الطير الداخلية ولا سيما القلب والكبد فإن كانت الأعضاء سليمة دلت على الشفاء وإن كانت أعضاء الطير غير سلمية دلت على استعصاء المرض وصعوبة علاجه وكان الكهنة يصفون في بعض الأحيان أدوية متعفنة تشمئز منها الأنفس اعتقادا منهم بأنها تطرد الشيطان من جسد المريض إلا أنها في النهاية تقضي على المريض وتقتله (١) .

واستعان الأعراب في الجاهلية بالمنجمين الذين زعموا بأن ما بين طلوع النجوم وغروبها أمراض فتاكة وعاهات خطرة تصيب الإنسان والماشية (٢) واستعمل الناس البسطاء العديد من التعاويذ والتمائم والتي اعتقدوا أنها توفر الحماية لهم من الأمراض ويذكر الدكتور شوكت الشطي أنواعا مختلفة من التمائم منها التيمية وهي خرزة رقطاء تعلق للأولاد لحمايتهم من الحمى والصرع وكافة الأمراض وأيضا هناك السلوانه خرزة بيضاء تشفي المبتلى بالعشق والتوله وهي للوقاية من السحر والأرواح الشريرة والنظرات وهي مجموعة من أسنان الذئب تعلق للأطفال حديثي الولادة للحماية من الأرواح الشريرة (٣) ولا نزال نحن وفي الوقت الحاضر نؤمن بمثل هذه الأشياء ونجد ذلك جليا عند النساء والعجائز اللواتي يعلقنها للأطفال خوفا من الحسد أو غير ذلك .

أما طريقة العلاج الطبي فقد توصل العرب إلى معارف بالمشاهدة أو التجربة وعرفوا بعض الأمراض بالمقارنة والتي ظهرت على ماشيتهم أو دوابهم من تغيرات غير مألوفة (٤) .

وعرف طب البادية بطب الأعراب أو طب البادية وعرف دواؤهم بدواء أهل البادية وهو دواء ثابت مأخوذ من محيط بيئتهم ويستند على المعالجة بالأعشاب والألبان والعسل وفضلات الإبل ورماد الحرائق كما أن طب البادية لم يأت بنتائج إيجابية ولا سيما في الأمراض

(١) السعيد ، د. عبد الله عبد الرزاق مسعود ، نشأت الطب ، (عمان – ١٩٨٥م) ، ص٥٤-٥٥ .

(٢) الشطي ، تاريخ الطب ، ص١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١١٤-١١٥ .

(٤) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٩٩ .

الصعبة كحالات العقم وغيرها فكانوا يلجأون عندها إلى أطباء المدن الحضرية مما أعطى الفرصة للمبشرين أن ينتشروا في أرجاء الجزيرة العربية ولا سيما بعد أن ينجحوا بشفاء زعماء القبائل أو وجهائها فيكسبون بذلك عطف الناس ومودتهم ويسمح لهم بالتبشير بعد أن يؤكدوا للعامة بأن الشفاء قد تم بمساعدة السيد المسيح عيسى (عليه السلام) (١) وبسبب المناخ الصحراوي الجاف للمنطقة العربية وشحة المياه فيها وكثرة الحشرات بأنواعها وانعدام وسائل النظافة العامة وقلة العناية الصحية ولا سيما في البوادي إلى جانب كثرة الحروب بين القبائل أدت في النهاية إلى انتشار العديد من الأمراض و(الأوبئة الفتاكة) (٢) والتي أهلكت العديد من المدن والقرى (٣) وقد ميز العرب قبل الإسلام العديد من الأمراض وصاغوا لكل مرض اسما مشتقا من أعراضه وصنعوا لكل داء دواءا مناسبا بعد تكرار التجربة فأطلقوا مثلا على ألم الرأس صداع لأن المصاب به يحس وكأن رأسه يصدع أي يفلق فلقتين من شدة الألم (٤) وكانوا يعالجونه بشد العصائب على الرأس أو بوضع الحناء إذا كان الصداع شديدا (٥) وعرفوا كذلك الجذام وهو انتشار السواد في الجسم كله فيفسد مزاج الجسم وأعضاؤه ويقطع أعضاء الجسم ويسقطها عن تقرح وسمي جذاما لأنه يقطع الأعضاء والنسل وأيقن العرب بأن هذا المرض معد بالتماس فقالوا فيه من باب النصح : ((فر من المجذوم فرارك من الأسد فمن يقع في براثن أحدهما فإنه هالك)) (٦) وعرفوا كذلك البرص وهو من الأمراض الجلدية ويترك ويترك البرص بياضا في الموضع المصاب من الجسم وسمي الوضح أو البرش (٧) وأصيب به

---

(١) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٩٠ .

(٢) الوباء : يقصد به المرض العام الذي يصيب الكثير من الناس في وقت واحد ويكون ناتج عن فساد في الهواء وهو جوهر الروح وسبب وجودها وهو على أنواع كالطاعون والجدري والحصبة والهيضة والحمى ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٤٧٨ .

(٣) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٠١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠١ .

(٥) ابن قيم الجوزية ، أبي بكر شمس الدين بن عبد الله بن أيوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، (بيروت — ١٩٨٦م) ، ج٤ ، ص٨٨ .

(٦) الآلوسي ، محمود شكري البغدادي ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : مُحَمَّد بهجت الأثري ، ط٣، (القاهرة — بلا ت) ، ج٣ ، ص٣٤٢ .

(٧) الآلوسي ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، ص٣٤٢ ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ، ص٣٧٣.

العديد من الناس أشهرهم جذيمة الأبرش بن مالك أول ملوك الحيرة وكان قويا يهابه الناس فسمي بجذيمة الأبرش (١) وكان من العرب من يتفاخر ببرصه مثل بلعاء بن قيس بن عبد الله من بني كنانة فكان يقول عن برصه : ((هذا سيف الله جلاه)) (٢) وكانوا يعالجون البرص باستعمال الحبة السوداء مع العسل (٣) .

كما عرف العرب الحصف (٤) والجرب (٥) والثؤلول (٦) والعدسة (٧) والنملة (٨) والسفعة (٩) والشوكة (١٠) وجميعها من الأمراض الجلدية والتي كانت منتشرة وبكثرة في الجزيرة العربية لقلة العناية الطبية والفقر العام وسوء التغذية ولانعدام وسائل النظافة (١١) وعرفت في بلاد العرب الحمى وهي من الأمراض الخطيرة واسعة الانتشار في الحواضر والبوادي والتي أهلكت العديد من الناس وسميت رائدة الموت وبريد الموت (١٢) وأطلقوا عليها بـ أم ملدم (١٣)

---

(١) الطبري ، أبو جعفر مُحَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : مُحَّد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر – ١٩٦١م) ، ج١ ، ص٦١٣ .

(٢) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ/٦٨٩م) ، الحيوان ، تحقيق : فوزي عطوي ، – ١٩٦٨م) ، ج٦ ، ص١٦٧ .

(٣) الموسوي ، مهدية فيصل صالح شافي ، معارف العرب قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، (بغداد – ٢٠٠٢م) ، ص٤٧ .

(٤) الحصف : بثور صغيرة تظهر على الجلد من شدة الحر وكثرة التعرق ، الآلوسي، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٤٠.

(٥) الجرب : مرض معد سريع الانتقال يظهر على الجلد وكان العرب يجتنبون المصاب به وهو على شكل بثور مكونة من الدم والعرق تحت الجلد ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص١٤٥ .

(٦) الثؤلول : بثور صغيرة صلبة تكون على أنواع شتى منها المنكوس والمشقوق ومنها ما يكون له مسمار عظيم الرأس وغيرها ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٤٣ .

(٧) العدسة : بثور صغيرة تشبه حبة العدس تظهر على الجلد وهي من الأمراض المميتة ، الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣، ص٣٤١ .

(٨) النملة : بثور تخرج التهاب وحرقة وتخرب موضع وتنتقل إلى آخر كأنها نملة وسموها أيضا الذباب ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص١٤٦ .

(٩) السفعة : من الأمراض الجلدية التي تظهر في الوجه فتغير لونه ، الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٤١ .

(١٠) الشوكة : بثور حمراء تظهر في الوجه وفي مواضع مختلفة من الجسم ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٤٠ .

(١١) الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٩ .

(١٢) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠٢ .

(١٣) الموسوي ، معارف العرب قبل الإسلام ، رسالة ماجستير ، ص٥٠ .

واشتهرت يثرب بانتشار الحمى فيها وبأخطر أنواعها [١] وقد قسم العرب الحمى إلى عدة أنواع كان أشدها خطرا نوعان هي حمى نافض [٢] والتي يشعر بها المحموم بنفضه ورعده ويقال لها النافضة أو حمى الرعد وعالجوها (بالتغميل) [٣] أي تغطية المريض حتى يعرق أما النوع الثاني فتكون مصحوبة بحر شديد حتى تجعل المحموم يتصبب عرقا ويصاب المحموم بها بصداع شديد وعولجت باستعمال الماء البارد شرابا واغتسالا [٤].

وتفشت بين العرب العديد من الأوبئة الفتاكة والتي أرهبت العرب منها ونسبوها إلى عقاب من الله وغضبه عليهم مما جعل الأغنياء والوجهاء يفرون من تلك الأماكن الموبوئة إلى أماكن بعيدة لاتقاء شرها ومن أشدها الطاعون والحصبة والجدري [٥] .

وتعرف العرب على العديد من الأمراض الاعتيادية التي تصيبهم مثل السعال والزكام واليرقان والحكة والحمرة والقوباء وداء الفيل والدوار والجنون والخدر والفالج والباسور والناسور والكلف والنمش والإغماء والاختلاج والعمى والتهاب العيون الرمد وأوجاع المعدة وآلام الكبد والسل وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام والأمراض العصبية [٦] وقد عالجوها بمختلف الأدوية والعقاقير المتاحة لديهم من نباتية وحيوانية ومعدنية [٧] .

ومن الطريف أن العرب قبل الإسلام قد مارسوا بعض الأساليب الغريبة في معالجة الأمراض والتي لم يكن فيها أي شيء من الفائدة بل كانت محض وهم وخرافة إلا أنها كانت تحظى بالقناعة والراحة النفسية لدى عامة الناس وكأنما يأخذون أدوية مضمونة الشفاء فاعتقدوا بالإصابة بالعين (الحسد) وما تسببه من أمراض خطيرة ولاتقاء شرها كانوا يعلقون الأحذية البالية أو حدوة حصان أو كف في وسطه عين لتمنع الأرواح الشريرة والإصابة

(١) ابن هشام ، مُحَمَّد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة – ١٩٣٧م) ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ، ص٩٢ .

(٣) التغميل : أي تغطية المريض بالثياب والأقمشة ليعرق الشخص ويسمى حينئذ مغمول ، المصدر نفسه ،ج٨ ، ص٥٠ .

(٤) الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٩ ؛ علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠٣-٤٠٤ .

(٥) الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٤٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٣٩-٣٤٣ .

(٧) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠١ ؛ السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٩٩ .

بالعين [١] كما كانوا يعالجون المجنون بضربه على رأسه ضربا شديدا لقناعتهم بأن الشيطان قد دخل إلى رأسه وهم بذلك يعذبون الشيطان لطرده وإخراجه [٢] وللوقاية من الشيطان كانوا يلبسون عظام الموتى لإرهاب الشيطان وإخافته [٣] أما المرأة التي لا يعيش لها ولد كان عليها أن تتخطى سبع مرات فوق جثة رجل شريف ميت [٤] ومن الطرائف المضحكة التي مارسها العربي قبل الإسلام وبجدية عملية التعشير وذلك عند معرفتهم بوجود وباء داخل إحدى المدن الوافد إليها كان عليه إذا أراد الدخول إلى تلك المدينة أن يقف عند مدخل المدينة ويقوم بتقليد أصوات الحيوانات بنهيق وعواء أو غير ذلك معتقدين أن الأمراض العامة أو الأوبئة تهاجم الإنسان فقط دون الحيوانات فينهقون لإيهام الأمراض بأنهم حيوانات وليسوا من البشر [٥] كما وصف الإعراب دماء الملوك لمن أصيب بداء الكلب [٦] على الرغم من معرفتهم بصعوبة الحصول على تلك الدماء إلا أن المعالج يصر على إحضار تلك الدماء لمعالجة المريض [٧] .

أما طرق التشخيص التي استعملها أطباء العرب للتعرف على الأمراض فإنهم كانوا ينظرون إلى لون بشرة الوجه ولون العينين وعلى جس نبض المريض كما يسأل الطبيب المريض عن خروج بطنه وإدراره ومواقع الألم الذي يحس به [٨] ورغم ذلك فإن المريض لا يحصل على أي حال من الأحوال على الدواء الذي يضمن الشفاء به .

---

(١) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠٩ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٧ .

(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الإرب في فنونه والأدب ، (القاهرة (القاهرة — بلا ت) ، ج٣ ، ص١٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٢٤ ؛ علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤١١ .

(٦) داء الكلب : مرض يصيب الإنسان جراء عضة كلب كالب فيصاب الإنسان بأشبه بالجنون فيمزق ثيابه ويعوي عواء الكلاب ويأخذه العطش فيمتنع عن شرب الماء حتى يموت عطشا ؛ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/٧٩١م) ، العين ، تحقيق : د. مهدي المخزوم و د. إبراهيم السامرائي ، (بغداد — ١٩٨٢م) ، ج٥، ص٣٧٥ .

(٧) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠٨ .

(٨) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٠٦ .

ومن الأمور الاعتيادية التي عرفها العرب عملية التوليد والتي اشتهرت بها القابلات اللواتي لديهن خبرة كافية [١] ومن الطبيعي أن تكون هناك حالات عسرة تؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان الجنين أو الأم ، ومارس العرب لمثل هذه الحالة عملية خطرة وهي شق بطن المرأة الحامل بعملية تسمى السطو يتم فيها إخراج الجنين الميت من رحم الأم والقائم بهذه العملية هو زوج المرأة وليست القابلة إما إذا تم إخراج الجنين وهو على قيد الحياة لحظة وفاة أمه فإن هذه العملية تسمى خشعه [٢] والزوج أيضا هو القائم بها [٣] وأنا اعتقد أن الزوج لا يستطيع أن يمارس أي من العمليتين إلا في حالة عدم توفر قابلة لأن مثل هذه العملية تحتاج إلى شخص ذي معرفة ودراية كبيرة بأجزاء الرحم والبطن ولا يستطيع الرجال القيام بها بأي حال من الأحوال .

كما مارس العرب عمليات أشبه بعمليات التجميل المعروفة حاليا فرسموا الوشوم على الوجوه وظاهر الأيادي مستعملين بذلك الكحل ورماد الحرائق [٤] .

ومهروا أيضا في تغطية العيوب والإصابات التي تحدث في بعض أجزاء الجسم فيذكر أن عجرفة بن أسعد بن كرب بن صفوان التميمي قد أصيب أنفه (يوم كلاب) [٥] فاتخذ أنفا من فضة وقيل من ذهب [٦] كما ربط الناس أسنانهم وشدوها بالذهب ومنهم الخليفة الثالث

(١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص١٧٧ .

(٣) ابن منظور ، مُحَمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، (بيروت – بلا ت) ، ج٨ ، ص٧٢.

(٤) المصدر نفسه ، ج١٢ ، ٦٣٨ .

(٥) يوم كلاب : كلاب موقع بين البصرة والكوفة وقع فيه قتال بين ملوك كندة وبني تميم فسمي ذلك بيوم كلاب، لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن عبد ربه ، أبو عمر بن مُحَمَّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) ؛ العقد الفريد ، شرح : عبد السلام مُحَمَّد هارون وآخرون ، (القاهرة – ١٩٤٩م) ، ج٥ ، ص٢٢٢-٢٢٤ .

(٦) ابن سعد ، مُحَمَّد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٦٩م) ، الطبقات الكبرى ، (بيروت – بلا ت) ، ج٧، ص٤٥؛ ابن ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص٣٥٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن علي الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الإصابة في تميز الصحابة ، ط١ ، (القاهرة – ١٣٢٨هـ) ، ج٤ ، ص٤٨٤ .

عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقد ربط أسنانه بالذهب قبل الإسلام [1] ، ومن عادات العرب قبل الإسلام الختان وكانت هذه العملية من اختصاص الحجامين والحلاقين [2] .

إذن العمليات الجراحية كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام وذلك لكثرة الحروب والمعارك الدائرة بين القبائل فعرفوا أن نزف الدم المتواصل يؤدي إلى الموت واستخدموا لذلك التضميد وشد الجرح بقطعة من القماش [3] كما ضمدوا الجروح ببعض أوراق الأشجار كالبردي (والزقوم [4]) [5] واستعلموا رماد الحرائق لقطع النزيف [6] كما كانوا يحسمون الجرح بكوية ورشح الملح فوقه لتعقيمه وعرفوا النزف الخارج من الأنف وسموه رعافا واستخدموا لإيقافه الماء البارد [7] .

ومن وسائل الوقاية التي اتبعها الأطباء العرب عند إصابة أحدهم بجرح عميق فإنهم كانوا لا يسقون الجريح ماء ساعة جرحه لاعتقادهم أنه إذا شرب الماء مات من وقته [8] وهذا ما يعمل به أطباؤنا اليوم .

كما برع الأطباء العرب قبل الإسلام بمعالجة الكسور واستخدموا الجبائر والمناقيع فوق الجزء المكسور والجبائر عبارة عن عيدان من الخشب توضع على العظم المكسور وبعدها تشد بربط من القماش [9] كما برع العرب في علاج الأورام الحاصلة في الجسم باستخدام المناقيع

---

(١) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة – ١٩٥٢م) ، ص١٥٠ .

(٢) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤١٥ .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٤٠٦ .

(٤) الزقوم : شجرة غبراء صغيرة الأوراق قبيحة الشكل لها كعبرة في ساقها مرة المذاق وردت في القرآن الكريم في عدة مواقع بأنها طعام الكافرين في جهنم ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٢٦ .

(٥) النويري ، نهاية الإرب ، ج١١ ، ص٣٠٨ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني (ت (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت – ١٩٨٩م) ، ج١٠ ، ص٢١٤ .

(٧) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٩٩ .

(٨) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين محمد القرشي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) ، الأغاني ، تحقيق : سمير جابر ، ((بيروت – ١٩٨٦م) ، ج١٦ ، ص٦٦ .

(٩) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

واللصقات الحارة كي تعجل في إخراج الصديد من الجزء المتورم وكانت توضع في اللصقات بذور نباتية دهنية بعد أن تسحق وتسخن على النار ، كما استعملوا الزيت والتمر والعسل والدقيق للغرض نفسه [١] والشفاء عند العرب في ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار نار [٢] فإن عجز الطبيب عن الشفاء بالعسل اتخذ الحجامة وإذا لم يفلح أخذه بالكي ومنه انطلق المثل ((آخر الدواء الكي)) [٣] والعسل أكثر الأدوية شيوعا في الاستعمال فدخل في في علاج مختلف الأمراض ولا سيما أمراض المعدة واستعمل وحده أو مخلوطا بمواد أخرى [٤] أما (الحجامة) [٥] (والفصد) [٦] فهما حجري الأساس في الطب العربي قبل قبل الإسلام وبعده وكانتا تستخدمان لكثير من الأمراض المستعصية والصعبة [٧] وأطلق العرب على ممارسي هذه المهنة بـ الحجامين [٨] ، كما استخدم العرب ديدان العلق والتي تمتص الدم من خلال الجلد حينما تعلق به مثلما يفعل الحجامون وقالوا : ((خير الدواء العلق والحجامة)) [٩] كما ظهرت براعة العرب في الكي واعتبروه أحد الأركان الأساسية في الطب وعالجوا به مختلف الأمراض التي تصيب الجسم [١٠] كما كان نافعا للجروح العميقة وتحسيم الطعنات ويكون في بعض الأحيان مكملا للفصد فحين يكثر النزف يحسم العرق لإيقاف نزيفه [١١].

---

(١) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

(٢) الكي : إحراق الجلد بحديدة محماة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ .

(٣) الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م) ، المستقصي في أمثال العرب ، تحقيق: مُحَّد عبد المعين خان ، (حيدر آباد الدكن — ١٩٦٢م) ، ج١ ، ص٣ .

(٤) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٠٢ .

(٥) الحجامة : استخراج الدم من الجلد بعد صنع شرح صغيرة فيه ، ابن قيم الجوزية ، أبي بكر شمس الدين بن عبد الله الله بن أيوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) ، الطب النبوي ، ط١ ، (بوسعيد ، ٢٠٠١م) ، ص٣١ .

(٦) الفصد : قطع العروق وإخراج الدم الزائد عن الحاجة ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٤٥٣ .

(٧) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٩١-٣٩٢ .

(٨) مُحَّد ، د. محمود قاسم ، الحجامة بين الطب والشرع والتراث ، مجلة التراث الشعبي ، (بغداد — ٢٠٠٠م) ، ع٢ ع٢ ، ص١٦ .

(٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص٢٦٧ .

(١٠) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٩٣ .

(١١) السعيد ، نشأة الطب ، ص٥٨ .

ولم تكن طرق المعالجة الثلاث السابقة هي الوحيدة في معالجات العرب بل برعوا في استعمال النباتات والأعشاب المختلفة وأدخلوها ضمن وصفاتهم فعالجوا بالبصل والثوم والحبة السوداء والزبيب والسفرجل والتين والرمان والتمر وغيرها من النباتات والفواكه [(١)]، كما برع العرب باستخدام العقار واتخذوه علاجا نافعا لدفع سموم الأفاعي والحشرات [(٢)] وأطلق العرب على الخمر عقار لأنه يذهب الهم والحزن [(٣)] .

ولم يتبع العرب وسائل الوقاية الطبية ولم تكن لهم اهتمام بأمور الصحة العامة غير أنهم قد اهتموا ببعض أمور التجميل والنظافة والتي لم يعلموا بأنها أساليب وقائية فاتخذوا وبشكل كبير السواك واستعملوه لتبدو أسنانهم نظيفة وبراقة إلا أن في السواك منافع عدة كتطيب للفم وشد اللثة وقطع البلغم كما أنه يجلو البصر ويذهب الحفر ويصحح المعدة ويصفي الصوت ويعين على هضم الطعام كما يفتح مجاري الكلام [(٤)] ولشدة ولع العرب قبل الإسلام بالسواك فقد ذكروه في أشعارهم فقالوا :

إذا أخذت مسواكها محيت به رضاباً كطعم الزنجبيل المعسل [(٥)]

كما اتخذ العرب الكحل واعتبروه من أمور الزينة إلا أنه كان علاجا نافعا للعيون واتخذوا الأثمدة وهي مقوية للبصر وعلاج للرمد وفيه منافع أخرى [(٦)] ، ومن أمور الوقاية الصحية التي اتخذها العرب قبل الإسلام هي عدم الإكثار من الطعام (التخمة) وعرفوا أضرارها واعتبروها تذهب الفراسة والذكاء من الرجال وقد عالجوا العديد من الأمراض بالإمساك عن الطعام [(٧)] وقالوا ((البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء)) [(١)] .

(١) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٦٥-١٧١ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ ، ص٤١٧ .

(٣) أبو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، البصائر والذخائر ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، (دمشق – ١٩٦٤م) ، مج١ ، ص٣٤٥ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٨٣ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص١٤٦ .

(٦) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٠٣-٢٠٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٢ .

ومن السلبيات التي عرفت عن العرب قبل الإسلام أنهم لم يمارسوا التشريح البشري والاستفادة منه في زيادة معلوماتهم الطبية [(٢)] وقد احترم العرب جثة الإنسان ولم يمسوها بأي نوع من أنواع التشريح لاعتبارهم أن هذا الأمر هو اعتداء على حرمة الميت وإهانة له ولأهله من بعده وأن ذاك العمل مناف للقيم والعادات والأعراف والأخلاق [(٣)] .

ولكن كيف استطاع العرب في الجاهلية أن يمارسوا العمليات الجراحية من بتر أعضاء وختان وتوليد – الخشعه والسطو – والكي دون ممارسة التشريح ؟ ولربما أن معلومات العرب التشريحية قد أخذوها عن الأمم السابقة من فارسية أو يونانية أو رومانية ولا سيما أن الأطباء العرب قد تنقلوا ما بين حواضر المدن المختلفة ومنهم من درس الطب في مدارس اليمن وبلاد فارس .

لم تقتصر مهنة الطب على الرجال فقط بل شاركت النسوة في ممارسة الطب ولا سيما في عمليات التوليد والختان كما برعوا في مداواة العيون والحجامة وغيرها من الممارسات الطبية [(٤)] وبرز دور المرأة الأول في المجال الطبي جليا في تضميد الجرحى والاهتمام بالمرضى ومواساة العليل فهي ملاك الرحمة في كل زمان ومكان وقد عرفن من مارسن هذه العمليات بـ (الآسيات) ومأخوذة من المواساة والمداراة للعليل وكان عمل الآسيات من باب المشاركة الوجدانية مع الرجل ورغبة منهن في المساعدة ولم يكن يؤجرن أو يجبرن على العمل لخدمة الجرحى بل كنّ يساعدنّ الرجال في الشدائد والحروب لذا تجدهنّ يقمنّ بإسعاف الجرحى وحمل الماء وطبخ الطعام [(٥)] وهذا يؤكد على دور المرأة المهم في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعد أن ذكرنا طرق التشخيص والمداواة لا بد لنا من ذكر بعض الأدوات الجراحية التي استخدمها العرب قبل الإسلام .

---

(١) من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : سميح الزين ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٨١م) ، ج٢ ، ص١٧ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٣ .

(٢) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٤١٢-٤١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤١٢-٤١٣ .

(٥) السعيد ، نشأة الطب ، ص٥٩ .

* مسبار : فتيلة تدخل في الجرح لمعرفة عمقه ومقدار غوره [١] .

* الضماد : قطعة من القماش تلف على الرأس عند الألم ويشد بها الجرح لمنع نزيف الدم [٢] .

* الرضفة : حجارة تسخن ليكمد بها الجرح [٣] .

* المحجم : مشرط الحجام [٤] .

* المكحال : الميل الذي تكحل به العين [٥] .

* المكواة : حديدة يكوى بها [٦] وقيل الميسم الذي يوسم به [٧] .

ثالثا : **أشهر أطباء العرب قبل الإسلام** :

١- ابن حذيم .

رجل من بني تميم الرباب لا يعرف اسمه بالكامل ولا عن سيرة حياته شيء إلا أنه ذكر كطبيب مشهور بين العرب وقيل أنه أطب من الحارث بن كلدة [٨] ولبراعته في الطب ضرب ضرب به المثل ((أطب من ابن حذيم)) [٩] وهذا يدل على أن ابن حذيم كان فائقا في

---

(١) ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المخصص ، (بيروت – بلا ت) ، ج٥، ص٩٣ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص٣١٢ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، ص١٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص١١٧ .

(٥) الفراهيدي ، العين ، ج٣ ، ص٦٢ .

(٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٥ ، ص١٠١ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص٢٣٥ .

(٨) البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، شرح : الإمام العيني محمود ، (مصر ، بلا ت) ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

(٩) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م) ، مجمع الأمثال ، تحقيق : مُحَمَّد أبو أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ج٢ ، ص٣٠٤ .

مهنة الطب حاذقا ذكيا فيها [١] وعلى ما يبدو أن براعة ابن حذيم بالطب تمثلت وبشكل خاص في معالجته بالكي حتى قيل فيه ((أطب في الكي من ابن حذيم)) [٢] وذكر ابن حذيم في العديد من الأبيات الشعرية :

فهل لكم فيها إلي فإنني طبيبا بما أعيا النطاسي حذيما [٣]

ولم تكن براعة ابن حذيم في الطب فقط وإنما كان شاعرا بارعا [٤] وقد عاش ابن حذيم حذيم قبل الحارث بن كلدة الثقفي بزمن طويل [٥] .

٢- زهير بن جناب .

هو زهير بن جناب بن هبل بن كلب بن مرة بن تغلب بن حلوان بن عمران من بني قضاعة [٦] من المعمرين فقيل أنه عاش أكثر من مائة وعشرين سنة [٧] سيد قومه واجتمعت واجتمعت فيه خصال لم تجتمع في غيره من أهل زمانه فإنه سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وطبيبهم وحازي قومه أي كاهنهم ووافدهم إلى الملوك [٨] وزهير بن جناب من الجرارين العرب والجرار هو الشخص الذي يترأس ألفا من الرجال [٩] ولا يمكن لأي شخص أن يترأس مثل ذلك العدد من الرجال إلا إذا وجدت لديه خصال تميزه عن قومه ، أما عن علاجاته للأمراض وبأي نوع اشتهر فلم تذكر المصادر عنه أي شيء .

٣- الحارث بن كلدة .

---

(١) البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٧ .

(٣) ابن حجر ، أوس (٦٢٠م) ، ديوانه ، تحقيق : مُحَمَّد يوسف نجم ، (بيروت — ١٩٦٠م) ، ص١١١ .

(٤) البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٢ ، ص٢٣٤ .

(٥) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ٢١٢ .

(٦) ابن حبيب ، أبو جعفر مُحَمَّد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) ، المحبر ، تحقيق : إيليزه ليجتن شيتيز ، (حيدر آباد الدكن — ١٩٤٢م) ، ص٢٥٠ .

(٧) الموسوي ، معارف العرب قبل الإسلام ، ص٦٢ .

(٨) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٨٠ .

(٩) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٤٦ .

هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عبد بن عوف بن قيس بن ثقيف بن قيس عيلان [1] أصله من ثقيف من أهل الطائف [2] كان الحارث محبا للتجوال كثير الأسفار في البلاد ، تعلم الطب من جراء كثرة أسفاره فدرس في مدرسة جنديسابور في بلاد فارس وتمرن هناك فأجاد هذه الصناعة وطبب بأرض فارس وحصل من ذلك مالا وفيرا ولم يكتف الحارث بما تعلمه بأرض فارس بل رحل إلى اليمن وتعلم عن أهلها الطب أيضا وعرف بذلك الداء والدواء [3] وبذكر رحيل الحارث إلى اليمن وتعلمه الطب يدل على وجود مدرسة طبية هناك غير أنه لم تصل إلينا أي معلومات مفصلة عن ذلك . وإلى جانب معرفة الحارث الطب فقد كان ذا حس مرهف وموسيقيا يضرب العود وتعلم ذلك بفارس واليمن [4] كما كان الحارث بن كلدة شاعرا يعطي الحكم والمواعظ في شعره وقد أورد له أبو العلاء المعري أبياتا من الشعر .

فما غسل ببارد ماء مزن   على ظمأ لشاربه يشاب

يا شهي من لقيكم إلينا   فكيف لنا به ومتى الإياب [5]

لقب الحارث بطبيب العرب لحكمته وتجربته الواسعة وآرائه السديدة [6] واستمرت شهرة الحارث بن كلدة حتى عهد الرسول مُحَمَّد (ﷺ) حتى كان الرسول (ﷺ) يأمر

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٠٧ .

(٢) القفطي ، أبو الحسن جمال الدين علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (بيروت — بلا ت) ، ص١١١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣ ؛ ابن العبري، أبو الفرج بن غريغوريوس بن هارون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، (بيروت — ١٨٩٥م) ، ص١٥٦ .

(٣) ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ٣٧٧هـ/٩٩٤م) ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق: تحقيق: فؤاد سيد ، (القاهرة — ١٩٥٥م) ، ص٥٤ ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٥٦ .

(٤) ابن قتيبة ، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، (القاهرة — ١٩٦٠م) ، ص٢٨٨ ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣ .

(٥) أحمد بن سليمان التنوخي (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) ، رسائل الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، ، (القاهرة — ١٩٧٧م) ، ص١٦٦ .

(٦) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، الهامش ، ص٥٤ .

أصحابه أن يأتوا الحارثة ويتطببوا عنده [١] وقد روي عن سعد بن أبي الوقاص (رضي الله عنه) أنه مرض بمكة مرضا شديدا فعاده النبي عليه أفضل السلام وقال : ((ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبب)) [٢] ورغم أن الحارث قد عاصر النبي ﷺ إلا أنه كان من المؤلفة قلوبهم ولم يصح إسلامه [٣] .

واختلف المؤرخون في تحديد وفاة الحارث بن كلدة فمنهم من يرى أن وفاة الحارث كانت سنة (١٣هـ/٦٣٤م) وأنه توفي في نفس اليوم الذي توفي فيه الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) [٤] في حين يجد فريق آخر أنه عاش في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) [٥] ، وأنه توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) حتى أن معاوية قد سأل الحارث ما الطب ؟ فقال له : الأزم أي الجوع [٦] كما أن الحارث بن كلدة قد شهد عند وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأنه مسموم [٧] [٧] فكيف يموت الحارث بن كلدة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكيف يشهد بوفاته وإن الأصح أن الحارث قد عاش إلى عهد معاوية رغم عدم وجود إشارة على كون الحارث من المعمرين .

وللحارث بن كلدة حكم وأقوال بالغة في الطب : ((البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا البدن أكل ما اعتاد)) [٨] ((دافع بالدواء ما وجدت مدافعا ولا تشربه إلا من من علة فإنه يصلح شيء إلا أفسد مثله)) [٩] وتذكر المصادر التاريخية بأن محاورة في الطب

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٠٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٥٧ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٨٩ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٥٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٨٩ .

(٤) تذكر الروايات أنه أهدي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه طعام وعنده الحارث بن كلدة طبيب العرب فأكلا منه، فقال الحارث لأبي بكر رضي الله عنه لقد أكلنا والله في هذا الطعام سم سنة وإنني وإياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا عند انقضاء السنة ، ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص٢٧٦ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٨ .

(٦) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٥٤ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٤١٩ .

(٨) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٨ ؛ العزاوي ، صالح مهدي ، الحارث بن كلدة الثقفي وقيمته في تاريخ الطب العربي ، مجلة المورد ، (بغداد – ١٩٧٧م) ، مج٦ ، ع٤ ، ص١٩ .

(٩) الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ٣٣٣ .

جرت بين طبيب العرب الحارث بن كلدة والملك الساساني كسرى أنو شروان ٥٣١-٥٧٩م بعد وفود الحارث عليه وقد أعجبه الحارثة ببراعته في معرفة الداء والدواء (١).

٤- النضر بن الحارث بن كلدة .

هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (٢) ابن خالة رسول الله مُحَّد ﷺ (٣) سافر البلدان واجتمع بأفاضل الناس والعلماء وعاشر الأحبار والكهنة وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة وتعلم الطب عن أبيه (٤) وقد نسب النضر إلى طبيب العرب الحارث بن كلدة (٥) واعتبروه ابنه وإن هذا التداخل في ربط اسم النضر بالحارث بن كلدة قد جعل من النضر شخصية مشهورة رغم أنه لا يساوي أي أهمية تاريخية ، فقد كان النضر صاحب أحاديث ومعرفة كبيرة بكتب الفرس وسير ملوكهم وكان شديد العداوى والأذى للرسول الكريم مُحَّد ﷺ فكان يحدث قومه أحاديث الفرس وسيرهم ويقول لأصحابه : ((أينا أحسن حديثا أنا أم مُحَّد وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما أكتتبتها)) (٦) ، وقع النضر أسيرا في معركة بدر الكبرى ٢هـ/٦٢٣م وأمر الرسول ﷺ بقتله لشدة عداوته للإسلام والمسلمين (٧) ولم تذكر المصادر أي نشاط

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص٣٧٣-٣٧٨ ؛ أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٢، ج٢، ص٥٠-٥٥ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤-١٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣١٩ ؛ الزبيري ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) ، نسب قريش ، تحقيق : أ. ليفي بروفنسيال ، (مصر – ١٩٥٣م) ، ص٢٥٥ ؛ النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، تهذيب الأسماء واللغات ، تصحيح : دار الطباعة المنيرية ، (مصر – بلا ت) ، ج٢ ، ص١٢٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٥ .

(٤) الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٥ ؛ علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٨٣ .

(٥) يذكر ابن قتيبة : أن الحارث بن كلدة كان عقيما ولا يولد له وأن أولاده نافع ونفيع وأزده هم منسوبون إليه، المعارف، ص٢٨٨ ؛كما يشير البلاذري : أن أبناء الحارث هم نافع ونفيع وكانوا من الجارية سمية وتزوج الحارث من صفية بنت عبيد بن أسيد بن علاج التثفي فولدت له أزده وأم صفية ولم يكن للحارث ولدا اسمه النضر ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : مُحَّد حميد الله، (مصر – ١٩٥٩م) ، ج١ ، ص٤٨٩ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص١٣٩ ؛ الآلوسي، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٣٣٥ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ج٢ ، ص١٢٦.

(٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٢٠ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص١٤٠ ؛ الزبيري ، نسب نسب قريش ، ص٢٥٥ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٥٥ .

علمي أو طبي يذكر للنضر كما لا يوجد هناك أي دليل يؤكد عمل النضر كطبيب عند قومه .

٥- ابن أبي رمثة التميمي .

من أطباء العرب الذين أدركوا الإسلام وكان مزاولا لأعمال اليد وصناعة الجراحة [١] ، اختلف في اسمه فقيل أنه رفاعة بن يثربي وقيل هو حبيب بن حبان وقيل حبان بن وهب وقيل رفاعي بن يثربي وقيل عمارة بن يثربي وقيل خشخاش [٢] إلا أنه اشتهر بـ ابن أبي رمثة واستمر ابن أبي رمثة يزاول مهنة الطب في عصر النبوة فقد روي أنه قال : ((أتيت رسول الله ﷺ فرأيت بين كتفيه خاتم النبوة فقلت له : إنني طبيب به فدعني أعالجه ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت رفيق والطبيب الله)) [٣] .

٦- ضماد بن ثعلبة الأزدي .

من أزد شنوه كان صديقا للنبي ﷺ قبل بعثته وكان رجلا يتطبب ويرقي ويطلب العلم ، أسلم في أول الإسلام [٤] وكان سبب إسلامه أنه حين قدم مكة معتمرا سمع كفار قريش يقولون مُحَّد مجنون ، فقال في نفسه لو أتيت هذا الرجل فداويته، فجاءه عليه الصلاة والسلام فقال له ضماد : يا مُحَّد إني أداوي من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك فتشهد رسول الله ﷺ وحمد الله وتكلم بكلمات لم يسمعها ضماد من قبل فأعجب بها وقال له : أعدها علي فأعادها الرسول ﷺ فقال ضماد : لم أسمع مثل هذا الكلام قط ، لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا الكلام لقد بلغت قاموس البحر (أي قعره) فأسلم وبايع الرسول ﷺ على نفسه وقومه [٥] .

---

(١) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٥٧ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن مُحَّد بن علي الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب ، تحقيق : مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط١ ، (الهند ، بلا ت) ، ج١٢ ، ص٩٧ .

(٣) ابن صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ/١٠٧١م) ، طبقات الأمم ، (بيروت – ١٩١٢م) ، ص٤٧ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٣-٢٤ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٣٥٢ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢١٠ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢١٠ .

٧- الشمردل .

لا يعرف عن اسمه أو حياته سوى أنه ذكر الشمردل بن قباب الكعبي النجراني من أهل نجران ، وفد إلى النبي مُحَّد ﷺ فنزل بين يدي رسول الله وقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي كنت كاهن قومي في الجاهلية وإنني كنت أتطبب فما يحل لي ؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم : فصد عرق وتحسيم طعنة إن اضطررت ولا تجعل من دوائك شر ما وعليك بالسنا ولا تداوي أحدا حتى تعرف داءه . فقبل الشمردل ركبتي الرسول وقال : والذي بعثك بالحق أنت أعلم مني بالطب [١] .

٨- زينب طبيبة بني أود .

اشتهرت بين العرب ببراعتها في معالجة الجروح وألم العين وجراحتها [٢] وهي من بني أود ، روي عن رجل من الأعراب أنه قال : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد قد أصابني فكحلتني وقالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

امختري ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على الناي زينب

فضحكت وقال : أتدري فيمن قيل هذا البيت ؟ قلت لا ! قالت : فيّ والله أنا هي زينب التي قصدها الشاعر وأنا طبيبة بني أود [٣] ، ولا يعرف عن تاريخ حياتها أي شيء سوى ما ذكر .

وقد احترم العرب قبل الإسلام مهنة الطب وقدسوا الطبيب فكانت له مكانة ذات شرف وحشمة بين الناس كما كان له مركز مرموق ومحترم يوازي مركز شيخ القبيلة باعتبارها حكيمها الروحي [٤] وإن أغلب من مارس مهنة الطب عند العرب قبل الإسلام هم كانوا من كبار السن والعجائز الذين اشتهروا بممارستهم الطبية فقد كان للعمر عند العرب قيمة كبيرة

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٥٥-١٥٦ .
(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٥ ؛ كحاله ، عمر رضا ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، ط٢ ، (دمشق – ١٩٥٨م) ، ج٢ ، ص٥٧.
(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٥ .
(٤) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٩٩ .

في نجاح المعالجة والحصول على الشفاء وذلك باعتبار أن الطبيب المسن ذو خبرة طويلة في الحياة وأن السنين قد زادته في خبراته وإضافة العلم فوق العلم حتى كانوا يثقون به [١] .

المبحث الثاني : الطب في صدر الإسلام

بظهور الإسلام تأسست أرقى حضارة وأسماها عرفتها البشرية على وجه الأرض وذلك بفضل تعاليم الإسلام السمحة والتي حثت على الفضيلة والخير والتسامح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساواة بين الناس وطلب العلم من المهد إلى اللحد وجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وأمرهم بالتضلع من منهل العلم والتزود به مهما كانت الظروف [٢] كما ربط الإسلام طريق العلم بطريق الجنة حين قال الرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ : ((من سلك طريقا يتلمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة)) [٣] ، كما قال عليه أفضل السلام وأزكى التحية : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) [٤] كما نهى نبي الرحمة صلوات الله عليه عن كتمان العلم ووعد العالم الذي لا يبوح بعلمه للناس للاستفادة منه بعذاب شديد حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)) [٥] صدق رسول الله ﷺ .

بهذا نجد أن العلم والتعلم من الأساسيات التي بني عليها الإسلام ومن ضمن العلوم النافعة والمهمة والتي أكد عليها الإسلام علم الطب لما فيه من أهمية لحياة الإنسان وحفظ صحته كما أن فائدته تعود بالخير على الفرد والمجتمع وبانتشار الإسلام وتوسعه ظهر نوع

---

(١) علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٨٩ .

(٢) السعيد ، نشأة الطب ، ص٦٣ .

(٣) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، السنن ، (القاهرة – ١٩٨٨م)، ج٣ ، ص٣٢٠ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن علي الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، مختصر الترغيب والترهيب ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (بيروت – ١٩٨١م)، ص٢٠ .

(٥) أبو داود ، السنن ، ج٣ ، ص٣٢٠ .

جديد من الطب عرف بالطب النبوي والذي شمل على عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة والخاصة بالمرض والشفاء ورعاية المرضى وعيادتهم والدعاء لهم (١) .

كما أن القرآن الكريم المنزل على نبي الرحمة محمد ﷺ قد سن للحياة دستورا محكما لو اتبعه الناس بصدق وإخلاص لسلم المجتمع الإنساني من أشد الأمراض فتكا وأصعبها علاجا والتي استعصت اليوم على أطباء العالم على الرغم مما وصل إليه العلم الحديث من التكنولوجيا والتطور الطبي .

وقد بين القرآن الكريم معلومات طبية توجه الطبيب إلى مزيد من المعرفة الطبية والاستفادة منها ، جاء في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) (٢) .

كان الطب النبوي من جنس الطب الذي عرفته العرب قبل الإسلام ولم يكن من الوحي وقال فيه ابن خلدون ((ليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عاديا للعرب فإنه صلوات الله عليه إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف بالطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على وجه التبرك وصدق العقيدة الإيمانية فيكون له الأثر العظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجي وإنما هو من آثار الحكمة الإيمانية)) (٣).

وقد وجدنا أن للعرب معارفهم وعلومهم قبل الإسلام ووجدناهم قد برعوا في مهنة الطب وكذلك استمر العرب في صدر الإسلام على التزود بالمعارف الطبية حيث يقول ابن صاعد الأندلسي : ((كانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاش صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير

(١) منتصر ، د. عبد الحليم ، تاريخ العلم ودور العلماء والعرب في تقدمه ، (القاهرة – ١٩٨٠م) ، ص١١٥ .

(٢) سورة الحج : الآية ٥ .

(٣) المقدمة ، ص٣٠٩ .

منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس إليها)) [١] وحث الرسول الكريم صلوات الله عليه أصحابه على المداواة طلباً للشفاء فقد جاء جماعة من الأعراب على رسول الله ﷺ وقالوا : ((يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد ، فقالوا : ما هو ؟ قال : الهرم)) [٢] ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بالتداوي وأخذ الدواء وزيارة الأطباء والتداوي عندهم فقد بعث الرسول ﷺ الحارث بن كلدة طبيب العرب إلى (سعد بن أبي وقاص) [٣] لعلاجه من مرض ألم به بمكة [٤] ، ومرض رجل من أهل المدينة فزاره الرسول ﷺ وقال : ((أدعوا له طبيبا ، فقال الحاضرون، يا رسول الله أتعني الطبيب ؟ قال : نعم)) [٥] .

وكان الرسول ﷺ يتداوى ويبعث إلى الحجام فيحتجم من ألم في رأسه وأوصى عليه الصلاة والسلام بالاحتجام فقال : ((من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاء من كل داء)) [٦] ، كما أكد عليه الصلاة والسلام بأركان الطب القديمة وجعلها أساسا في الشفاء فقال : ((الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي)) [٧] .

---

(١) طبقات الأمم ، ص١٢٦-١٢٧ .

(٢) أبو داود ، السنن ، ج٣ ، ص٣ ؛ الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، الطب النبوي، مراجعة : مجموعة من أعلام الطب الحديث ، ط١ ، (مصر – ١٩٦١م) ، ص١٠١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٣) هو سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، من السابقين في الإسلام ، شهد بدرا وجميع الغزوات وولي الولايات من قبل عمر بن الخطاب ﷺ ، فتح العراق سنة ١٥هـ بموقعة القادسية الشهيرة ، كان آخر المهاجرين وفاة ، توفي عن عمر ثلاثة وثمانين عاما سنة ٥٥هـ ودفن بالمدينة ؛ الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد راضي بن حاج عثمان ، ط١ ، (المدينة المنورة – ١٩٨٨م) .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٨٩ .

(٥) الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٠٤ .

(٦) أبو داود ، السنن ، ج٣ ، ص٤ ؛ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٣٤ .

(٧) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري ، (بيروت – بلا ت) ، ج٤ ج٤ ، ص٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص١٣٦ .

وبما أن الإسلام قد نقل العرب من الضلالة والكفر والشرك وعبادة الأصنام إلى النور والعلم وعبادة الله الواحد الأحد ، فقد حرم الإسلام كل أمور الجاهلية والوثنية من الاستعانة بالجن والشياطين وأمرهم بالاستعانة بالله الواحد الأحد والاستعاذة به من شر الشياطين ومن شر ما خلق أجمعين وأن الاستعانة بالأصنام والجن أو ما يأتي به السحرة والكهان والعرافون في طلاسمهم وعزائمهم ورقاهم ما هو إلا شرك وباطل يرفضه الإسلام [١] حتى وإن كان من باب المعالجة الروحية فرفض الإسلام الاعتقاد بالأوهام والخرافات فحرم السحر واللجوء إليه والساحر كافر يقتل بسحره ولا يستتاب ولا تقبل توبته [٢] وقال الرسول ﷺ : ((من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برء مما أنزل الله على مُحَّد)) [٣] ، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تعليق الودع والخرز وما شابه من خيوط معقودة وحلقات وغيرها بنية التبرك والوقاية أو الاستشفاء من الأمراض وإن هذه الأشياء بعيدة عن مجال الإيمان بالله أولا وعن العلم والعلاج الطبي ثانيا بل هي محض وهم ودجل وخرافة وقال عليه الصلاة والسلام : ((الرقى والتمائم والتولة شرك)) [٤] فحرم الإسلام في بادئ الأمر الرقى ثم ثم أذن الرسول ﷺ ببعضها مما ليس فيه شرك ، فقد لدغ بعض أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : ((هل من راق ؟ فقالوا : يا رسول الله إن آل حزم كانوا يرقون رقية الحية فلما نهيت عن الرقي تركوها ، فقال : أدعوا آل حزم فدعوهم فعرضوا عليه رقاهم ، فقال : لا باس بها ، فأذن لهم فرقوا الصحابة بها)) [٥] ، كما أذن الرسول عليه الصلاة والسلام بالرقية من الحسد (العين) عن أم سلمة قالت : أتى رسول الله ﷺ إلى بيته فرأى جارية قد ظهر في وجهها سعفة فقال : استرقوا لها فإن بها نظرة)) [٦] .

---

(١) النسيمي ، د. محمود ناظم ، الطب النبوي والعلم الحديث ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ج٣ ، ص١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٤٨ .

(٣) أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص١٤ .

(٤) ابن ماجه ، أبو الحسن عبد الله بن مُحَّد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، (بيروت – بلا ت)، ج٢ ، ص٣٦٠ .

(٥) النسيمي ، الطب النبوي ، ج٣ ، ص١٥٢ .

(٦) الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٣٤ .

وأصيب (سلمان الفارسي) [١] بالعين يوم الخندق ٥هـ/٦٢٦م ، فكان يعمل عمل عشرة رجال في الحفر حتى عانه (أي أصابه بالعين) (قيس بن أبي صعصعه) [٢] فلبط به (أي صرع) وسقط على الأرض فسأل الصحابة رسول الله ﷺ فقال : مروه فليتوضأ ويغتسل ويكفأ الأناء خلفه ففعل فكأنما حل من عقال [٣] وقال عليه الصلاة والسلام : ((العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)) [٤] وعلم رسول الله ﷺ أصحابه بعض الرقى النافعة منها : ((أذهب الباس رب الناس أشفِ أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما)) [٥] وجاء في صحيح مسلم ((إن الإسلام قد حرم الرقية التي هي من كلام الكفار والرقى المجهولة والتي بغير لغة العرب والتي لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال معناها كفر أو إشراك أو قريبة منه لذا فهي مكروهة ومحرمة ، وأما الرقى بالقرآن والأذكار المعروفة فلا نهي عنها بل هي سنة)) [٦] كما حرم رسول الله ﷺ التداوي عليه وسلم التداوي بالخمور والمسكرات لما فيها من أضرار جسيمة ومصائب عظيمة فهي تؤثر في صحة الإنسان وتسبب له الإصابة بالعديد من الأمراض الجسيمة فضلا عن كونها أداة لانحراف الإنسان عن منهج الحق واتباع الشهوات [٧] قال تعالى : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) [٨] فسأل الصحابة رسول

---

(١) أبو عبد الله سليمان ويقال له سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير أصله من رام هرمز ، وقيل من أصبهان ، كان قد سمع أن نبي سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة ، أسلم وبايع وشهد الخندق سنة ٥هـ ثم شهد الغزوات جميعها وشارك في الفتوحات ، توفي سنة ٣٢هـ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٢ ، ص٦٣ .

(٢) لا يعرف نسبه ولا شخصيته ولا تاريخ وفاته ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص١٢٩ .

(٣) الواقدي ، مُحَمَّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) ، المغازي ، تحقيق : ماردسن جونس ، (القاهرة – ١٩٦٥م)، ج١ ، ص٥١٠ .

(٤) مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) ، صحيح مسلم ، شرح: النووي ، (بيروت – ١٩٨١م) ، مج٧ ، ج١٤ ، ص١٧١ .

(٥) أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص٩ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٣٦١ .

(٦) مسلم ، صحيح مسلم ، مج٧ ، ج١٤ ، ص١٦٩ .

(٧) كشريد ، د. صلاح الدين ، الطب النبوي ، مقالة منشورة في مجلة المؤرخ العربي ، (بيروت – ١٩٨١م) ، ع١٦ ع١٦ ، ص٣٦٢ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ٢١٩ .

رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاهم عنها وعن التداوي بها وقيل له إنها شفاء فقال : ((إنه ليس شفاء ولكنه داء)) [1] كما حرم الإسلام أكل لحوم الخنازير والحيوانات الميتة والدماء لما فيها من جراثيم خطرة وأضرار كثيرة تؤدي إلى إتلاف خلايا الجسم ، قال تعالى : ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [2] ونهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور وأحل باقي اللحوم من الأغنام والأبقار وغيرها [3] ، كما نهى رسول الله ﷺ على التداوي بالسموم أو المواد القاتلة واعتبره أمرا منافيا لأخلاق المسلمين فقد سأل طبيب النبي مُحَمَّد ﷺ عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبي ﷺ عن قتلها ووضعها في الدواء [4] وعلم الرسول ﷺ أصحابه والأطباء عن الامتناع من معالجة الأمراض التي لا يعرفون عنها عنها شيء وأن الطبيب إذا لم يكن لديه علم بالمرض فمن الأفضل أن لا يقوم بعلاجه من باب الحرص والسلامة والحفاظ على أرواح المسلمين فيجب على الطبيب أن لا يقوم بمعالجة مريض دون معرفة كاملة بأمور الطب حيث قال الرسول ﷺ : ((من تطبب ولم يعلم من الطب شيء فهو ضامن [5])) [6] ويحق معاقبة الطبيب لارتكابه الأخطاء إذا لم تكن له علم علم ودراية بالطب .

ومن باب النصائح الطبية والإرشادات الصحية التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة والتي أكدت على حفظ الصحة العامة للفرد والمجتمع وتلافيا لخطر الأمراض السارية والمعدية من المصابين إلى الأصحاء فقد نهى رسول الله ﷺ من الشرب من فم السقا لأنها

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٣٢١ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ الذهبي ، الطب النبوي ، ص١١٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٣ .

(٣) أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص٣٥٤-٣٥٥ ؛ هاشم ، د. مُحَمَّد مُحَمَّد ، التداوي والقرآن الكريم ، ط٢ ، (جدة – ١٩٨٥م) ، ص٦٣ .

(٤) أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص٦ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٣٤٦ .

(٥) ضامن ، والضامن هنا بمعنى الكفيل به أي أن الطبيب الذي ليس له خبرة في الطب يتحمل كافة المسؤولية في حالة وفاة المريض ؛ أبي بكر الرازي ، مُحَمَّد بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، (الكويت – ١٩٨٣م) ، ص٣٨٤ .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ، مج٧ ، ج١٤ ، ص١٧٢ ؛ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٢٨ .

واسطة نقل مهمة للأمراض ، كما نهى عن التنفس في الإناء [١] ومثل هذه الأمور تعتبر دروسا أساسية في الصحة العامة وكذلك هي من أمور الآداب الإسلامية كذلك علم الرسول ﷺ صحابته رضوان الله عنهم أجمعين على عدم إكراه المريض على الطعام لأنه قد يؤدي به إلى السقم ونرى ذلك جليا في حالات التخمة فإن تناول الطعام في التخمة مهلكة لا محالة وإن كره المريض للطعام إنما أتى من سقوط شهوته أو عدم إحساسه بالجوع [٢] وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم)) [٣] وقال أيضا : ((إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمة الطعام والشراب)) [٤] .

وبما أن الإسلام هو دين الله ورسوله فهو دين نظافة وطهارة فقد أكد الإسلام على النظافة الجسدية وربطها بالصلاة عماد الدين وأوضح القرآن الكريم شروط الوضوء بقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا)) [٥] .

فالصلاة شروط في الوضوء ونظافة الملبس والمكان وللوضوء فوائد عديدة فهو يفتح المسام ويزيل الأوساخ والروائح الكريهة ويزيل العديد من الجراثيم الخطرة من الجلد كما فيه فوائد غير النظافة فهو عملية تدليك الأعضاء عند غسلها مما ينشط عمل الدورة الدموية كما أن الصلاة هي رياضة المسلم اليومية لأنها تشمل على حركات رياضية منسقة والتي تنشط كل عضلات الجسم وأعضائه [٦] كذلك فرض الله الصوم على المسلمين وأنه من أفضل الوسائل العلاجية المهمة فهو دواء للمعدة ويقوي الأمعاء على امتصاص المواد الغذائية ويذكر الدكتور ماك فادمن [٧] : ((أن كل إنسان يحتاج إلى الصيام وإن لم يكن مريضا لأن سموم الأغذية

---

(١) أبو داود ، السنن ، ج٢ ، ص٣٣٦ ؛ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٢٨ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٥٢ .

(٣) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٣٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ ؛ الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٠٧ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية ٦ .

(٦) كشريد ، الطب النبوي ، ص٣٦١-٣٦٢ .

(٧) ماك فادمن : من علماء الطب والصحة الكبار في أمريكا في القرن العشرين ومن أشهر معالجي الأمراض بالصيام؛ بالصيام؛ الصيام في الطب الحديث ، مجلة الوعي الإسلامي ، (الكويت – ١٩٦٦م) ، ع٢١ ، ص١٤ .

والأدوية تتجمع في الجسم فتجعله كالمريض وتثقله ويقل نشاطه فإذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعة فتذهب عنه حتى يصفو صفاء تاما)) (١) ومن الأمور الوقائية التي نبه رسول الله ﷺ أصحابه أنه قد نهاهم من الهروب أو الذهاب إلى الأرض الموبوءة بقوله عليه الصلاة والسلام : ((إذا نزل الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه)) (٢) .

وهناك العديد من وسائل الوقاية الصحية التي علمها رسول الله لأصحابه والتي لا يسع ذكرها جميعا ، كما أن رسول الله ﷺ كان يأمر أصحابه بالإكثار من قراءة القرآن والصلاة والدعاء واعتبرها من الوسائل العلاجية الهامة للمسلم لأن في قراءة القرآن شفاء للقلوب وهو خير دواء للجسد وأنه يزيد الإيمان فوق الإيمان ويزيد العقيدة (٣) ، فقد شكى رجل إلى رسول الله ﷺ من وجع في عينيه فقال له الرسول ﷺ : أنظر في المصحف أي اقرأه (٤) كما حث الرسول صلوات الله عليه وسلم أصحابه بزيارة المرضى وعيادتهم والسؤال عنهم والتخفيف من آلامهم وتسليتهم لما فيها من تقوية الروابط الأخوية والاجتماعية والإنسانية وإحساس المريض بأهميته في المجتمع وأنه ذو مكانة عزيزة لدى إخوانه وأقرانه فقال عليه الصلاة والسلام : ((أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني)) (٥) .

كما أشار النبي ﷺ إلى أجر المريض عند صبره على مرضه وأن له أجر عظيم عند الله عز وجل ، قال رسول الله ﷺ : ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كَفَّرَ الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها)) (٦) وقد أحل رسول الله ﷺ الكسب المادي للأطباء ما داموا لا ينتهكون ينتهكون ما حرم عليهم ولأنهم يقومون بعمل خير فيه فائدة لكل المسلمين فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله في جواز ما أخذه من رجل رقاه بفاتحة الكتاب وشفي فأجابه الرسول

(١) فادمن ، الصيام في الطب الحديث ، الوعي الإسلامي ، ع٢١ ، ص١٤ .
(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٥ ؛ أبو داود ، السنن ، ج٣ ، ص١٨٣ .
(٣) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٣٤٥ ؛ الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٤١ .
(٤) الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٤١ .
(٥) أبو داود ، السنن ، ج٣ ، ص١١٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٠٣ .

ﷺ : ((كل فلعمري لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق)) [1] كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعطي الحجام أجره لأنه كسب مشروع [2] كما يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم مؤسس أول مستشفى في الإسلام بعد أن أمر أصحابه بنصب خيمة لرفيدة الأسلمية في مسجده بالمدينة وذلك في غزوة الأحزاب سنة ٥هـ/٦٢٦م وقد حمل إليها (سعد بن معاذ) [3] لعلاجه من جرح قد أصابه [4] وقد أشرف الرسول الكريم صلى الله عليه عليه وسلم بنفسه على علاج سعد بن معاذ فقد كواه عليه الصلاة والسلام بالنار فانتفخت يد سعد فتركه فسال الدم فحسمه الرسول ﷺ أخرى فانتفخت يده فتركه [5] وهذا يدل على معرفة النبي مُحَمَّد بن عبد الله صلوات الله عليه بأمور الطب والكي بالنار وأنه استعمل طب الأعراب في البوادي ورغم ذلك فإن النبي مُحَمَّد ﷺ لم يبعث طبيبا وإنما بعث هاديا ومبشرا ونذيرا للعالم أجمع وأن الأحاديث النبوية الشريفة هي أحاديث طبية وعلمية صحيحة وشملت على نصائح عظيمة وفيها معلومات قيمة ومفيدة كما لا يخفى علينا أهمية كتاب الله العزيز القرآن الكريم في الإرشاد والتوجيه الطبي في ضوء القيمة التي ساقتها الآيات المباركة والتي حوت على المعاني القيمة والمسترشدة للبشرية جمعاء .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٠ .

(٢) الذهبي ، الطب النبوي ، ص٢٢ .

(٣) أبا عمرو بن النعمان بن امرء الاف بن زيد بن عبد الأشهل أسلم على يد الصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنهما ، أصيب سعد يوم الخندق بسهم فعاش بعد إصابته شهرا ، للمزيد أنظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٣ ، ص٨٤-٨٥ .

(٤) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٢٥ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص١١٤ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء عماد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٤٣م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، (القاهرة — ١٩٦٥م) ، ج٣ ، ص٢٠٧ .

(٥) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٢٥ .

المبحث الثالث : الطب في عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦٠م) .

أولا : اهتمام الخلفاء الراشدين بالتدبيرات الطبية .

توحدت صفوف العرب بالإسلام وتوحدت أهدافهم وأمانيهم وأصبحوا أمة واحدة بعد أن كانوا متفرقين متناحرين فيما بينهم ، وأذل الله الشرك والمشركين ونصر عبده وحبيبه المصطفى والمسلمين ، وتوفي الرسول الكريم مُحَّد ﷺ سنة ١١هـ-٦٣٢م عن عمر ثلاثة وستون عاما جعل الله به العرب خير أمة على العالمين (١) وبوفاة الرسول ﷺ انتهى زمن الدولة النبوية وبدأ عصر الصحابة الأفاضل رضوان الله عليهم أجمعين والذي يعرف بعصر الخلفاء الراشدين وسار الخلفاء الراشدين من ١١هـ-٤١هـ على كتاب الله وسنة رسوله ولم يحد أي منهم عن ذلك .

اهتم الخلفاء الراشدون بالعلم والتعلم كما أمرهم رسول الله ﷺ وكان الطب في عهدهم امتدادا لما كان عند العرب قبل الإسلام فضلا عن ما وضعه النبي ﷺ من القواعد العلمية الصحيحة في الوقاية من الأمراض وتجنبها ومن عيادة المرضى والدعاء لهم وربما أن الخلفاء الراشدين قد انتبهوا إلى ما كان في جنديسابور والاسكندرية من العلوم الطبية والعلوم المختلفة وأدركوا جليا بأن منافع هذه المهنة تعود على المجتمع الإسلامي بالخير إلا أن انهماك الخلفاء الراشدين في ترسيخ قواعد الدين الحنيف وتثبيت أركان الدولة الإسلامية وما رافقها من مشاكل حركة الردة وخطر الروم والفرس فأولوا نشر الإسلام ولغة القرآن على كل الأمور الأخرى (٢) وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نقول بأن الخلفاء الراشدين لم يهتموا بالعلوم ولا سيما الطب بل على العكس فقد كانت عناية الخلفاء للأطباء عناية خاصة واهتمام كبير لحاجة المجتمع الإسلامي لهم .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٧١-١٧٢ ؛ الكتبي ، مُحَّد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، عيون التواريخ ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، (القاهرة — ١٩٢٧م) ، ج١ ، ص٤٤٩ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٤٨٤ .

(٢) السامرائي ، د.كمال ، الطب وتاريخه عند العرب ، مجلة المورد ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، مج١٤ ، ص٢١ .

فنجد أن (أبا بكر الصديق) [١] كان يستشير الحارث بن كلدة طبيب العرب فأشار الحارث على أبي بكر الصديق ﷺ بترك الطعام وقال له : ((ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيه سم سنة وأنا وأنت ميتان في يوم واحد عند انقضاء السنة)) [٢] إلا أن هذا الأمر غير صحيح ذلك لأن الحارث قد توفي في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان [٣] وكذلك عندما مرض أبي بكر الصديق ﷺ أرسل إلى الطبيب ليرى ما قد أصابه وألم به [٤] وهذا يؤكد استشارة الصديق ﷺ للطبيب والعمل بما يشير عليه الأطباء، وتوفي أبي بكر الصديق ﷺ من حمى قد أصابته وكانت خلافته سنتين ونصف [٥] وتسلم الخلافة بعد وفاة الصديق (عمر بن الخطاب) [٦] رضي الله عنهما وكان عادلا وتقيا محبا للعلم ، ومن أقواله ((تعلموا العلم وعلموه للناس)) [٧] وأيضا ((كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم)) [٨] كما كانت للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نصائح طبية منها ((إياكم والبطنة فإنها مكسلة للصلاة ومؤدية إلى السقم وعليكم بالاعتدال في قوتكم فهو أفيد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة)) [٩] ومن الأمور الوقائية التي عرفت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنه منع المجذومين من الصلاة مع الناس في المسجد وأمرهم بالابتعاد عن المصلين قدر الإمكان خوفا من تفشي

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد ، بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي صاحب رسول الله ﷺ لقب بالصديق لتصديقه رسول الله في أول بعثته وأول الخلفاء الراشدين ولقب بخليفة رسول الله ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٤٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤١٥ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣ .

(٤) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٥ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٧٠-١٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٤١٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٥ .

(٦) أبو حفصة ، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، لقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل ، ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين ، استشهد سنة ٢٣هـ على يد أبو لؤلؤة المجوسي ، وكانت خلافته عشر سنوات ، الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ج١ ، ص١٤٤ .

(٧) شكر ، د. فارس حسن ، عمر بن الخطاب ، ط١ ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ص١٢٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ص١٢٦ .

(٩) السامرائي ، د. خليل أحمد ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، (بغداد – ١٩٨٣م) ، ص٣٠٦ .

هذا المرض [١] وفرض لهم رزقا من بيت مال المسلمين [٢] وفي خلافة الفاروق ﷺ ظهرت وبشكل واضح طبابة الحروب وتطورت تطورا ملحوظا فنجد في تراثيات الفتوحات العربية الإسلامية حالات بطولية عظيمة ولا سيما بعد أن يثخن جسم المقاتل العربي بالجراح من جراء طعنات السيوف والرماح ولا يستشهد بل يبقى يقاتل بعد أن تعالج جروحه وتضمد [٣] [٣] وهذا يدل على تطور في الطبابة ورعاية الجرحى .

وقد أرسل الأطباء مع الجيوش المحاربة واستخدموا في مداواتهم للمقاتلين عدة أساليب مثل الماء المغلي لغسل مناطق الإصابة والكي بالنار للإحالة دون تلوث الجرح بالجراثيم فضلا عن استعمال الزيوت المغلية والضمادات وشد المناطق المصابة بربط لوقف عملية نزف الدماء [٤] ولا عجب أن نجد الاستعدادات العسكرية والتدابير الطبية عالية المستوى في معارك الفتوحات الإسلامية حيث وضع مشفى خلف معسكر المسلمين في معركة اليرموك ١٣هـ/٦٣٤م يضمد ويطبب به الجرحى من المقاتلين [٥] كذلك أرسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أطباء ضمن إمداداته لجيش سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية ١٥هـ/٦٣٦م حيث كان من ضمنهم الطبيبان (الليثي والأنصاري) [٦] وهما المسؤولان عن العناية بالجرحى من الجند وتطبيبهم [٧] وقد جعل القائد سعد بن أبي وقاص ﷺ مركز إخلاء إخلاء الجند بالقرب من نهر العذيب حيث كانت النساء والصبيان يقومون بعمليات الإخلاء ليلا لينقلوا الجرحى والشهداء إلى معسكر المسلمين لأجل العناية بهم وتضميد جراحهم ودفن

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، مج٧ ، ج١٤ ، ص١٧٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٣٦ ؛ المشهداني ، أركان طه ، الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية في القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، (بغداد – ٢٠٠١م) ، ص١٥٩ .

(٣) جعفر ، د. عامر هاشم ، طبابة الحرب عند العرب ، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر القطري الرابع لتاريخ العلوم عند العرب للفترة من ١٦-١٨ نيسان ١٩٨٨م ، (الموصل – ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٠ .

(٦) لم أجد ترجمة عن هاتين الشخصيتين في كتب التراجم والسير .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٤٨٩ .

شهدائهم [1] وإن دل ذلك إنما يدل على الأهمية العظمى للطب والأطباء وعملهم في الجيش وماله من فوائد كبيرة في تحسين حالة المقاتلين في عمليات الفتوح الإسلامية .

وعندما أصيب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بطعنات (أبو لؤلؤة المجوسي)[2] استعان بالأطباء ودعا الطبيب الحارث بن كعب لينظر في إصابته فسقاه لبنا فخرج اللبن من جرحه غير متغير اللون ، فقال : أعهد يا أمير المؤمنين فقد فرغت (أي قرب أجلك) [3] واستمرت الفتوحات الإسلامية بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ﷺ مما يقطع لنا باستمرار تطور الطبابة الحربية ومشاركتها مع الجيوش الإسلامية الفاتحة في بلاد الشام والعراق إلا أنه لم نجد أي معلومة في المصادر التاريخية خلال فترة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ كما استعان الإمام (علي بن أبي طالب) [4] ﷺ بالأطباء وأدخلهم ضمن صنوف جيشه ففي معركة النهراون سنة ٣٧هـ/٦٥٧م أمر الإمام علي كرم الله وجهه بعلاج ٤٠٠ من مقاتلي الخوارج وقال فيهم : ((احملوهم فداووهم فإذا برئوا أوفدوهم على الكوفة)) [5] كما أن للإمام ﷺ معرفة جليلة بالطب وله فيه حكم وأقوال نافعة وبليغة المعنى، فقال فقال : ((المعدة بيت الداء والحمية رأس الطب)) [6] وقال أيضا : ((كلوا اللحم فإنه

(١) جعفر ، طبابة الحرب عند العرب ، ج١ ، ص١٣٠ .

(٢) فيروز الفارسي الملقب بابا شجاع أصله من نهاوند ، غلام المغيرة بن شعبة ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤، ص١٩٠ .

(٣) ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : نخبة من العلماء ، ط٣ ، (بيروت – ١٩٨٠م) ، ج٣ ، ص٢٧ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ج٢ ، ص١٣ ؛ الذهبي / تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٩٧م) ، ج٣ ، ص١٧٤.

(٤) أبو الحسن علي بن أبي طالب ، واسم أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شبيه الحمد بن هاشم بن عبد مناف نسبه نسب رسول الله ﷺ وحسبه حسب قريب القرابة منه ، أمير المؤمنين وإمام الصالحين المتقين ، ولي الخلافة بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ ، وهو أول من نقل الخلافة من المدينة إلى الكوفة ، واستشهد فيها سنة ٤١هـ ، الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص٥٥٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٨٨ .

(٦) الذهبي ، الطب النبوي ، ص٢٥ .

يصفي اللون ويخمص البطن ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه)) (١) وذكر الإمام علي ﷺ العلوم النافعة للإنسان فقال : ((العلوم خمسة الفقه للأديان والطب للأبدان والهندسة للبنيان والنحو للسان والنجوم للزمان)) (٢) .

وعندما أصيب الإمام علي كرم الله وجهه على أثر الضربة التي وجهت له من (ابن ملجم المرادي (٣)) (٤) أرسل على أثرها إلى العديد من أطباء الكوفة وكان من بينهم أثير بن عمر السكوني طبيب الكوفة وأشهر أطبائها وهو الذي تولى علاج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وجمع له الأطباء إلا أن إصابته كانت شديدة ومسمومة (٥) واستشهد الإمام علي علي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته خمسة سنين إلا أربعة أشهر (٦) .

وباستشهاد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ سنة ٤٠هـ/٦٦٠م انتهى عهد الخلفاء الراشدين ليبدأ عصر جديد عرف بعصر بني أمية .

ثانيا : أشهر الأطباء في عهد الخلفاء الراشدين .

برز العديد من الأطباء في عهد النبي مُحَمَّد ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين وقد أدرك بعضهم العصر الجاهلي وعصر النبوة والخلافة الراشدة وقد برز دور النساء في الإسلام أكثر مما كان عليه قبل الإسلام وأصبحت هناك العديد من النسوة طبيبات بارزات أي لم يقتصر عمل الطب على الرجال فحسب بل ساهمت المرأة إلى جانب الرجل في تطويره والعمل به .

١- الحارث بن كعب .

(١) هاشم ، التداوي والقرآن الكريم ، ص١٢ .

(٢) القنوجي ، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، (بيروت – بلا ت) ، ج٢ ، ص٣٥٣.

(٣) عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، قاتل الإمام علي كرم الله وجهه وقتل بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ سنة ٤٠هـ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(٤) الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٩٧ .

(٥) مُحَمَّد ، د. محمود قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين في فجر الإسلام ، مجلة علوم ، (بغداد – ١٩٩٨م) ، ع١٠٠ ، ص٤٥ .

(٦) الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ج١ ، ص٢٩٣ .

طبيب عاصر النبي مُحَمَّد ﷺ والخلفاء الراشدين أشرف على علاج الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ ، توفي سنة ٢٣هـ ، ولكنه لم ينجح في إنقاذ الخليفة لنفاذ السم في جسده (١) ولا يعرف عن الحارث أكثر من ذلك فلا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة .

٢- أثير بن عمر السكوتي .

أكبر أطباء الكوفة وأبرزهم وأبصرهم بالطب ، عالج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، توفي سنة ٤٠هـ عندما أصيب بطعنة ابن ملجم إلا أنه قد فشل في شفاء الإمام علي ﷺ لكون إصابته بليغة جدا ومسمومة (٢) ولا يعرف عن تاريخ حياته أو وفاته أكثر من الذي ذكر .

ومن النساء اللواتي برزن في الممارسات الطبية هن :

١- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

عن هشام بن عروة قال : كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنهما : ((يا أماه ولا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ﷺ ولا أعجب من علمك الشعر وأيام الناس ولكن أعجب من علمك بالطب ، فقالت : يا عروة إن رسول الله ﷺ قد كثرت أسقامه آخر عمره وكانت تقدم إليه الوفود من كل العرب فينعتون له الأنعات فكنت أعالجها به)) (٣) .

٢- الشفاء بنت عبد الله .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٧٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٢٧٨ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ مُحَمَّد ، الطب عند العرب والمسلمين ، مجلة علوم ، ع١٠٠، ص٤٥ .

(٣) ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، صفة الصفوة ، ط١ ، (حيدر آباد الدكن – ١٣٥٥هـ) ، ج٢ ، ص٨ ؛ الذهبي ، الطب النبوي ، ص١٠٣ ؛ الزبيدي ، رضيه شرهان صالح ، الحركة الفكرية في الفسطاط في القرنين الأول والثاني الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، (بغداد – ٢٠٠٣م) ، ص١١٦ .

بنت عبد شمس بن خلف بن حداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي [1] ، صحابية جليلة ذات عقل وفضل وعلم كانت مختصة بعلاج النملة بالرقى واستأذنت رسول الله ﷺ في ممارسة عملها وقالت : ((يا رسول الله إني كنت في الجاهلية أرقي على النملة وإني أريد أن أعرض رقاي عليك فعرضتها ، فإذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقر رقاها وطلب منها أن تعلم زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها جميعا القراءة والكتابة ومعالجة النملة بالرقي [2] ، توفيت الشفاء في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٠هـ/٦٤٠م [3] .

٣- أم عطية الأنصارية .

هي نسيبة بنت كعب ، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وغزت معه سبع غزوات [4] ، وهي غير نسيبة بنت كعب بنت عمرو المازنية [5] كانت لها معرفة بالطب قبل الإسلام ومارسته بعد إسلامها فكانت تخلف المسلمين في غزواتهم فتصنع الطعام وتقوم على المرضى وتداوي الجرحى [6] .

٤- رفيدة الأسلمية .

من قبيلة أسلم كانت تداوي الجرحى من المسلمين في غزوة الأحزاب سنة ٥هـ/٦٢٦م ، وقد أمر رسول الله ﷺ بإقامة خيمة لها في مسجده بالمدينة ، ولما جرح سعد بن معاذ قال رسول الله ﷺ : ((اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب)) [7] وكان

---

(١) ابن حزم الأندلسي ، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ، جمهرة أنساب العرب ، (القاهرة – ١٩٦٢م) ، ص١٥٠ .

(٢) أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص١٠-١١ ؛ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٠٤-١٠٥ ؛ كحالة ، أعلام النساء ، ج٢ ، ص٣٠٠ .

(٣) كحالة ، أعلام النساء ، ج٢ ، ص٣٠١ .

(٤) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج٢ ، ص٣٩ .

(٥) النويري ، نهاية الإرب ، ج١٧ ، ص٩٤ .

(٦) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج٢ ، ص٣٩ ؛ عيسى بك ، أحمد ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، (دمشق – ١٩٣٩م) ، ص٩ ؛ الشطي ، تاريخ الطب ، ص١٣٦ .

(٧) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٢٥ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج١٧ ، ص١٩١ .

وكان الرسول ﷺ يزور خيمتها في الصباح والمساء [1] وبذلك أصبحت رفيدة صاحبة أول عيادة طبية في الإسلام ومنشئة أول مدرسة للتمريض .

٥- أم عمارة .

نسيبة بنت كعب بن عمرو المازنية [2] اشتركت في غزوة بدر سنة ٢هـ/٦٢٣م ، وكانت تقوم على إسعاف الجرحى ومعالجتهم ، كما شاركت في غزوة أحد سنة ٣هـ/٦٢٤م وكانت أول أمرها تعمل على إسعاف الجرحى ولكن بعد أن رأت رجحان كفة المشركين وتخلف أكثر المسلمين عن رسول الله ﷺ انحازت إلى صفوف المقاتلين للدفاع عن النبي ﷺ وأصيبت بعدة جراح حتى استشهدت في المعركة [3] وأم عمارة من الآسيات اللواتي كن يشاركن الرجال في المعارك ويمكن اعتبارها أول ممرضة في الإسلام .

٦- أميمة بنت قيس الغفارية .

من قبيلة غفار ، تزعمت الآسيات في غزوة خيبر سنة ٥هـ/٦٢٦م ، ولم تبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، كانت تعالج الجرحى وتضمدهم ولعظيم بلائها فقد قلدها الرسول مُحَمَّد ﷺ قلادة هي أشبه بالوسام الحربي في وقتنا الحاضر لعظيم بلائها وشدة حرصها وظلت هذه القلادة تزين صدرها طوال حياتها ودفنت معها عملا بوصيتها [4] .

٧- أم أيمن .

اسمها برقة مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته ورثها عن أبيه عبد الله فأعتقها حينما تزوج من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي من المهاجرات ، حضرت أم أيمن غزوة أحد سنة ٣هـ

---

(١) النويري ، نهاية الإرب ، ج١٧ ، ص١٩١ ؛ علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٣٨٧ ؛ كحالة ، أعلام النساء ، ج٢ ، ص٤٥١ .

(٢) النويري ، نهاية الإرب ، ج١٧ ، ص٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١٧ ، ص٩٤ ؛ مُحَمَّد ، الطب عند العرب ، مجلة علوم ، ع١٠٠ ، ص٤٥ .

(٤) عوض ، د. هنري أمين ، الجراحة في العصر الإسلامي ، بحث منشور ضمن وقائع الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب للفترة من ١٣-١٥ شباط ١٩٨٩م ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ص٣٢ .

وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى ، كما شهدت غزوة الأحزاب وخيبر سنة ٥هـ ، وتوفيت في آخر خلافة عثمان بن عفان ﵁ [١] .

وهناك من الكثير من النساء المسلمات اللواتي عملن بالطب منهن أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنهما وسودة بنت مسرح قابلة من قابلات العرب المشهورات وغيرهن العديد من الصحابيات الجليلات [٢] .

والملاحظ على الطب في عهد النبي مُحَمَّد ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين رضوان الله عنهم أجمعين أنه كان من جنس الطب الذي عرفته العرب قبل الإسلام كما أن أبرز أطبائه من العرب والمسلمين .

المبحث الرابع : الطب في العصر الأموي(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م).

نبذة تاريخية :

باستشهاد الإمام علي ﵁ سنة ٤٠هـ/٦٦٠م انتهى ما يعرف بعصر الخلفاء الراشدين [٣] فبايع أهل الكوفة الإمام (الحسن بن علي بن أبي طالب) [٤] رضي الله عنهما ، كما بايع أهل الشام (معاوية بن أبي سفيان) [٥] وكان الإمام الحسن ﵁ رجلا ورعا يخاف الله كارها للخلافة ، فقال : ((لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه تباعه وأوزاره)) [٦] وتنازل بذلك الإمام الحسن ﵁ عن حقه في الخلافة إلى

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج٢ ، ص٢٩ .

(٢) مُحَمَّد ، الطب عند العرب والمسلمين ، مجلة علوم ، ع١٠٠ ، ص٤٥ .

(٣) الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٩٧ .

(٤) أبو مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب بن عبد هشام بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، سبط رسول الله ﷺ ، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٤٩٢ .

(٥) أبا يزيد بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، مؤسس الخلافة الأموية من الصحابة الأجلاء ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٤٣٣ .

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢١١ ؛ المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف ، (بيروت – بلا ت) ، ص٣٠٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٠٣-٢٠٤ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٨٦-١٨٧ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء ، ج١ ، ص١٥٩ .

معاوية حقنا لدماء المسلمين وكانت خلافته سنة وشهران [1] وبتنازل الإمام الحسن ﵁ أصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين ليبدأ عهد جديد في تاريخ الدولة العربية الإسلامية .

أولا : اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلوم الطبية .

ما أن استتب الحكم لبني أمية حتى بدأت الثقافة العربية تتوسع لا سيما مع توسعات رقعة الدولة الإسلامية فأصبحت سلطات الخليفة الأموي من الصين شرقا حتى الأندلس غربا وقد اهتم خلفاء بني أمية اهتماما كبيرا بالثقافة والعلوم المختلفة فكانوا قادة العلوم والفنون فوجهوا اهتمامهم إلى العلوم الدنيوية كالطب والفلك والحساب وغيرها والتي كانت تزخر بها البلاد المفتوحة ولا سيما البلدان الناطقة باللغة اليونانية [2] فامتزجت بذلك الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات القديمة من فارسية وهندية ويونانية وقبطية والتي كان يدين أصحابها بمختلف الديانات السماوية والوثنية والمجوسية وغيرها [3] فتطورت في عصرهم الطبابة الحربية بشكل كبير من الناحية التنظيمية والإدارية والفنية فأصبحت في الجيش الأموي المشافي الحربية وبنوعيها الثابتة والمتنقلة والتي يشرف عليها أفضل الأطباء والجراحين [4] وكلما يذهب أمير أو أو خليفة لقيادة الجيش فإنه يستعين بخيرة الأطباء للعناية به وبجيشه واستعمل أول مرة في عصر الأمويين المحامل الطبية على الجمال والبغال لنقل الجرحى والمصابين كما أصبحت هناك وحدة المشافي وهي من الوحدات الأساسية في الجيش الأموي [5] .

كما اهتم الخلفاء الأمويون بأمور الرعاية الطبية فكان أول مشفى في عهدهم قد أنشأه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨هـ/٧٠٦م وبشكل نظامي وجعل فيه العديد من الأطباء كما حجر فيه المجذومين كي لا يختلطوا بعامة الناس [6] وأجرى عليهم الأرزاق والأعطيات

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢١١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٠٤ .

(٢) فهد ، د. بدري مُحَّد ، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، (بغداد – ١٩٨٨م) ، ص١٦٨ .

(٣) عبد الرحمن ، د. حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، (الموصل – ١٩٧٧م) ، ص٤٠ ؛ فروخ ، د. عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ط٣ ، (بيروت – ١٩٨٠م) ، ص٢٧٤ .

(٤) جعفر ، طبابة الحرب عند العرب ، ج١ ، ص١٣٠ .

(٥) جعفر ، طبابة الحرب عند العرب ، ج١ ، ص١٣١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٢٧ ؛ المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، كتاب الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزي ، (بيروت – بلا

ومنعهم من السؤال وأعطى لكل مقعد خادما ولكل ضرير قائدا [١] كما خصص الوليد بيوتا لكل نوع من أنواع الأمراض وعزل المصابين به لئلا تنتقل الأمراض ووقف المال لبيوت البرص والعرج كما كانت هناك دور للمصابين بالأمراض الخبيثة [٢] وبهذا فإننا نجد أن العهد الأموي قد أحدث نقله عظيمة في تطوير علم الطب من الناحية الفنية والعلمية ويعود الفضل إلى رعاية الخلفاء والأمراء الأمويين للطب والأطباء والاهتمام بهم وقربوهم وأسكنوهم في دورهم وقصورهم وأجلسوهم في مجالسهم ونادموهم مما جعل هؤلاء الأطباء يعطون ثمرة جهدهم لهؤلاء الخلفاء .

ثانيا : أشهر أطباء العصر الأموي .

اعتمد خلفاء بني أمية طوال فترة حكمهم على العديد من الأطباء النصارى واليهود واستعملوهم في بلاطهم لعلاجهم وعلاج خواصهم وعوائلهم [٣] فكانوا بذلك أول من أدخل الأطباء الأجانب إلى حاشيتهم وعاملوهم معاملة حسنة وأغدقوا عليهم الأموال والأعطيات نظير خدماتهم الطبية إلا أن المعلومات المتوفرة عن أطباء العصر الأموي تكاد تكون نادرة وقليلة كما أن عدد الأطباء قليل قياسا إلى فترة حكمهم والتي استمرت إحدى وتسعين سنة فليس من المعقول أن لا يكون في أقطار الخلافة من الصين وحتى الأندلس إلا بضعة أطباء في دمشق والكوفة والبصرة ولا نعرف عن أطباء المغرب أو الأندلس أو خراسان أي شيء وقلة المعلومات لا تعطي دليلا على عدم وجود أطباء في تلك البلدان ، ومن أبرز الأطباء الذين ارتبطوا ببيت الخلافة الأموي هم :

١- الساعدي .

لا يعرف عنه أكثر من هذا الاسم وربما يكون الساعدي هو لقب كان يطلق عليه ، اشتهر بمعالجته لمعاوية بن أبي سفيان عندما أصيب بطعنة التي وجهت له من البرك بن عبد الله فقد ضرب البرك معاوية في اليته عند أدائه للصلاة ليلة استشهاد الإمام علي بن أبي

ت) ، ج٢ ، ص٤١٥ ؛ الجراري ، عبد الله بن العباس ، تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ، ط١ ، (القاهرة — ١٩٦١م) ، ص٦٤ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٢٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٥ .

(٢) حتي ، د. فليب ، تاريخ العرب المطول ، ط٤ ، (بيروت — ١٩٦٥م) ، ج١ ، ص٢٨٨ .

(٣) السامرائي ، مختصر تارخ الطب ، ج١ ، ص٢٥٣ .

طالب ﷺ ولم يقتل معاوية فأمر باستدعاء طبيبه الساعدي وكان طبيبا ماهرا عارفا بأمور الصنعة وما أن نظر الساعدي إلى الطعنة قال لمعاوية : ((اختر أحدى خصلتين إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فإن ضربتك مسمومة ، فقال معاوية : أما النار فلا صبر لي عليها وأما انقطاع الولد فإن لي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه الساعدي شربة فبرئ)) [١] ولم يولد لمعاوية ولد بعدها [٢] .

٢- أبو الحكم الدمشقي .

عرف بلقبه ولم يعرف باسمه الكامل نصراني المذهب عالما بأنواع العلاج والأدوية المركبة خبيرا بالوصفات العلاجية كان مقربا جدا من معاوية بن أبي سفيان وطبيبه الخاص وكان يعتمد عليه ويستطبه في علاجه وعلاج أهله وذويه [٣] ، عاش أبو الحكم من العمر طويلا حتى تجاوز المئة عام فخدم بذلك معاوية (ت ٦٠هـ/٦٧٩م) وابنه يزيد أميرا وخليفة (ت ٦٤هـ/٦٨٣م) ، ومروان بن الحكم (ت ٦٥هـ/٦٨٤م) ، وعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) وابنه الوليد (ت ٩٦هـ/٧١٤م) [٤] ويذكر أنه منع عبد الملك بن مروان من شرب الماء لعلة قد أصابته وأعلمه أنه متى شرب الماء قبل نضج علته مات فاحتمى عبد الملك عن الماء يومين ولكن عندما دخل ابنه الوليد وولي عهده عليه وسأله عن حاله وهو يتبين في وجه الوليد السرور بقرب أجله أجابه عبد الملك :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى   ومستخبرات والدموع سواجم [٥]

ودعا بشرب الماء فشرب منه فقضي عليه من ساعتها [١] ، وتميز أبو الحكم الدمشقي عن باقي أطباء معاوية بأخلاقه الحميدة والرأي الراجح وإحكامه لفنون الصنعة [٢] ولم يترك يترك أبو الحكم أي مؤلف طبي .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٩٨ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٥٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص١٩٨ ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الله بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (بيروت – بلا ت) ، ج١ ، ص١٠ .

(٣) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٤) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء، ج٢ ، ص٢٨ ؛ السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩ .

٣- الحكم الدمشقي .

هو الحكم بن أبي الحكم الدمشقي ، تعلم الطب عن أبيه وبرع في المداواة الطبية والوصفات البارعة ، كان مقيما مع والده بدمشق عاصمة الخلافة الأموية [٣] مارس الطب في قصر الخلافة الأموية وكان مقربا عند خلفائهم أمينا على صحتهم عاش من العمر طويلا وأدرك حكم بني العباس في ثلثي عمره الأخير ، توفي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م ، ولم يتغير عقله أو ينقص من علمه شيء [٤] ولم يترك الحكم أي مؤلف طبي .

٤- ابن أثال .

طبيب نصراني المذهب وعلم من أعلام الطب في العصر الأموي ، كان من أبرز أطباء البيت الأموي بدمشق أصطفاه معاوية لنفسه وأحسن إليه وأصبح نديمه وطبيبه الخاص والمقرب إليه ، كان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها ، كما كانت له براعة خاصة في صناعة السموم القواتل [٥] وربما كان معاوية يستعين به للتخلص من خصومه السياسيين [٦] ، كما يتهم بأنه قد سم الإمام الحسن ﷺ [٧] إلا أن ذلك غير صحيح على الرغم من أن الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما قد توفي مسموما سنة ٤٩هـ/٦٦٩م ، إلا أن زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس هي من سمته ، ولم يكن لابن أثال أي دور في قتله [٨] على الرغم من أن ابن أثال لم يكن ذا خلق حسن أو سيرة محمودة وقد مات مقتولا [٩] ولم يترك أي مؤلف طبي .

٥- ماسرجويه البصري .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩ ؛ فهد ، تاريخ الفكر ، ص١٦٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٩ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٥ .

(٧) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٤١ .

(٨) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢١٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٢٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٩٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢١٧ .

(٩) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٦ .

طبيب سرياني اللغة يهودي الديانه [(١)] وقيل أن أصله فارسي [(٢)] درس الطب في جنديسابور ثم استوطن البصرة ، يجيد ماسرجويه السريانية والعربية وتولى أيام مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م) تفسير بعض الكتب إلى العربية [(٣)] ويعتبر عمله ذاك أول خطوة من خطوات الترجمة المنظمة من لغة إلى لغة أخرى إلا أن ترجمته قد أخفيت عن الأعين إلى أن ظهرت في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) وأمر الخليفة بنشرها والاستفادة منها بعد أن تمت مراجعتها من قبل مجموعة من علماء الدين [(٤)] ، ترك ماسرجويه عدة مؤلفات طبية منها كناشة في الطب وكتاب الغذاء وكتاب العين [(٥)] [(٥)] توفي ماسرجويه سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م [(٦)] .

٦- تياذوق .

طبيب فاضل متقدم في مهنة الطب وله نواد وألفاظ طبية مستحسنة عاش من العمر طويلا وكان في أول دولة بني أمية مشهورا عندهم بالطب [(٧)] واختص بخدمة (الحجاج بن يوسف الثقفي) [(٨)] وأصبح طبيبه الخاص ونديمه وكان الحجاج يعتمد عليه ويثق بمداواته [(٩)]

---

(١) ابن سينا ، القانون ، ج٤ ، ص١٧ ؛ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٢ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٣) ابن سينا ، القانون ، ج٤ ، ص١٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٢ .

(٤) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦١ .

(٥) ابن سينا ، القانون ، ج٤ ، ص١٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٢ .

(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٤ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٢ .

(٨) أبو مُحَّد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود الثقفي ، من أهل الطائف ، أشهر ولاة بني أمية وأشدهم قوة ، ولاه عبد الملك بن مراون العراق وخراسان ، كان له دور كبير في تثبيت حكم بني أمية والقضاء على الفتن والاضطرابات ، توفي سنة ٩٥هـ/٧١٣م ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت — بلا ت)، ج١ ، ص٣٨٩ .

[1] اعتمد تياذوق في معالجته على القواعد الطبية الصحيحة في الوقاية من الأمراض وكان معتمدا في علاجه على الوسائل الطبية بالحمامات والتسميد والفصد واستفراغ فضلات البدن بالمقيئات والمسهلات [2] ولتياذوق حكم طبية نافعة وأنه كان ينصح كل من يسأله ولما رأى الحجاج كبر سنه وخشي عليه من الموت قال له : ((صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي وأعمل به أيام حياتي فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت ولا أجد مثلك . فقال تياذوق : أقول لك عشرة أبواب إن عملت بها واجتنبتها لا تعتل مدة حياتك وهذه لا تأكل الطعام وفي معدتك طعام ولا تأكل ما يضعف أسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فاصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل إليه الدواء وإكثار الدم في بدنك تحرص به نفسك وعليك في كل فصل قيئة مسهلة ولا تحبس البول إن كنت راكبا واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة ولا تقرب العجوز فإنه يورث الموت الفجاء)) [3] وما إن سمع الحجاج كلامه أمر بكتابته بالذهب الأحمر ووضعه في صندوق وبقي يعمل به إلى أن جاءه الموت الذي لا بد له ولا محيص عنه [4] وكان لتياذوق عدد من التلاميذ الذين تقدموا في صناعة الطب من بعده وأشهرهم فرات بن شحناتا اليهودي والذي أدرك حكم العباسيين وكان طبيبا فاضلا متقدما في صناعته متقنا لها كما دخل في خدمة الحجاج وأصبح طبيبه الخاص بعد وفاة تياذوق [5] توفي تياذوق سنة ٩٠هـ/٨٠٧م [6] وله عدة مؤلفات طبية أشهرها كناشة في

---

(١) ابن النديم ، أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، الفهرست ، تحقيق : رضا تجدد ابن علي ، (طهران – ١٩٧١م) ، ص٣٧٥ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٤ ؛ المعاضيدي ، د. عبد القادر سلمان ، واسط في العصر العباسي ، (بغداد – ١٩٨٣م) ، ص٣١٨ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٦١ .

(٣) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤ .

(٥) ابن القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٤ ؛ المعاضيدي ، واسط في العصر العباسي ، ص٣١٨ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٣٩٠ .

في الطب ، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإذابتها، كتاب تفسير أسماء الأدوية [1] ، كتاب الفصول في الطب [2] .

٧- عبد الملك بن أبجر الكناني .

هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر الهمداني ويقال له الكناني الكوفي [3] لا يعرف له تاريخ ولادة كان طبيبا ماهرا بفنون الصنعة ومقيما في أول أمره بالإسكندريه لأنه تولى التدريس بمدرستها عندما كان يحكمها ملوك النصارى [4] ، أسلم ابن أبجر على يد عمر عمر بن عبد العزيز عندما كان أميرا وأصبح صديقه ونديمه [5] وكان عمر يعتمد عليه ويستطبه ويبعث إليه بمائه ليفحصه إذا تمرض [6] وعندما تولى عمر بن عبد العزيز مقاليد الخلافة ٩٩هـ أصبح ابن أبجر طبيبه الخاص وقد بعثه الخليفة عمر إلى إنطاكيا فانقطعت أخباره عن المؤرخين [7] ولابن أبجر حكم طبية نافعة فيذكر أنه قال : ((المعدة حوض الجسد الجسد والعروق تشرع فيه فما ورد فيها بصحة صدر بصحة وما ورد فيها بسقم صدر بسقم)) [8] ولم يترك ابن أبجر أي مؤلف طبي يذكر .

٨- خالد بن يزيد الأموي .

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي [9] ويعرف بحكيم آل مروان مروان [10] كان فاضلا في نفسه محبا للعلم وأهله وله بصمة خاصة في تاريخ العلوم [11] اهتم بالطب والكيمياء وهو أول من أمر بنقل كتب الطب والكيمياء وترجمتها من اللسان اليوناني

---

(١) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٥ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٦٣ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، مج٦ ، ص٣٩٤-٣٩٥ .

(٤) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٦) ابن صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص١٢٧ .

(٧) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٨) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٥ .

(١٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٣ .

(١١) المصدر نفسه ، ص٣٠٣ ؛ ابن صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص٢٥ .

والقبطي إلى اللغة العربية [١] ويعتبر ذلك الأمر أول نقل وترجمة في الإسلام من لغة إلى لغة وبشكل رسمي واستقدم خالد بن يزيد من الإسكندرية مجموعة من علماء اليونان ليتعلم منهم صناعتي الكيمياء والطب فتعلم الطب على يد (يحيى النحوي [٢]) [٣] فترجمت له العديد من الكتب والتي جعلت في خزانته بدمشق وكان خالدا محبا لمجالس العلماء ويغدق عليهم من أمواله الخاصة [٤] حتى أصبح خالد بن يزيد متقننا لصنعتي الطب والكيمياء وله رسائل تدل على معرفته وبراعته بهما [٥] ، توفي خالد بن يزيد في سنة ٨٥هـ/٧٠٤م [٦] ومع ذلك لا يمكن اعتبار خالد بن يزيد حكيم آل مروان من طبقة الأطباء الذين مارسوا المهنة وبرعوا فيها ونالوا المكاسب والشهرة ولكن يمكن اعتباره أحد المساهمين في تطوير مهنة الطب .

٩- بدراقس .

طبيب (سكينة بنت الحسين) [٧] رضي الله عنهما الخاص كان بارعا في علم الطب متقننا لفنون الصنعة ولا سيما في الجراحة [٨] فقد عالج سكينة من (سلعة) [٩] ظهرت في أسفل عينها بعملية جراحية في غاية البراعة والدقة وبرئت سكينة منها ولم تؤثر في نظرها أو تشوه وجهها سوى أنها تركت أثرا صغيرا في مؤخرة عينها [١٠] وهذا يدل على براعة بدراقس

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٣ ؛ الشطي ، د. أحمد شوكت ، مختصر تاريخ الطب وطبقات الأطباء ، (دمشق (دمشق – بلا ت) ، ص١٣ .

(٢) ثامسطيوس المصري الإسكندراني ويعرف بيحيى النحوي نصراني الديانة يعقوبي المذهب كان عالما بالطب وفيلسوفا وفيلسوفا حكيما فاضلا في مهنته وله تصانيف كثيرة ، تولى التدريس في مدرسة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي لمصر وليحيى عدة تصانيف طبية ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٣٢-٢٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٣٤ ؛ دروزه ، د. مُحَمَّد عزة ، تاريخ الدولة الأموية ، ط١ ، (مصر – ١٩٦٤م) ، ج٨، ص٦٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٢٤ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٥ .

(٦) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص١٤ .

(٧) سكينة بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قيل اسمها أميمة وهو الأرجح ولقبت بسكينة وهي زوجة مصعب بن الزبير فهلك عنها وماتت سنة ٧١هـ/٦٩٠م ، ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ ، ص٣٤٨ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٦ ، ص١٦٩ .

(٩) السلعة : غدة صغيرة تظهر تحت الجلد وتكون بين الجلد واللحم ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨، ص١٦٠.

(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٦ ، ص١٦٩ .

في فن الجراحة والتجميل كما يدل على تطور مستوى العمل الجراحي لدى الأطباء في العصر الأموي .

ومن ذلك يمكننا اعتبار أن العصر الأموي هو حجر الأساس في النهضة الطبية والتي سيشهدها العصر العباسي من تطور في كافة فروع علم الطب .

الفصل الثاني : أسباب تطور علم الطب في العصر العباسي الأول .

المبحث الأول : اهتمام الخلفاء العباسيون بالعلوم .

يمكن اعتبار السمة البارزة في تاريخ الدولة العباسية هي اهتمام خلفائها بتعميم المعرفة وتعضيد من يعمل بها فاشتهر خلفاء بني العباس بحبهم الكبير للعلوم والتوسع فيه وكان ولعهم بالعلوم اليونانية بصفة خاصة فبذلوا الكثير من الأموال والأعطيات والهدايا لشراء المخطوطات

والكتب العلمية والاحتفاظ بها [١] كما فتحوا أبواب عاصمتهم الجديدة بغداد أمام الكثير من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم وأغدقوا عليهم الأعطيات وبالغوا في تشريفهم وتشجيعهم بغض النظر عن مللهم وعقائدهم وجنسهم فأصبحت بغداد عاصمة الدنيا في العلوم والفنون والآداب [٢] ولم يكن خلفاء بني العباس هم الوحدين المهتمين بجمع العلوم ونشرها بل تبعهم في ذلك وزراؤهم وأمراؤهم وبعض الأسر العلمية ذات النفوذ والثروة بل وزادوا في إكرام العلماء وأعلوا منزلتهم ، ومن أهم العلوم التي رفدها الخلفاء العباسيون الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والتي أبدع فيها العرب والمسلمون وطوروها باكتشافهم وابتكاراتهم الجديدة [٣] وكان لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية في العهد العباسي أثر كبير كبير في زيادة ثرواتها ورواج تجارتها كما كان لقوة خلفائها وعظمتهم الأثر البالغ في خلق نهضة علمية وثقافية لم يشهد لها التاريخ من قبل .

وتعود أولى بدايات الاهتمام بالعلوم إلى الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) والذي يعد أول خليفة عباسي يقرب المنجمين ويعمل بأحكام النجوم [٤] كما كان له اهتمام بالطب والهندسة والأدب إلى جانب اهتمامه بالحديث والتاريخ والشعر [٥] فيذكر ابن صاعد الأندلسي أبي جعفر المنصور فيقول : ((فكان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور فكان رحمه الله مع براعته في الفقه وتقدمه في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم كلفا بها وبأهلها)) [٦] . ويذكر أن

(١) باز ، د. خليل ، بغداد ودورها الرائد في تفوق العرب على اليونان في منجزات الطب ، مجلة المورد ، (بغداد – ١٩٧٩م) ، مج٨ ، ع٤ ، ص٣١٩ .

(٢) عاشور ، د. سعيد عبد الفتاح وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ط٢ ، (الكويت – ١٩٨٦م) ، ص٨٨ .

(٣) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٤ ، (دمشق – ١٩٦٤م) ، ص٤٨٨ .

(٤) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٤٥م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ج٤ ، ص٢٤٠ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧١ .

(٦) طبقات الأمم ، ص٤٨ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر دول ، ص١٣٦ .

المنصور كان كارها للهو والطرب كامل العقل محبا للعلم والأدب فقيه النفس [(١)] ولولع المنصور بالعلوم فقد اشترط في إحدى معاهداته مع إمبراطور الروم أن يعطيه عوض الجزية كتبا من آثار الحكماء اليونان القديمة [(٢)] ونظر المنصور في العلوم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم [(٣)] كما أنه أول من أمر بنقل الكتب العلمية وترجمتها [(٤)] وكان أبي جعفر يرحل في طلب العلم قبل الخلافة [(٥)] كما كان الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) محبا للعلم فكان فكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء وتأدب منهم ونادمهم وأصبحوا ذا حظوة ومكانة عنده [(٦)] وما أن ارتقى هارون الرشيد مقاليد الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) حتى حتى أصبحت بغداد حاضرة العلم والعلماء فكان الرشيد محبا للعلم مقربا للعلماء مكثرا من مظاهر الترف والقوة حتى صار اسمه مرادفا لكل سمات العظمة والرفاهية [(٧)] كان الرشيد فصيح اللسان محبا للعلم وأهله [(٨)] حسن الرأي والتدبير لين الجانب مكرما للعلماء والشعراء [(٩)] معظما لشأنهم ورافع من قدرهم [(١٠)] متواضعا لأهل العلم والدين [(١١)] وكان كثيرا ما يتلثم

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٥٩ ؛ الديار بكري ، حسين بن مُحَمَّد بن الحسن (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس ونفيس ، (بيروت – بلا ت) ، ج٢ ، ص٣٢٤ .

(٢) البغدادي ، أديب التقي ، التاريخ العام ، ط١ ، (دمشق – ١٣٤١هـ) ، ج١ ، ص١٤٦ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٤١ .

(٤) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٩ ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٣٣٠ .

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٣ .

(٦) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤١ .

(٧) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(٩) ابن الكازروني ، ظهر الدين علي بن مُحَمَّد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : مصطفى جواد ، (بغداد – ١٩٧٠م) .

(١٠) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(١١) ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : سهيل زكار ، (بيروت – ١٩٩٥م) ، ج٥ ، ص٢٤٧١ .

ويحضر مجالس العلماء (١) وكانت أيام الرشيد كلها خيرا كما وصفها السيوطي : ((كأنها من من حسنها أفراحا)) (٢) وجاء اهتمام الرشيد بالعلم لأنه قد درس على أيدي كبار الأساتذة الأساتذة والعلماء من القضاة ورجال التشريع (٣) وامتاز عهده بحركة علمية واسعة امتازت بجلبة للكتب العلمية اليونانية والفارسية كما نشطت في عهده حركة منظمة للترجمة والنقل والتأليف فاهتم بإيجاد خزائن واسعة للكتب جمع فيها مختلف العلوم العقلية والفلسفية (٤) وبلغ من اهتمامه بالعلم أنه كان يقبل الجزية كتبا (٥) فضلا عن بعثه بالرسل إلى بلاد الروم ليشتروا المؤلفات والمخطوطات العلمية اليونانية وجلبت هذه العملية القدر الكبير من العلوم الهامة إلى حاضرة الخلافة بغداد (٦) ورفد الرشيد الحركة العلمية بنقله معملا للورق من سمرقند كان قد أسسه الأسرى الصينيون لدى الحامية الإسلامية في المدينة (٧) وبانتشار الورق توفرت توفرت مواد الكتابة للمترجمين والمؤلفين وانتعشت بذلك الفعاليات العلمية والفكرية وسهل هذا الأمر على فائدة طلاب العلوم المختلفة .

وقد منح الرشيد كامل الحرية والتكريم للعلماء ورفدهم بكل ما يحتاجونه من أموال ولوازم الكتابة فأصبحت بغداد في أيامه قبلة العلم والعلماء (٨) .

وفي عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) ازدهرت العلوم العقلية بشكل كبير وواسع وكان المأمون قد سمع الحديث في صغره وبرع في الفقه واللغة العربية وتعلم أيام الناس والأدب وبكبره عني بالعلوم الفلسفية وعلوم الأوائل حتى مهر فيها فكان يمتحن

(١) ابن قتيبة ، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، الإمامة والسياسة ، (القاهرة — ١٣٤٤م)، ج٢ ج٢ ، ص١٥٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، ص٢٨٤ .

(٣) الجنابي ، د. عجمي محمود خطاب ، هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده ١٧٠-١٩٣هـ ، (بغداد — ١٩٨٩م) ، ص٢٨ .

(٤) حمادة ، د. مُحَمَّد ظاهر ، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومعاهدها ، (بيروت — ١٩٧٠م) ، ص٥٦ .

(٥) الدفاع ، د. علي عبد الله ، موجز التراث العربي الإسلامي ، (بيروت — ١٩٧٧م) ، ص٢٠٣ .

(٦) دي لاسي ، أوليري ، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة : وهيب كامل ، (القاهرة — ١٩٦٢م)، ص٢٠٨ .

(٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٩ .

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٤٢ .

العلماء ويغدق على العارفين والمتكلمين منهم واشتمل فيه الحزم والعزم والعقل والعلم والحلم والشجاعة [١] فكان المأمون نجم الخلافة العباسية وآل البيت العباسي في العلم والحكمة فكان يشارك في علوم كثيرة حسن التدبير بها [٢] وكان مهتما بنقل علوم الأقدمين [٣] وقد أتم ما بداه أبوه وجده من رعاية العلماء والعلوم وحرص على طلب العلوم من مواضعها فداخل ملوك الروم وأغدق عليهم الأموال والهدايا سائلا أن يصلوه بما لديهم من كتب العلوم فبعثوا إليه الكثير منها واستجاد لها أمهر التراجمة وكلفهم بترجمتها فترجمت له غاية الروعة ثم حرض الناس على قرائتها وتعلمها [٤] وكان يأمر بعقد المجالس العلمية والتناظر في الأديان والعلوم والفنون وغيرها [٥] كما خصصت في أيامه العطايا والمنح للرحلات العلمية (الإيفادات) والتي تمت في إطار البحث عن المؤلفات والمخطوطات العلمية كالبعثة التي أرسلها المأمون إلى القسطنطينية لإحضار الكتب [٦] وكان المأمون كثير الخلوة بالعلماء ويأنس بمناظرتهم علما منه منه بأن أهل العلم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس وزهدوا في الدنيا وتنافسوا في دقة الصنائع العلمية فكان أهل العلم في نظره مصابيح الدجى وسادة البشر بعد الأنبياء والمرسلين [٧] واستمرت الهبات والأعطيات من لدن الخلفاء الخلفاء لأصحاب الإنجازات العلمية الرصينة فخلقت روحا من التنافس الشريف بين أهل العلم لكسب المال والجاه والشهرة وبذلك فإن اهتمام الخلفاء العباسيون قد أعطى ثماره في التفوق العلمي والطبي بوجه الخصوص كما سنلاحظ ذلك جليا في فصول لاحقة فأصبحت

(١) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٣٣٤ .

(٢) القلقشندي ، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد ، ط١ ، (بيروت – ١٩٦٤م) ، ص٢٠٩ .

(٣) الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٩٨٥م) ، الأخبار الطوال ، تصحيح : فلادمير جرجاس، (لندن – ١٨٨٨م) ، ص٣٩٦ .

(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٣٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ط٣ ، (بيروت – ١٩٦٩م) ، ج٤ ، ص٢٨٧ .

(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٩٦ ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص١٣٤ .

(٦) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٣ .

(٧) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٣٦ .

بغداد محط العلماء وطلاب العلم ومدينة الطب والأطباء يرنو إليها العربي والأعجمي على حد سواء إما للتعلم أو للممارسة أو طلبا للشفاء وهذا حال باقي العلوم العقلية .

المبحث الثاني : **دور المراكز الحضارية في تطوير علم الطب** .

أولا : **الإسكندرية** .

مدينة مشهورة بمصر تقع على ساحل البحر – الذي يعرف الآن بالبحر الأبيض – اختلف في أمر بنائها والمرجح أنه بناها الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ق.م عقب غزوة للشرق [١] مرت هذه المدينة بعدة أدوار تاريخية وتقدم فيها الطب اليوناني منذ نشأته حتى عهد البطالسة ثم دور انتعاشها في أيام (جالينوس) [٢] بالعصر الروماني [٣] ظهر نشاط مدرستها مدرستها الطبية في بداية القرن الثالث الميلادي وتعد الإسكندرية أساسا للثقافة الإغريقية [٤] واختصت مدرستها الطبية في ترقية علوم التشريح والكيمياء فضلا عن احتضانها باقي العلوم العقلية والفلسفية والطبية والفلكية [٥] فكانت أبحاثها الطبية ممزوجة بالطلاسم والأسحار والتنجيم [٦] واشتهرت الإسكندرية بمكتبتها العظيمة والتي احتوت على كافة العلوم العلوم [٧] واستمرت هذه المدرسة تزخر بالعلوم حتى ظهور الإسلام فكان أول اتصال للمسلمين بالفكر الإغريقي عن طريقها [٨] فكانت ملتقى الثقافات الشرقية والغربية ومركزا للاتصال العقلي بين الشرق والغرب ولا زالت مدرستها تدرس كافة العلوم العقلية وبخاصة الطبية منها حتى أواخر القرن الأول الهجري حينما نقل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (

---

(١) القزويني ، زكريا بن مُحَّد بن محمود (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت – ١٩٦٠م) ، ص١٤٣ .

(٢) كلوديوس جالينوس بن نكون ، طبيب يوناني الأصل عاش في العصر الروماني ولد في برغاموس سنة ١٣٠م ويأتي في الشهرة بعد أبو الطب أبقراط ولا يقربهما ثالث في تاريخ الطب القديم ؛ ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٤١ .

(٣) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢١٩ .

(٤) معروف ، د. ناجي ، أصالة الحضارة العربية ، ط٢ ، (بغداد – ١٩٦٩م) ، ص٤١٧ .

(٥) زيدان ، د. جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ط٣ ، (مصر – ١٩٣١م) ، ج٣ ، ص١٢٨ .

(٦) أمين ، د. أحمد ، ضحى الإسلام ، (القاهرة – ١٩٣٣م) ، ج١ ، ص٢٦٢ .

(٧) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢١ .

(٨) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٧ .

ت ١٠١هـ/٧١٩م) معلم الإسكندرية الأول في ذلك الوقت عبد الملك بن أبجر الكناني إلى مدرسة إنطاكيا ومن ثم نقله إلى حران [(١)] لينتهي بذلك دور مدرسة الإسكندرية الطبية ولم تعد لمدرستها أية أهمية تذكر بعد ذلك الحين .

وكان لتعليم مدرسة الإسكندرية الأثر البالغ والنفوذ العظيم في التفكير الإسلامي في علم الطب والفلسفة بشكل خاص [(٢)] وبانتقال مركز الدراسات اليونانية من الإسكندرية إلى حران وإنطاكيا فقد سهل ذلك الأمر إلى انتشار الكتب العلمية اليونانية والسريانية بين العرب والمسلمين .

ثانيا : حران .

مدينة مشهورة في الجزيرة الفراتية تقع على طريق الشام والموصل وبلاد الروم قيل أن أول من بناها بهاران أخو إبراهيم عليه السلام فعربت بحران وقيل أنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وكانت دار الصابئة الحرانيون [(٣)] دخلها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٤ق.م وعمم فيها اللغة الإغريقية [(٤)] مما أثر في تاريخها الحضاري ، فتحت حران صلحا على أيدي المسلمين بقيادة (عياض بن غنم) [(٥)] سنة ١٧هـ/٦٣٨م [(٦)] وامتازت حران بوثنيتها لأن أهلها قد ظلوا على عبادة الكواكب والأوثان وأطلقوا على أنفسهم بالصابئة [(٧)] سكنت حران من قبل الكثير من الأقوام فكانت خير ملجأ للهاربين من النصرانية ومن أنواع الاضطهاد الديني فامتزجت بهذا الشكل العديد من العقول النيرة حتى أصبحت مركزا حضاريا وثقافيا جل مشاهيرها من الناطقين بالأرمنية والسريانية فبرز منهم

(١) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٢) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٧ .

(٣) ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (بيروت – ١٩٥٦م) ، ج٢ ، ص٢٣٥-٢٣٦ .

(٤) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٥) أبو سعد عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة القرشي ، أحد الصحابة الأفاضل ، أسلم قبل صلح الحديبية وشارك في فتوحات الشام واستخلفه أبو عبيدة عامر بن الجراح وأقره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فتح العديد من المدن ، توفي سنة ٢٠هـ ، ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٧ .

(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٦ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٨٥ .

العديد في عهد بني العباس أمثال (ثابت بن قرة وابنه سنان [١]) [٢] كما اشتهرت حران بشتى العلوم الطبيعية كالحساب والفلك والطب وغيرها من العلوم العقلية [٣] كما كانت فيها فيها مدرسة لتعليم مختلف العلوم ويوجد فيها مكتبة غنية بالمصادر المختلفة والتي أغنت العالم الإسلامي بسيل لا ينقطع من المؤلفات العلمية فضلا عن من قدموا من النقلة والأطباء والفلاسفة منذ عهد المنصور وحتى عهد المتوكل [٤] .

ثالثا : أنطاكيا .

من مدن بلاد الشام بناها أنطيغونيا في السنة السادسة من وفاة الاسكندر ولم يتم بناءها فأتمها من بعده سلوقس وأسماها أنطيوخوس على اسم ولده وهي بالتعريب أنطاكيا ولم تنزل أنطاكيا من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير [٥] تأسست أول مدرسة في أنطاكيا سنة ٢٠٧ق.م وضمت كبار الفلاسفة والأطباء والعلماء فأصبحت من أكبر المدن اليونانية السورية بعد أثينا والإسكندرية فكانت مدرستها تنافس مدرسة الإسكندرية في الشهرة [٦] إلا أن وقوعها على الطريق ما بين الفرس والرومان قد جعلها موقع نزاع مستمر بين الطرفين [٧] فدمرت على أثر الاستيلاء الفرس لها سنة ٥٣٨م ثم استعادها الرومان سنة ٦٨٩م وأعادوا بناءها حتى عادت إليها روح الحضارة من جديد [٨] فأصبحت أنطاكيا محط أنظار العلماء والمعلمين وأنشأ في

---

(١) أبو سنان ثابت بن قرة ، علم من أعلام الطب والترجمة في العصر العباسي الثاني اختص بخدمة الخليفة الراضي بأمر الله ، كان بارعا في الطب عالما بأصوله فكاكا لمشاكله ، تولى العديد من المناصب المهمة أبرزها إدارته للعديد من مارستانات بغداد وكان كفلا بها هو وابنه سنان ، أصله من حران صابئي الديانة ، توفي سنة ٢٨٨هـ ؛ ينظر : القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٧-٧٨ .

(٢) حبي ، د. يوسف ، المراكز السريانية والثقافية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – ١٩٨٥م) ، مج٩ ، ص٨٨ .

(٣) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٤) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٩ .

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٦) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(٧) مايرهوف ، د. ماكس ، من الإسكندرية إلى بغداد التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، ط٣ ، (القاهرة – ١٩٦٥م) ، ص٦٩ .

(٨) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٤ .

أنطاكيا مارستان يداوى فيه المرضى برعاية البطريك نفسه ويشرف على علاج المرضى منهم [١] واستمر عمل أنطاكيا الحضاري ورفدها للعلوم حتى الفتوحات الإسلامية وكانت بدايات اهتمام العرب بإنطاكيا في زمن عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ/٧١٩م) حينما أرسل إليها الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني ليدرس في مدرستها الطبية [٢] ونظرا لوقوع أنطاكيا على مفرق الطرق بين بلاد المسلمين وبلاد الروم فقد أبقى ذاك الوضع تزعزع فيها مما حدا بعلمائها إلى الانتقال إلى حران والتي بقيت مركزا مهما للثقافة اليونانية والتي كان أهلها يتكلم اللغة السريانية [٣] .

رابعا : نصيبين .

مدينة من بلاد الجزيرة الفراتية واقعة على طريق القوافل التجارية ما بين بلاد الشام والموصل كانت محط خلاف مستمر ما بين الفرس والروم [٤] ، كانت نصيبين ضمن حدود بلاد فارس إلا أنها قد تخلت عنها لروما سنة ٢٩٨م [٥] وأسس فيها المطران يعقوب مدرسة على غرار مدرستي الإسكندرية وأنطاكيا وكانت غايته الأولى هو نشر اللاهوت الإغريقي بين المسيحيين [٦] توسعت مدرسة نصيبين لتشمل بعد ذلك كافة العلوم العقلية والفلسفية وصارت منارة للعلم والتأليف العلمي [٧] توقفت مدرسة نصيبين عن العمل بعد استيلاء الفرس على المدينة جراء حملة جوليان الفاشلة على بلاد فارس فأصبحت نصيبين ضمن حدود بلاد فارس من جديد منذ سنة ٣٦٣م [٨] تخرج من مدرسة نصيبين المئات من العلماء العلماء وفي مختلف العلوم العقلية قبل أن تغلق مدرستها وينتقل علماؤها إلى مدينة الرها [٩]

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦٨ .

(٢) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٣) مايرهوف ، من الإسكندرية إلى بغداد ، ص٦٩-٧٠ .

(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٨٩ .

(٥) قنواتي ، د. جوج شحاته ، المسيحية والحضارة العربية ، ط٤ ، (بيروت — ١٩٨٤م) ، ص٧٧ .

(٦) دي لاسي ، أوليري ، انتقال علوم الإغريق إلى العرب ، ترجمة : متي بثيون ويحيى الثعالبي ، ط١ ، (بغداد — ١٩٥٨م) ، ص٦٧ .

(٧) زيدان ، تاريخ التمدن ، ج٣ ، ص١٣٤ .

(٨) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٧٧ .

(٩) أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٦٠ .

وبقيت مدرسة نصيبين تزاول عملها ولكن بصورة ضعيفة جدا حتى فتحت صلحا على يد القائد العربي عياض بن غنم [1] ساهمت مدرسة نصيبين بشكل كبير في رفد الحضارة الإسلامية بالثقافات الإغريقية وجعلها في متناول أيدي المسلمين عن طريق ترجمات الكتب العلمية اليونانية .

خامسا : الرها .

مدينة بالجزيرة ما بين الموصل والشام سميت بهذا الاسم نسبة إلى الرها بن سنيد بن مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم [2] إلا أن الأصح أنها قد بنيت قبل ذاك الزمان أي في عهد سلوقس بعد موت الإسكندر [3] كانت تحت حكم الفرثيين ومن ثم المقدونيين وكان أهلها من العرب ثم أصبحت المدينة تحت حكم الساسانيين في عهد شابور الأول بعد أن انتزعها من الإمبراطور الروماني فالريان سنة ٢٢٠م وتأسست فيها مدرسة فارسية بمساعدة علماء نصيبين وكان أبرزهم الأب افرايم فأصبحت الرها بعد ذلك مركزا للمذهب النسطوري ومعقلا للعلماء [4] وقد هرب علماء الرها من المسيحيين على أثر الاضطهاد الديني الذي واجهوه من قبل الإمبراطور زينو سنة ٤٨٩م بعد أن عادت المدينة تحت سيطرة الرومان فتوجه العلماء النصارى إلى بلاد فارس [5] وبقيت المدينة محافظة على طابعها الحضاري بعض الشيء حتى الفتح العربي الإسلامي على يد القائد المسلم عياض بن غنم سنة ١٦هـ/٦٣٧م [6] وساهمت كل من الرها ونصيبين في رفد الحضارة العربية الإسلامية في العهد الأموي والعباسي .

سادسا : الحيرة .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٠٦ .

(٤) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٥) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٠٦ .

عاصمة المناذرة سكنها العرب والنبط وهي ملتقى حضارات العالم القديم [1] اشتهرت الحيرة بالعلوم الطبية واللغة وقد انتقلت من هذه المدينة المؤثرات الثقافية الأرمنية والنسطورية إلى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما أصبح النساطرة حلقة الوصل بين الثقافة الهيلينة والعربية الإسلامية في عهود لاحقة [2] وقد أنجبت مدينة الحيرة العديد من العلماء البارزين أمثال حنين بن إسحاق وهو من أشهر الأطباء والتراجمة في العصر العباسي الأول [3] فهذا الرجل قد جمع بين ثقافات أشهر الأمم القديمة وأحد علماء مدرسة الحيرة الذين ساهموا في دفع عجلة الحضارة الإسلامية [4] .

سابعا : جنديسابور .

بعد هزيمة الرومان بقيادة فالريان استطاع الفرس أسر العديد من أفراد الجيش الروماني فأرسل عدد من هؤلاء الأسرى لإنشاء سد عظيم على نهر الدجيل أما الأسرى الذين كانوا على جانب من الثقافة والعلم فقد عوملوا معاملة حسنة فكان سابور بن أردشير يعترف بتفوق الرومان في الجوانب العلمية وكان من ضمن الأسرى العديد من المهندسين والفلكيين والأطباء فأسكن هؤلاء الأسرى المثقفين في إحدى المدن وسمح لهم بالعيش حسب أنظمتهم الخاصة وعرفت هذه المدينة باسم جنديسابور [5] الواقعة في إقليم خوزستان [6] ومعنى جنديسابور معسكر الأسرى أما الرومان فأطلقوا عليها اسم (بيت لايات) أي دار الهزيمة [7] وقد أعطى حكام الفرس للأسرى مطلق الحرية في التدين وممارسة الطقوس الدينية وباللغة اليونانية والسريانية كما بنى حكام الفرس العديد من الكنائس [8] ونظرا لتسامح الفرس مع الديانة المسيحية فقد هاجر العديد من النساطرة والسريان من مدنهم في سوريا هربا من بطش

---

(١) القزويني ، أثار البلاد ، ص١٨٦ .

(٢) البياتي ، بهجة علي محمد ، بيت الحكمة البغدادي وأثره العلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، (بغداد – ٢٠٠٣م) ، ص٧ .

(٣) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٩ .

(٤) البياتي ، بين الحكمة البغدادي ، ص٧ .

(٥) دي لاسي ، انتقال علوم الإغريق ، ص٢١ .

(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٧٠ .

(٧) دي لاسي ، انتقال علوم الإغريق ، ص٢١ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٢١ .

الإمبراطورية الرومانية بهم كما أدى إغلاق الإمبراطور زينو ٤٧٤-٤٩١م مدرسة الرها إلى هجرة علمائها من السريان واليونانيين إلى جنديسابور وانضم إليهم العديد من علماء الهند وبلاد فارس (١) فبلغت جنديسابور قمة مجدها وازدهارها في عهد كسرى أنوشروان ٥٣١-٥٧٩م الذي أنشأ في زمنه بيمارستان كبير وكان مثاليا من نوعه وألحق به مدرسة لتعليم الطب والفلك والتنجيم والعلوم العقلية المختلفة وأصبحت السريانية لغة العلم والعمل وقتئذ (٢) فكان تأليف العلماء اليونانيين والهنود والسريان في جنديسابور على شكل كراسات صغيرة فضلا عن ترجمتهم المؤلفات العلمية والطبية لقدماء اليونان إلى اللغة السريانية (٣) ورفدت مدرسة جنديسابور الطبية العالم العربي ومنذ قديم الزمان وأشهر من تخرج منها هو طبيب العرب الحارث بن كلدة الثقفي (٤) وبقيت جنديسابور ومارستانها الطبي بالعمل حتى حتى الفتح العربي الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٩هـ (٥) ولتسامح الفاتحين المسلمين فقد استمرت جنديسابور بالعمل طيلة العهود الإسلامية المختلفة وصولا إلى عهد الخلافة العباسية ويعود سبب بقاء جنديسابور مركزا علميا مشعا هو تسامح العرب المسلمين مع أبناء الديانات الأخرى فضلا عن حرصهم على العلم وحبهم له ما دام هذا العلم لا يعارض كتاب الله ولا سنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفي الخلافة العباسية كان هناك العديد من أساتذة الطب الذين تعلموا في جنديسابور وخدموا بعلومهم خلفاء بني العباس أمثال جورجيس بن بختشيوع وأبنائه وعيسى بن شهلا وسابور بن سهلا وماسويه وابنه وغيرهم العديد من الذين رفدوا العلوم الطبية في بغداد وأعطوا عصارة أفكارهم وأعمالهم لها (٦) ولم يختف اسم جنديسابور من الأذهان إلا بعد أن أصبحت أصبحت بغداد سيدة الدنيا ومنارة العلم والعلماء وقبلة القاصدين للعلم (٧) .

---

(١) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٥ ،

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٣) معروف ، أصالة الحضارة العربية ، ص٤١٩ .

(٤) الثقفطي ، أخبار العلماء ، ص١١١ .

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٧١ .

(٦) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

المبحث الثالث : حركة الترجمة ودورها في تطوير علم الطب .

أولا : أسباب وبواعث حركة الترجمة ومراحلها .

كانت هناك عدة أسباب أدت إلى اهتمام العرب والمسلمين خلفاء وأمراء وعامة الناس إلى ترجمة الكتب العلمية والفلسفية إلى اللغة العربية وقد شجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة وبذلوا من أجلها الأموال الطائلة لإنجاحها وقد لخص الدكتور خليل إبراهيم السامرائي (١) وزميلاه الدكتور عصام الدين محمد علي (٢) والدكتور حكمت نجيب عبد الرحمن (٣) أسباب وبواعث حركة الترجمة واهتمام العرب والمسلمين بها :

أ- اهتمام الخلفاء العباسيون بترجمة كتب الطب والفلك والتنجيم وذلك لحاجة الخلافة الماسة لمثل هذه العلوم حيث كان خلفاء بني العباس يؤمنون بالتنجيم وعلاقته بحياة الإنسان ومصيره وعلى الخصوص من هؤلاء الخلفاء أبي جعفر المنصور كما دعت حاجة الخلفاء إلى الرعاية الطبية المتطورة لحفظ صحتهم فأصبح الطب والتنجيم من الأمور الأساسية التي اعتنت بها الخلافة .

ب- حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه من الطب اليوناني أو الفارسي ومعرفة الحساب والتوقيت لضبط مواقيت الصلاة وأشهر الصوم والحج .

ج- احتكاك العرب والمسلمين بغيرهم من الأمم واطلاعهم على ثقافات جديدة فأحب العرب والمسلمون أن يتوسعوا بهذه العلوم والثقافات .

د- إقبال أهل الذمة لدخول الدين الإسلامي وضرورة التعايش مع المسلمين مما دعاهم إلى تعلم اللغة العربية لإتقان كتاب الله والشرائع الدينية الأخرى .

هـ- اهتمام الخلفاء العباسيون بتدعيم سلطانهم بعلوم العالم القديم من يونانية وفارسية وهندية وغيرها مما دعا إلى الزيادة في طلب الترجمة .

و- ظهور أسر علمية عديد رعت الحركة العلمية بمختلف أصنافها ودعت إلى ترجمة مختلف العلوم القديمة ومن أشهر هذه الأسر أسرة آل برمك وأسرة آل موسى المنجم.

(١) دراسات في تاريخ الفكر ، ص٩١-٩٢ .

(٢) بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة ، (الإسكندرية – ١٩٨٦م) ، ص٣٤-٣٥ .

(٣) دراسات في تاريخ العلوم ، ص٢٧ .

ز- ازدهار البلاد سياسيا واقتصاديا وكثرة الترف وانتشار العمران فأدى ذلك إلى اتجاه النفوس إلى الحياة الفكرية والتوسع في طلب العلم .

ح- اهتمام الدين الإسلامي وما يفرضه على المسلمين من طلب العلم والتوسع فيه قد أدى إلى البحث عن كافة العلوم العقلية خصوصا بعد اكتمال العديد من العلوم الفقهية والشرعية عند عامة الناس مما زاد في طلب وتحصيل العلوم العقلية المختلفة .

وبما أننا قد علمنا أسباب وبواعثها حركة الترجمة وأسباب نشوئها فلا بد أن نذكر المراحل التي مرت بها حركة الترجمة في عهد الدولة العباسية وليخص الدكتوران خليل السامرائي [١] وزميله الدكتور عصام الدين [٢] المراحل التي مرت بها حركة الترجمة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي وهي ثلاث مراحل فقط أبرزها المرحلتان الأولى والثانية لأنها قد اشتملت على ترجمة العلوم العقلية كالطب والفلك والرياضيات وغيرها وهي التي وقعت في فترة قوة الخلفاء العباسيون والمراحل هي :

أ- المرحلة الأولى :

بدأت منذ تولي أبي جعفر المنصور الخلافة (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) إلى نهاية خلافة الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) وتميزت هذه المرحلة بترجمة كتب الطب والفلك والرياضيات واشتركت فيها مختلف اللغات كالعربية واليونانية والفارسية والسريانية .

ب- المرحلة الثانية :

وتبدأ منذ تولي عبد الله المأمون الخلافة (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٨٣م) إلى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وتميزت هذه المرحلة بترجمة الكتب العلمية المختلفة وعلى رأسها كتب الطب فضلا عن ترجمة كتب المنطق والفلسفة مع القيام بعمليات التأليف والتعليق والتلخيص وتزعم هذه المرحلة الخليفة المأمون حكيم بني العباس وكفلها برعايته وحبه للمعرفة وبذله الغالي والنفيس من أجل كتب العلوم مما جعل باقي الخلفاء يسيرون على نهجه ويمكن اعتبار هذه المرحلة بالمرحلة الذهبية في تاريخ الترجمة .

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر ، ص٨٨-٩٠ .

(٢) بواكير الثقافة ، ص٥٧-٥٨ .

ج- المرحلة الثالثة :

بدأت مع عام ٣٠٠هـ/٩١٢م وتميزت بترجمة مختلف العلوم إلا أنها قد اختصت بترجمة كتب الأدب والتي كانت أغلبها فارسية كما ترجمت كتب سير حكام الفرس وتاريخهم معززين الحركة الشعوبية وتفاخرا بأمجادهم والرد على الإسلام والعرب .

ثانيا : اهتمام الخلفاء العباسيون بحركة الترجمة .

لم يكن خلفاء بني العباس بنفس الدرجة في رعاية حركة الترجمة بل أن هناك تفاوتا عظيما بين الواحد والآخر وكان أكثر الخلفاء العباسيون ميلا إلى حركة الترجمة هم أبي جعفر المنصور والرشيد والمأمون (١) وأن أهم العوامل التي دفعت بحركة الترجمة لخطوات واسعة نحو الأمام هي رعاية الخلفاء العباسيون لها ويقول الدكتور رشيد الجميلي : ((إن كل من المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل هم أهم من أخذ وعلى عاتقهم أمر هذه الحركة وشدوا من أزرها من خلفاء بني العباس ولولا اهتمام هؤلاء الخلفاء بأمر الحركة لما جاءت نتائجها بالشكل الذي أسفرت عنه)) (٢) فعمل خلفاء بني العباس على تنشيط حركة الترجمة مستخدمين في ذلك شتى السبل والأساليب المادية والمعنوية .

فاهتم المنصور بترجمة الكتب الطبية وكان ممن يترجمون له أبو يوحنا البطريق وجورجيس بن بختشيوع النصراني (٣) كما عني الرشيد بجلب الكتب العلمية وترجمتها (٤) فشهد عصره حركة منظمة للترجمة والنقل اشتملت على مختلف العلوم (٥) أما في عهد المأمون فإنه كتب إلى ملك الروم يسأله في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم فأخرج المأمون جماعة من أتباعه بينهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وغيرهما فأخذوا ما وجدوه وأمرهم المأمون بنقلها فنقلت (٦) ، كان الخليفة المأمون واسع العلم راعيا للعلم والعلماء مما أثر في ازدهار

(١) أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٢٦ .

(٢) حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، (بغداد – ١٩٨٦م) ، ص٤٩ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٠ .

(٤) العلي ، صالح أحمد ، العلوم عند العرب ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٩م) ، ص١٩٢ .

(٥) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص٥٦ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ .

حركة الترجمة في عهده [١] ولاهتمام المأمون بترجمة الكتب ودقتها أنه كان يعطي حنين بن إسحاق زنة ما ينقله إلى العربية ذهبا المثل بالمثل [٢] ورغم أن في ذلك الأمر مبالغة إلا أنها تؤكد اهتمام المأمون بنقل العلوم والتشجيع على ترجمتها .

ولم تتوقف الترجمة بعد وفاة المأمون ٢١٨هـ/٨٣٣م إلا أنها كانت تسير بخطوات وئيدة لانشغال الخلفاء بالفتن والاضطرابات ولكنها سرعان ما عادت من جديد حالما تسلم الخليفة المتوكل (٢٣٤-٢٤٧هـ/٨٤٨-٨٦١م) مقاليد الحكم فبذل جهودا حثيثة في تشجيع ودعم حركة الترجمة والقائمين عليها [٣] ولم يقتصر رفد حركة الترجمة

على خلفاء بني العباس بل شاركت معهم بعض الأسر العلمية (أمثال البرامكة [٤]) [٥] وبني وبني شاكر المنجم الذين اهتموا برعاية الترجمة والمترجمين ((وممن عني بإخراج الكتب من بلاد الروم بنو شاكر المنجم وبذلوا الرغائب وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلاد الروم فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والطب وباقي أصناف العلوم)) [٦] .

أما ما يخص رواتب المترجمين وما يتقاضونه من دار الخلافة فلم تشر المصادر إلى أية معلومة عن مقدار رواتبهم وقد ذكر ابن أبي أصبيعه بني شاكر المنجم وإعطائهم الأرزاق فقال : ((بنو شاكر وهم مُحَمَّد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن الأعسم وثابت بن قره وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة)) [٧] وأن نشاط حركة الترجمة لم يكن متوقفا على كرم وسخائهم الخلفاء والأمراء بل حاول

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٩ .

(٢) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٣ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٢٢ .

(٤) أشهر الأسر الفارسية والتي تمتعت بسلطة ونفوذ كبير حتى استطاعت إدارة بعض شؤون دار الخلافة وخصوصا في عهد هارون الرشيد وكان على رأسهم يحيى بن خالد البرمكي وولداه جعفر والفضل والذي حد من تصرفاتهم الرشيد بعد أن أحس بخطرهم على الخلافة ، للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٣٣٨-٣٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ .

(٧) عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٣ .

المأمون أن يجعل للمترجمين حالة من الاستقرار والاستمرارية في العمل ولا يقتصر على منح الأعطيات ولكن رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه في التكاليف المطلوبة (١) واستمرت مع ذلك الأعطيات والهبات والهدايا والمنح لأصحاب الإنجازات الرصينة والدقيقة من أجل إنشاط حركة الترجمة وخلق روح التنافس من أجل إعطاء الأفضل .

ثالثا : أبرز المترجمين للعلوم الطبية في العصر العباسي الأول .

أولا : حنين بن إسحاق .

أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي (٢) والعباد ينسبون إلى عبادة بالحيرة وهي مجموعة بطون من قبائل شتى نزلوا بالحيرة وكانوا من النصارى (٣) ، ولد حنين في الحيرة سنة ١٩٤هـ/٨١٠م (٤) من أب صيدلاني كان يعمل في الحيرة فنشأ حنين منذ نعومة أظافره محبا للعلم (٥) وتتلمذ حنين على يد يوحنا بن ماسويه إلا أنه كان كثير السؤال لحوحا فيه فطرده من مجلسه والذي كان أعمر مجالس العلم في بغداد وقتئذ وقال له يوحنا : ((أنت لا تصلح للطب عليك ببيع الفلوس)) (٦) فكبت حنين وتألم لما حدث إلا أنه أصر على أن يكون شخصية عظيمة في المستقبل فتوجه إلى البصرة لدراسة اللغة العربية وإتقانها ، ويذكر أن حنين قد تعلم على يد (الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧)) (١) إلا أن هذا الأمر غير صحيح لأن

---

(١) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص٦٠ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٤ .

(٦) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٤ .

(٧) أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد بن عمرو بن تيم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أمام النحاة في علم النحو وهو الذي بسط علم العروض وأخرجه إلى الوجود ، وله العديد من المؤلفات اللغوية أشهرها كتاب العين ، توفي الخليل سنة ١٧٥هـ وعاش من العمر ٦٤ عاما ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

الخليل بن أحمد الفراهيدي قد توفي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م [٢] وأن ولادة حنين كانت في سنة ١٩٤هـ وهذا الأمر يبطل القول بتعلم حنين على يد الفراهيدي وربما قد تعلم على أيدي تلامذته في البصرة ، سافر حنين إلى بلاد فارس والإسكندرية وبلاد الروم حتى عاد إلى بغداد فأصبح عالما باللغات الأربع غريبها ومستعملها العربية والسريانية واليونانية والفارسية [٣] وكان قد أتم تعلم هذه اللغات في السر ولم يطلع على أمره سوى جبرائيل بن بختشيوع الطبيب حيث كان حنين يترجم له بعض من مصنفات جالينوس حتى أن جبرائيل كان يخاطب حنين بابن المعلم [٤] وبعد أن ذاع صيته وبراعته في الترجمة اتصل به معلمه يوحنا بن ماسويه وطلب منه الصفح عنه لطرده إياه فعاد حنين ليتعلم الطب من جديد في مجلس يوحنا ويترجم له الكتب الطبية من مؤلفات جالينوس إلى اللغة العربية والسريانية [٥] ولفصاحة حنين باللغات المختلفة فقد عينه المأمون رئيسا لديوان الترجمة وبذل له من الأموال والعطايا وجعل بين يديه أفضل المترجمين باللغات يترجمون ويتصفح هو ما يترجموه ويصلح ما يرى فيه خطأ [٦] ولبراعة حنين في الترجمة فإن المأمون كان يعطيه زنة الكتاب المترجم ذهبا [٧] ويذكر ابن صاعد حنين بن إسحاق فيقول : ((أبو زيد حنين بن إسحاق أحد أئمة التراجمة في الإسلام)) [٨] كما يعتبره ابن صاعد من حذاق التراجمة فيقول : ((وأن حذاق التراجمة في الإسلام أربعة حنين بن إسحاق العبادي، ويعقوب بن إسحاق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري)) [٩] وكان حنين فصيحا باللسان اليوناني والعربي بارعا بهما شاعرا وخطيبا جليلا في ترجمته وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس [١٠] والذي ميز

(١) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٥ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٩ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ ؛ ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧١ .

(٤) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٦) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٩ .

(٧) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٣٢٥ .

(٨) طبقات الأمم ، ص٤٧ .

(٩) طبقات الأمم ، ص٤٨ .

(١٠) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٨ .

حنين في ترجمته هو اعتماده النص الأصلي للمؤلف وإن لم يوجد اتعض عنه بعدة نسخ ولا يعتمد إطلاقا على نسخة واحدة وذلك من أجل المقارنة بين النسخ المختلفة والربط بينهم مما أضفى الدقة في ترجمته [١] فضلا عن اتباعه أسلوب الترجمة بالمعنى [٢] أي أنه يأخذ النص الأصلي ويفهمه ويعبر عنه باللغة التي يريد الترجمة إليها وهذا الأمر لم يكن باستطاعة أي مترجم القيام به إلا إذا تمكن من اللغة تمكننا عاليا .

كما طاف حنين بن إسحاق بلاد فارس وبلاد الروم بحثا عن الكتب العلمية والمخطوطات النادرة لجلبها إلى بغداد وترجمتها [٣] مما يؤكد على اهتمام حنين بجلب الكتب وترجمتها ، توفي حنين بن إسحاق سنة ٢٦٠هـ [٤] ، ويعد حنين بن إسحاق مدرسة كاملة للترجمة لما يملكه من خبرة في اللغات وفصاحة في اللسان ودقة في البحث والتحقيق .

ثانيا : يوحنا بن ماسويه .

أبو زكريا يوحنا بن ماسويه الخوزي ، من أطباء جنديسابور [٥] ، ولد في جنديسابور يوم كان أبوه ماسويه يعمل في مارستان المدينة [٦] تعلم اللغة السريانية والعربية فلم يجد صعوبة صعوبة في دراسة العلوم الطبية ثم ارتحل يوحنا مع أهله إلى بغداد ليصيب المال والشهرة بعد أن كان أبوه ماسويه يعمل في خدمة الخلفاء العباسيون هناك [٧] ويذكر ابن جلجل أن يوحنا يوحنا بن ماسويه كان من طبقة المترجمين فيقول : ((مسيحي المذهب سرياني، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة ووضع له كتاب حذاق يكتبون ، وخدم هارون والأمين وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل)) [٨] ونقل كل من القفطي وابن أبي أصيبعه وابن العبري هذه الرواية

---

(١) الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٢٤٩ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٥ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥٢ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٨) طبقات الأطباء ، ص٤٥ .

عن ابن جلجل [1] وهذه الرواية خاطئة ولا أساس لها من الصحة فابن النديم عند ترجمته ليوحنا يقول : ((بأنه فاضل متقدم عند الملوك عالم مصنف ، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل)) [2] وبذلك فقد أسقط ابن النديم كل من الرشيد والأمين كما يذكر الرهاوي أن ماسويه الخوزي عندما نجح في علاج عين (الفضل بن الربيع) [3] وزير الرشيد وقد أجرى عليه رزقا ((وأجرى الفضل على ماسويه ثلاثمئة درهم في كل شهر وعلوفة دابتين ونزل خمسة أنفس ووجه فحمل عياله من جنديسابور ويوحنا معهم صبيا)) [4] .

إن إجماع المصادر على رواية مغلوطة لا يدفعنا إلى أن نأخذ بتلك الرواية لأن إجماع تلك المصادر خاطئة وإذا أخذنا برواية ابن جلجل فإننا قد أضفنا فتح عمورية إلى الرشيد لأن كلام ابن جلجل يؤكد سبي أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم وسبي تلك المدن يعني بأنها قد فتحت مما يجيز للمسلمين بنقل غنائمهم .

غير أن فتح عامورية كان في زمن الخليفة إبراهيم المعتصم سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م وقد وصف السيوطي موقعة عامورية فيقول : ((وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين غزا المعتصم الروم فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع مثلها خليفة وشتت جموعهم وخرب ديارهم وفتح عمورية بالسيف وقتل منهم ثلاثين ألف وسبي مثلهم)) [5] كما يذكر ابن الكازروني المعتصم المعتصم فيقول : ((وكان له في خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء قبله وهي ثمانية بلاد بابك وعمورية وبحر البصرة وقلعة الأعراب وديار ربيعة والشاري ومضر واليمامة)) [6] .
.

كما أنشد الشاعر أبو تمام في فتح عمورية قصيدة مشهورة والتي مطلعها :

---

(١) أخبار العلماء ، ص٢٤٨ ؛ عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ ؛ تاريخ مختصر الدول ، ص١٣١ .

(٢) الفهرست ، ص٣٥٥ .

(٣) أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن مُحَمّد بن عبد الله بن أبي فروة ، كان جده مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان والده وزيرا للمنصور ، ولما آل الأمر إلى الرشيد استوزر البرامكة وكان الفضل يعارض البرامكة واستوزره الرشيد بعد القضاء على البرامكة ، ولما توفي الرشيد سار إلى خدمة الأمين ولكنه اختفى حالما حاز المأمون الخلافة ، توفي سنة ٢٠٨هـ ، للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٧-٤٠ .

(٤) آداب الطبيب ، ص١٥٢-١٥٣ .

(٥) تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٦ .

(٦) مختصر تاريخ الدول ، ص١٣٨ .

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب [(١)]

وأعتقد أن يوحنا بن ماسويه لم يكن من طبقة التراجمة إطلاقا ولم يكن يتقن أي لغة أصلا والشاهد على ذلك هو ما أورده ابن أبي أصيبعه عن حنين بن إسحاق : ((وإن حنينا قد لازم يوحنا بن ماسويه وتتلمذ عليه واشتغل عليه بصناعة الطب ونقل حنين لابن ماسويه كتبا كثيرة وخصوصا من كتب جالينوس بعضها إلى السريانية وبعضها إلى العربية)) [(٢)] أما رئاسته لديوان الترجمة فربما يكون ذلك الأمر إداري وليس يدخل في كونه مترجما .

ثالثا : حبيش الأعسم .

هو حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي ابن أخت حنين بن إسحاق وأحد تلاميذه الجيدين [(٣)] تعلم صناعة الطب والترجمة على يد معلمه حنين [(٤)] كان من الناقلين الجيدين من اللسان اليوناني والسرياني إلى اللسان العربي [(٥)] ، وقد سلك حبيش مسلك خاله حنين في الترجمة والكلام إلا أنه لم يكن أجود من معلمه حنين في النقل [(٦)] وكان حنين يقدمه ويعظمه ويرضى نقله نقله [(٧)] ومن جملة سعادة حنين صحبت حبيش له فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين [(٨)] [(٨)] ركز حبيش على ترجمة العلوم الطبية وبخاصة كتب جالينوس [(٩)] قال فيه ابن النديم: ((بأنه بأنه دقيق الترجمة)) [(١٠)] ولا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة .

رابعا : قسطا بن لوقا .

(١) حبيب بن جاسم بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) ، ديوان أبو تمام ، شرح : إيليا الحاوي ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨١م) ، ص٢٢ .

(٢) عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٦٧ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٩٧ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٢ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٩٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٥ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٦٧ .

(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٢ .

(٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٩٨ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٥-١٤٦ .

(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٩ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص٣٠٤ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٧٣ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٩.

هو قسطا بن لوقا البعلبكي فيلسوف نصراني الديانة [١] من أصل يوناني [٢] كان في عهد بني العباس ولد سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م دخل بلاد الروم عدة مرات وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد بها إلى بلاد الشام واستدعي إلى العراق ليعمل في ترجمة الكتب واستخراجها من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي [٣] كان خبيرا باللغات فاضلا في العلوم جيد النقل فصيحا باللسان اليوناني والسرياني والعربي [٤] جيد العبارة بالعربية [٥] وقد قام قسطا برحلات علمية إلى عدة أماكن بحثا عن المؤلفات اليونانية وأفلح في الحصول على بعض منها وأحضرها إلى بغداد [٦] ، كان كان قسطا من النقلة الجيدين وأنه سافر في أواخر عمره إلى أرمينية وتوفي هناك سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م [٧] .

خامسا : عمر الفرخاني .

أبو بكر مُحَمَّد بن عمر بن حفص بن الفرخان الطبري [٨] أحد المترجمين الأربعة الذين اشتهروا بصفة خاصة في أعمال الترجمة كما يرى ابن صاعد : ((إن حذاق التراجمة في الإسلام أربعة حنين بن إسحاق العبادي ويعقوب بن إسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري)) [٩] وأحد رؤساء التراجمة والمحققين [١٠] كان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي [١١] ولا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة .

سادسا : اصطفن بن باسيل .

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٧٣ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت — ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص٦٨٢ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٧٣ ؛ الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٣١١ .

(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

(٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٣ .

(٩) طبقات الأمم ، ص٤٨ .

(١٠) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦١ .

(١١) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٤٥ .

كان يقارب حنين بن إسحاق في النقل إلا أن عبارات حنين كانت أفصح وأجمل [١] وهو أحد تلاميذ حنين في الترجمة حيث كان اصطفن يترجم وحنين يتصفح ويصلح نقله [٢] .

سابعا : موسى بن خالد .

هو موسى بن خالد الترجمان أحد تلاميذ حنين في النقل [٣] نقل كتبا كثيرة من كتب جالينوس إلا أنه لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منه [٤] .

ثامنا : سرجس الرأس عيني .

من مدينة رأس العين في بلاد الشام نقل كتبا كثيرة وهو متوسط النقل [٥] .

تاسعا : البطريق .

كان في أيام المنصور وأولاه الخليفة بنقل أشياء عن الكتب القديمة وله نقل كثير جيد إلا أنه دون حنين بن إسحاق [٦] .

عاشرا : عيسى بن يحيى .

هو عيسى بن يحيى بن إبراهيم أحد تلاميذ حنين ومن الناقلين الجيدين ، ينقل من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي [٧] ، كان فاضلا أثنى عليه حنين في نقله وقلده ترجمة الكتب [٨] .

حادي عشر : قسطا الرهاوي .

كان من جملة العاملين مع حنين بن إسحاق فإذا كثرت على حنين الكتب استعان به وبترجمته في نقلها ثم يصلحها حنين بعد ذلك [٩] .

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧٣ .
(٢) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٩ .
(٣) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٩ .
(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٣ .
(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ .
(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٤ .
(٨) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧١ .
(٩) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧١ .

اثنى عشر : ابن شهدي الكرخي .

هو ابن أحد النقلة ولكنه فاق أباه في النقل غير أنه متوسط النقل وينقل من اللسان السرياني إلى اللسان العربي [١] .

ثلاثة عشر : إبراهيم بن الصلت .

ترجم مجموعة من المؤلفات الطبية اليونانية ، وأنه متوسط النقل [٢] وكان يلحق بسرجس الرأس عيني [٣] .

أربعة عشر : ابن ناعمة .

اسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي متوسط النقل وهو أميل إلى الجودة [٤] .

خمسة عشر : زوويا الناعمي .

هو زوويا بن ماتحوه الحمصي الناعمي قريب النقل وهو أميل إلى الجودة [٥] .

ستة عشر : منكه الهندي .

حكيم وطبيب مقتدر متمكن من لغة الفرس ، ترجم في أيام الرشيد عدة كتب إلى اللسان الفارسي [٦] كما ترجم من اللغة الهندية إلى العربية بعد ذلك [٧] وربما قد تعلم العربية العربية في بغداد .

سبعة عشر : ابن دهن الهندي .

ترجم العديد من كتب الطب الهندية إلى اللسان العربي وكان إليه بيمارستان البرامكة [٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٧٨ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٠٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٣٠٥ ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٧٨ .

إن أغلب هؤلاء المترجمين ما عدا العاملين في مدرسة حنين بن إسحاق هم يترجمون ترجمة حرفية مما أعطى ترجماتهم الكثير من الأخطاء ويعود السبب إلى عدم توفر مرادفات فيما بين اللغات المختلفة ، أما مدرسة حنين في الترجمة فتميزت بالترجمة بالمعنى وليس الترجمة الحرفية .

المبحث الرابع : بيت الحكمة البغدادي ودوره في تطوير العلوم الطبية .

تأسس بيت الحكمة البغدادي في العصر العباسي الأول ، وقد ورد ذكره بمسميات مختلفة في المصادر فذكره ابن النديم على أنه خزانة كتب (١) ويذكره في موضع آخر ببيت الحكمة (٢) وكذلك ذكره ابن صاعد (٣) والقلقشندي (٤) بخزانة الحكمة ، أما ابن أبي أصيبعه أصيبعه فذكره ببيت الحكمة (٥) ومهما تعددت المسميات لبيت الحكمة أو خزانة الحكمة إلا إلا أن دوره واحد وهو مكان للعلم والعلماء ومكتبة عظيمة لحفظ الكتب .

والحقيقة أن بيت الحكمة كان في أول أمره مجرد خزانة كتب تابعة لقصر الخلافة العباسي ثم تحول فيما بعد إلى مؤسسة علمية وفكرية ضمت مختلف العلماء والمفكرين والأدباء والمترجمين وإن تسميته تدل على أهمية مكانته لوجود أنفس الكتب العلمية الثمينة فيه .

لعب بيت الحكمة دورا متميزا في تطوير كافة العلوم العقلية والطبية بوجه خاص كما أنه أصبح مدرسة عظيمة وجامعة كبيرة لتدريس كافة العلوم ولمختلف الاختصاصات(٦) وكان وكان لولع الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) بالعلوم دور كبير في إنشاء وتأسيس بيت الحكمة فأمر المنصور طبيبه جورجيس بن بختشيوع بنقل العديد من

(١) الفهرست ، ص٣٣٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٣٢ .
(٣) طبقات الأمم ، ص٦٤ .
(٤) أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (القاهرة – بلا ت)، ج١ ، ص٤٦٦ .
(٥) عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٧ .
(٦) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص١٧ .

المؤلفات اليونانية الطبية إلى اللغة العربية [١] كما اشترط المنصور في إحدى معاهداته مع إمبراطور الروم أن يعطيه عوض الجزية المالية كتبا من آثار الحكماء اليونانيين [٢] وجمعت هذه الكتب في خزانة خارج قصر الخلافة فكانت هذه الخزانة هي النواة الأولى لتأسيس بيت الحكمة فيما بعد [٣] وأوصى المنصور ولده المهدي وولي عهده بهذه الخزانة فكان شديد الحرص عليها إلا أن حركة التطور العلمي قد تقلصت ولم تحظ بكامل الرعاية المنشودة بسبب انشغال الخلافة بمحاربة الخارجين عن الدولة ومطاردتهم [٤] وتوسعت مهام بيت الحكمة فيما فيما بعد وخصوصا بعد تولي الرشيد مقاليد الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) فسميت هذه الخزانة ولأول مرة ببيت الحكمة فتحرر عمل بيت الحكمة من مجرد خزانة كتب إلى مركز للترجمة والتأليف والتعليم [٥] ، وقد اهتم الرشيد ببيت الحكمة فأمر بتوسيعه وإيجاد خزائن واسعة للكتب جمع فيها مختلف المؤلفات العلمية والطبية بعد أن ترجمت وصححت ليصبح بيت الحكمة مجمع علمي واسع في المنظور الحديث [٦] وتطور بيت الحكمة تطور كبير وملحوظ في عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) وازدادت مهامه حتى أصبح مؤسسة علمية وثقافية من الطراز الأول كما أنه مركز للترجمة والتأليف والتعليم وأمر المأمون بتوسيعه ليستوعب أكبر عدد ممكن من طلاب العلم [٧] .

واستمر بيت الحكمة البغدادي في التوسع حتى أصبح جامعة كبرى لتدريس وتطوير العلوم وترجمتها كما أنه خير مكان للتأليف فساهم وبشكل كبير في حركة الازدهار العلمي في العصر العباسي الأول وساهم في تطوير علم الطب من خلال حفظ الكتب العلمية وترجمتها كما أنه مكان لاجتماع الطلبة بمعلميهم فكان بيت الحكمة البغدادي بؤرة العلم ومنارة العلماء في عاصمة الدنيا بغداد .

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧١ .

(٢) البغدادي ، التاريخ العام ، ج١ ، ص١٤٦ .

(٣) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٢ .

(٦) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص٥٦ .

(٧) الأطرقجي ، د. رمزية ، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ ، ، (مطبعة جامعة بغداد – ١٩٨٢م) ، ص٨٩ .

الفصل الثالث : إضافات العرب والمسلمين في العلوم الطبية في العصر العباسي الأول .

المبحث الأول : صفات الطبيب في التراث العربي الإسلامي .

إن الطب ذو أهمية كبيرة وعظيمة في حياة الناس ومن البديهي أن تقع على الطبيب مهام كبيرة وشاقة هي شفاء كل من بقع في هاوية المرض لهذا ظهرت عدة تعاريف مختلفة للطب والطبيب والصفات التي يجب أن يتصف بها الطبيب فأطلق في أول الأمر على من يعمل في الطب لقب حكيم وذلك لأن الطب باب من أبواب الحكمة والطبيب هو من

تكاملت فيه الفضائل كلها وهي العلم والتعلم والطبيعى وصناعة المنطق [١] فالطبيب شخصية عظيمة كريمة تستحق التعظيم وتستوجب الإجلال وينبغي لها التبجيل وتتجلى فيها خدمة الإنسانية ويلوح فيها البر والخير والأمانة والرحمة والرفق والعمل الصالح والإحسان وحب الواجب والطاعة وبذل الجهد وإيثار العمل على النفس ثم أنه من أفضل الأعمال وأطيبها كسبا [٢] وذكر أبقراط الحكيم في ناموسه الطب بأنه : ((أشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم منتحليها صار سببا لسلب الناس إياها ... وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مواتية وحرص شديد ورغبة تامة وأن يقبل على التعلم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثمار حسنة)) [٣]كما يؤيده الرهاوي فيقول : ((إنها أشرف المهن وأعظمها قدرا في نفع الإنسان وأهله فهم عند الناس في مرتبة الشرف عالية يكرمونهم ويجلونهم لذلك فإن العامل في هذه الصنعة يجب أن يمتلك صفات عديدة أولها أن يكون حسيبا وعالما ورعا ويتميز بعدم العجلة وهي صفة يجب أن تجتمع عند الطبيب والحاكم في الوقت نفسه إذ أن الطبيب حاكم في النفوس)) [٤] وقد وضع الأطباء العرب والمسلمين ضوابط وشروط يجب توفرها في الطبيب الجيد وهي أساس بقاء علم الطب كونها مهمة إنسانية عظيمة عند متعلم الطب لكي يكون مؤهلا لممارسة مهنته ولتساعده تلك الصفات في أن يصبح طبيبا ناجحا في المستقبل قادرا على مداراة المرضى وشفائهم .

ويمكن تقسيم الصفات الواجبة توفرها في الطبيب إلى نوعين ، صفات علمية ومنهجية متعلقة بأصول المهنة وصفات خلقية ونفسية في رأي أصحاب الحكمة وإن اجتمعت الصفات العلمية والخلقية عند متعلم الطب أصبح حينئذ طبيبا ماهرا نافعا للناس .

الصفات العلمية :

(١) الشمري ، نهاد عبد الله ، الطب في قرطبة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، (بغداد – ٢٠٠٤م) ، ص٣٧ .

(٢) محفوظ ، د. حسين علي ، نظرة في تاريخ الطب العربي ، ندوة في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) ، ص٢٨١-٢٨٢ .

(٣) ابن أبي أصبيعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص٤٤ .

(٤) آداب الطبيب ، ص٢٢-٢٣ .

١- ينبغي لطالب الطب أن يتحمل المشاق والمذلة في طلب العلم وأن يكون لحوحا في سؤاله كثير المشاركة في المجالس والمناظرات العلمية (١) .

٢- يحتاج متعلم الطب إلى تعليم طويل وطلب حثيث حتى لا تكون أخطاؤه كبيرة (٢) .

٣- على الطبيب أن ينظر فيما جالس العلماء والمتكلمين وهل أخذ منهم واستفاد من علمهم ويجب عليه أن يعرف ممن يقرأ الكتب ويفهمها إذا كانت كتب الفلاسفة وكذلك كتب الأدب والعلوم النافعة (٣) .

٤- ينبغي لمتعلم الطب أن يكون عارفا بفصول السنة وأثرها في التغيرات التي تحدث على الإنسان لأن طبائع الأزمنة الأربعة في كل البلدان مختلفة فإن الصيف في مكان والشتاء في مكان لذلك اختلفت الأزمنة واختلفت العادات (٤) .

٥- متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقرأت الكتب دون الممارسة خذل (٥) .

٦- ينبغي لمتعلم الطب أن يلازم الطبيب الممارس في المارستان والاجتماع بأحسن الأطباء الحذاق في الصنعة بحيث يتعلم منهم ويتدرب على أيديهم (٦) .

٧- على المتعلم الطب أن يكون ذكيا عالي الهمة والفطنة وأن يوهم المريض ويبدو له بأن الشفاء قريب حتى وإن كانت صحته معلولة ولا رجاء له بالشفاء (٧) فربما توهل الرجل

---

(١) الشمري ، الطب في قرطبة ، ص٥٤ .

(٢) الرازي ، أبو بكر مُحَمَّد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ/٩٢٥م) ، الحاوي في الطب ، (حيدر آباد الدكن – ١٩٥٥م) ، ج٢٣ ، ص٢٩٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٣ .

(٤) ابن ماسويه ، يوحنا (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) ، النوادر الطبية ، (القاهرة – بلا ت) ، ص٢٩ .

(٥) عيسى بك ، د. أحمد ، المأثور من كلام الأطباء ، تحقيق : مصطفى السقا ، (مصر – ١٩٥١م) ، ص٢٣ .

(٦) ابن ماسويه ، النوادر ، ص٣١ .

(٧) ابن هبل ، المختارات ، ص٧ .

الرجل واعتل ويسمع من الطبيب ما يحب فيقوى ويسمع ما يكره فيزداد ضعفا [١] وعلى الطبيب أن يتلطف بالمريض كما يتلطف الكبير بالصبي [٢] .

٨- على متعلم الطب أن يعلم أن علاج المرضى بالغذاء أفضل من الأودية [٣] وكل داء قدر قدر أن يدفعه بالأغذية والحمية أفضل من دفعة بالأدوية ولا ينبغي له أن يولع بسقي الأدوية [٤] وإن عالجه بدواء خفيف مفرد أفضل من علاجه بدواء قوي مركب وعليه أن لا يستعمل الأدوية المجهولة ما أمكن إلا أن يصح منها شيء بالتجربة [٥] .

٩- يجب على متعلم الطب أن يكون عالما بأنواع الأدوية وأشكالها وألوانها وخواصها ، كما عليه أن يعرف فعالية هذه الأدوية في القضاء على الأمراض بعد البحث عن العلة وأسبابها والعلامات الظاهرة على المريض حتى يهب الشفاء للمريض [٦] .

١٠- أن يعلم طالب الطب والطبيب أنه لا يجوز التداوي بالمحرمات ولا بشيء من السموم [٧] .

١١- لا ينبغي للطبيب أن يبادر إلى القضاء على المرض إلا بعد بحث شديد وعناية أكيدة [٨] وأن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالقوى [٩] .

(١) ابن ربن الطبري ، أبو الحسن علي بن سهل (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) ، فردوس الحكمة ، تصحيح : محمد زبيد الصديقي ، (برلين — ١٩٢٨م) ، ص٥٣٧ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٨٣ .

(٣) ابن ماسويه ، النوادر ، ص٣١ ؛ ابن الأزرق ، أبو بكر إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ٨٩٦هـ/١٦٠٦م) ، تسهيل تسهيل المنافع في الطب والحكمة ، تحقيق : أحمد سعد علي ، (القاهرة — ١٩٤٨م) ، ص٤٤ .

(٤) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص٤-٥ .

(٥) ابن الأزرق ، تسهيل المنافع ، ٤٤ .

(٦) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١١٥ ؛ ابن هبل ، المختارات ، ج١ ، ص٨ .

(٧) ابن الأزرق ، تسهيل المنافع ، ص٤٤ .

(٨) ابن ماسويه ، النوادر ، ص٢٦ .

(٩) عيسى بك ، المأثور من كلام الأطباء ، ص٢٢ .

١٢- يجب على متعلم الطب أو ممارسه أن يكون عالما بالتشريح ملما بعلم وظائف الأعضاء خبيرا بالنبض وتبدل البول محيطا بجميع العلوم التي لها صلى قريبة أو بعيدة بالطب [١] .

١٣- يجب أن يكون لدى الطبيب سجل خاص به يدون فيه كل ما يسمع ويرى في مهنته ويدون كذلك أحوال المرضى في حالتي المرض والشفاء وأن يحتفظ بهذا السجل فقد يعود إليه عند حالات مماثلة إذا دعت إليه الضرورة [٢] .

١٤- إن الطبيب الحكيم الماهر ليس شرط عليه أن يبرأ المريض في حالات الأمراض الميؤس منها بل عليه أن يزيد في عمر المريض ولكن عليه أن ينظر في العلة وحال المريض فإن وجد سبيلا إلى العلاج عالجه بها وإن رأى أن المريض مشرف على الهلاك أمسك عن العلاج فهذا خير له [٣] .

الصفات الخلقية :

١- يفضل متعلم الطب أن يكون حديث السن معتدل القامة متناسب الأعضاء حسن الصورة والشكل محبوب تشتاق إليه الأنفس وتستحب رؤيته وعليه آثار السعادة والإقبال حسن الحديث جيد الفهم ذو لسان صحيح النطق واضح المعاني سالم من العاهات [٤] .

٢- ينبغي للطيب ومتعلم الطب أن لا يكون حقودا حسودا ولا عجولا ولا صلفا ولا شرها بل يكون للذنب صافحا وللناس مسامحا ثابتا متوقفا وبالأمور عارفا متواضعا إلى الخيرات مسارعا قنوعا شكورا ويحسن الثناء مسرورا عن المئاثم عفيفا وفي باطنه وظاهره نظيفا [٥] .

---

(١) الخطيب ، د. حنيفه ، الطب عند العرب ، (بيروت – ١٩٨٨م) ، ص٤٩ .

(٢) ابن هبل ، المختارات ، ج١ ، ص٨ .

(٣) المقزي ، مهدي علي الصبيري اليمني المهجمي (مجهول الوفاة) ، الرحمة في الطب والحكمة ، مخطوطة مصورة محفوظة في المكتبة القادرية برقم ، ق/١٣٠١ ، ورقة ١٨ .

(٤) ابن هبل ، المختارات ، ج١ ، ص٣ .

(٥) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٠٥ ؛ ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص٥٥٨-٥٥٩ .

٣- أن يكون متعلم الطب والطبيب صبورا في عمله جادا فيه مبتعدا عن الكذب والدجل وأن لا يكون متهورا مستعجلا في عمله لأن حياة المريض بين يديه [١] .

٤- لا ينبغي أن يوثق بالحسن الشاب في العناية بالطب حتى يبلغ الأشد ويجرب [٢] .

٥- يفضل أن يكون الطبيب صحيح الأعضاء متناسبا في شكلها وحسنها معتدل المزاج ناعم الكف مفرج الأصابع ولونه مائلا إلى البياض مشربا بالحمرة معتدل الشعر في الكثرة والقلة أشهل العينين فيه البشاشة والسرور جيد التصور واسع الخيال قوي الحدس والتخمين صبورا على التعب [٣] .

٦- أن يكون شعاره في الناس اشتهاره بالحذق وبالعفافة والصيانة والأمانة والصدق وأن يكون مثل الزهاد والنساك في عفته ومثل الملوك والأمراء في هيبته [٤] .

٧- يجب على الطبيب الابتعاد عن اللهو واللعب وشرب الخمور فإذا كان من متناوليها فعليه أن لا يكثر منه لأنه يفسد الدماغ [٥] .

٨- أن تكون في الطبيب الرغبة في علاج الأمراض أكثر من الرغبة في جمع الأموال [٦] وأن لا يمتنع في أي حال من الأحوال عن معالجة الفقراء والعطف عليهم [٧] وأن تكون حالته لا مقبلا على الدنيا كليا ولا مقبلا على الآخرة فيكون في وسط بين الرغبة والرهبة [٨] كما يجب أن يكون راغبا في معالجة الفقراء أكثر من معالجة الأغنياء [٩] .

---

(١) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص٥٥٨ .

(٢) ابن ماسويه ، النوادر الطبية ، ص٢٧ .

(٣) البيهقي ، ظهر الدين (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) ، تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق : د. مُحَّد كرد علي ، (دمشق – ١٩٤٦م) ، ص١٥٨-١٥٩ .

(٤) ابن رضوان المصري ، أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب (ت ٤٥٣هـ/١٠٦٢م) ، الكتاب النافع في كيفية تعلم صناعة الطب ، تحقيق : د. كمال السامرائي ، (بغداد – ١٩٨٦م) ، ص١٠١ .

(٥) المجوسي ، علي بن عباس (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، كامل الصناعة الطبية ، (القاهرة – ١٣٩٤م)،ج١ ، ص٨.

(٦) الرازي ، الحاوي ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

(٧) ابن رضوان المصري ، الكتاب النافع ، ص١٠٢ .

(٨) ابن ماسويه ، النوادر الطبية ، ص٢٧ .

(٩) الرازي ، الحاوي ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

٩- أن يكون الطبيب حسن الملبس متعطرا نظيف الوجه والشعر والبدن واليدين وأن تكون ثيابه بيضاء اللون تبعث في النفس البهجة والسرور (١) .

١٠- يجب أن يكون الطبيب سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال والتي قد يشاهدها في منازل المرضى ولا يتعرض إلى شيء منها (٢) .

١١- على الطبيب أن يكون أمينا على أرواح الناس فلا يصف دواء فتاكا أو دواء يسقط الأجنة ويعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه (٣) .

١٢- الطبيب الحقيقي من عالج بالفضائل نفسه ورأى مضرته في الرذائل ثم هبط بعد ذلك إلى معالجة الأجسام فمن لا يهبط من معالجة النفس إلى معالجة الجسد فهو أسفل السافلين (٤) .

١٣- على الطبيب أن يكون كتوما لأسرار المرضى ولا يبوح بشيء من أمراضهم (٥).

وهذه هي أهم صفة يجب أن يتصف بها الطبيب ويلتزم بنصها في عمله لأن المرضى قد وضعوا كل ثقتهم به فلا يجب أن يطلع عليها أحد لا من قريب ولا من بعيد .

١٤- ومن وصايا أبقراط الحكيم والتي سار عليها الأطباء العرب والمسلمين أنه قال : ((أن يكون متعلم الطب في جنسه حرا وفي طبعه جيدا حديث السن معتدل القامة متناسب الأعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفا شجاعا غير محب للفضة مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون بليدا وأن يكون مشاركا للعليل

(١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

(٢) علي ، د. داود سلمان ، ممارسة الطب عند العرب ، بحث منشور ضمن وقائع الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب للفترة من ١٦-١٨ مايس ١٩٨٩م ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ص٣٨٨ .

(٣) عيسى بك ، المأثور في كلام الأطباء ، ص٥١ .

(٤) محفوظ ، نظرة في تاريخ الطب ، ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٥) عيسى بك ، المأثور في كلام الأطباء ، ص٥٠ .

مشفقا عليه حافظا للأسرار لأن كثير من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ...)) (١) .

ومن ذلك نرى أن أولى خطوات تقدم الطب عند العرب المسلمين في العصر العباسي الأول هي ما وضعوه من صفات للطبيب وأن جميع تلك الصفات إذا اجتمعت في الطبيب وسار عليها والتزم بها أصبح ذا معرفة وخبرة عظيمة بأمور الطب كذلك تتبعها الممارسة في العمل ليكون قد تعلم كل جوانب الطب وبحق فإن إضافات العرب والمسلمين في شخصية الطبيب كانت سابقة لم يعهدها أحد من قبل فكان الطب ذا مكانة عالية وشرف عظيم بين سائر الصنائع والمهن وهي بحق أشرف المهن كافة لاتصالها بحياة الإنسان.

المبحث الثاني : طرق التشخيص والعلاج .

برز الأطباء العرب والمسلمين وتفوقوا على غيرهم من أطباء العالم خلال القرون الوسطى في جميع فروع علم الطب وازدادت دراساتهم وبحوثهم الطبية ولم يوسعوا آفاق الطب فحسب بل وسعوا المفاهيم الإنسانية فكان الأطباء العرب والمسلمين لا يفرقون بين الناس غنيهم وفقيرهم فكلاهما سواء في المداراة والعلاج وهي ميزة يكاد ينفرد بها الأطباء العرب والمسلمون (٢) واعتبر الطب من أشرف الصنائع كلها عند العرب والمسلمين كما كان الطبيب وليا من أولياء الله في الأرض ويضعهم البعض في منزلة تساوي منزلة الملوك والأمراء أو تفوقهم لأن الطبيب قد نذر نفسه خدمة للإنسانية المعذبة وأثر مصلحة الناس على مصلحته الشخصية فرتقت مكانة الطبيب في المجتمع العربي الإسلامي (٣) هكذا كانت صورة الطبيب العربي المسلم أو الذمي أما في أوروبا في نفس الوقت فقد اختلفت العقيدة والنظرة إلى الطبيب فكان عرضة لكثير من الإهانات واللعنات والتحقير وبخاصة إذا كان طبيبا جراحا حتى ولو فصد عرقا لإخراج الدم فإن الكنيسة لن تغفر له هذا العمل المشين (٤) .

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص٤٤ .

(٢) الدفاع ، د. علي عبد الله ، أعلام العرب والمسلمين في الطب ، ط٤ ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ص٣٣ .

(٣) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٦٥ .

(٤) هونكه ، زيغريد ، شمس الله على الغرب وفضل العرب على أوروبا ، ترجمة : فؤاد حسنين علي ، (القاهرة – ١٩٦٤م) ، ص١٣٥ .

وتروي المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه عن الطب في أوروبا في القرون الوسطى فتقول : ((قدر أن مرض أحد الفرسان وأشرف على الموت فجاء بعض أصحابه إلى قس من القساوسة وقالوا له : تأتي معنا حتى تبصر الفارس فلان ؟ فقال : نعم ، ومشى معهم ونحن نتحقق أنه إذا حط يده عليه عوفي فلما نظر إليه قال : أعطوني شمعا فأحضرنا له قليل من الشمع فعمله مثل عقدة الإصبع ووضع كل واحدة في جنب من أنفه فمات الفارس ، فقلنا له : قد مات الفارس ؟ فقال : نعم ، كان يتعذب فسددت أنفه حتى يموت ويستريح)) (١) ، وتضيف المستشرقة في موضع آخر فتقول : ((أنه في عام ٨٩٥م تقرر في المجمع الديني الذي عقد في تاتيس أنه على القس عندما يبلغه أن أحد مسيحي طائفته قد مرض عليه أن يتوجه إلى المريض ويرشه بماء مقدس ويصلي معه ثم يبعد سائر أهله وأسرته عنه — ليس لكونهم يعلمون بالعدوى — ليعترف المريض ويرجوه أن يطهر دنياه من الخطايا فبدون اعتراف لا علاج)) (٢) وهكذا أصبح هذا القرار ناموسا يحترم ويطبق وعلى الجميع السمع والطاعة فما ذكرته عن الطب في أوروبا في العصور الوسطى لم يكن مغالاة أو شيء من التهجم على ما كان لدى الأوروبيين ولكننا سنلاحظ أن الفرق شاسع وكبير بين ما وصل إليه الطب العربي الإسلامي وما كان لدى الأوروبيين من الممارسات الطبية .

فتميز الطب العربي الإسلامي بتأثره بنظرية الأخلاط الأربعة واتخاذها أساسا للطب العربي فتكونت هذه النظيرة من عناصر أربعة هي الماء والهواء والتراب والنار والتي اتخذت صفات أربع هي الحرارة والرطوبة والجفاف والبرودة والأخلاط الأربعة في الإنسان هي الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم ، فالدم له خواص الهواء حار رطب والمرة الصفراء لها خواص النار حارة جافة والمرة السوداء لها خواص الماء بارد رطب أما البلغم فخواصه بارد جاف وأن الإنسان لا يكون في حالة الصحة إلا بتعادل هذه الأخلاط تعادلا تاما في الجسد ومنشأ المرض متأتي من تغلب أحد ألأخلاط على البقية أو ضعف إحداها وسيطرة باقي الأخلاط عليها (٣) ، إذن منشأ المرض حسب اعتقاد الأطباء العرب والمسلمين هو اختلال في الأخلاط وأضاف الأطباء العرب والمسلمين سببا آخر لنشوء المرض والعلة وهو اكتشافهم

(١) المصدر نفسه ، ص١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص٤٥ .

للعدوى فإن الأمراض المعدية إنما تكون نتيجة لتعفن في الهواء أو الماء أو الطعام أو غير ذلك [(١)] .

واختلفت بمرور الوقت أسباب نشوء المرض عند الأطباء العرب والمسلمين فأصبح مفهوم المرض عندهم ناتج عن تغير في الهواء أو فسادة أو كثرة الأكل والشرب أو قلتهما أو ناتج عن قلة النوم أو كثرته أو يكون سببه التعب والإجهاد الشديدين أو من الخوف والحزن والغضب وإما يكون من جراء إصابات كالكسور والجروح [(٢)] لذا اختلفت بذلك طرق التشخيص .

وكان لدراسة الأطباء العرب والمسلمين كتب العلوم الطبية اليونانية أو السريانية والهندية وغيرهم من الأقوام فائدة كبيرة فكان لحركة الترجمة دور بارز في تعريب كتب الطب اليونانية وبشكل كبير فترجموا العديد من المؤلفات الطبية الشهيرة أمثال كتاب الفصول وكتاب الأمراض الحادة وكتاب الأمراض الوافدة وكتاب الأخلاط وهي من مؤلفات أبقراط الحكيم [(٣)] وكذلك كتاب النبض وكتاب شفاء الأمراض وكتاب العلل والأمراض وكتاب تعرف علل الأعضاء ، وجميعها لجالينوس [(٤)] وغيرها الكثير من المؤلفات الطبية المترجمة والتي لا يتسع ذكرها جميعا ولم يقف الأطباء العرب والمسلمون عند ترجمة الكتب الطبية وقراءتها بل نقحوها وزادوا عليها من ابتكاراتهم الكثير فكانت إضافاتهم مبنية على التجربة العلمية والمشاهدة والاستنتاج الدقيق فكانت أشهر طرقهم في تشخيص الأمراض هو النظر إلى إدرار المريض وجس نبضه كما استطاعوا التفريق بين الأمراض المتشابهة في الأعراض مثل الجدري والحصبة على سبيل المثال [(٥)] .

وكانت طرقهم في تشخيص الأمراض مشابهة إلى حد كبير لما يقوم به أطباؤنا في الوقت الحاضر واعتمدت على :

---

(١) الهوني ، د. فرج مُحَّد ، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، (مصر – بلا ت) ، ص٩٩ .

(٢) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص١٢٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص٤٥ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص١٠٦ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص١٣٣ .

(٥) الدفاع ، أعلام العرب ، ص٤٠ .

١- فحص إدرار المريض بعناية خاصة أو ما يسمونه بالنظر إلى القارورة فيلاحظون كمية الإدرار ولونه وقوامه وكدره وكثرة الرواسب التي فيه والطبقة التي تعلو سطحه ومذاقه [١] ولكن ذوق الإدرار كان من طرق الفحص النادرة .

٢- جس النبض وهي من أهم طرق الكشف عن العلة وقالوا : ((إن النبض رسول لا يكذب)) [٢] وقسموا النبض إلى عدة أقسام أهمها جس عدد النبضات وإئتلاف النبض واختلافه وزمان حركته وسكونه ومقدار قوته ومقدار ما يحتويه الشريان من الدم وقوة ضرباته وغيرها [٣] .

٣- سؤال المريض عما يشكو وطريقة معيشته [٤] والسؤال هنا للاستدلال عن مكان الألم الذي يشعر به المريض كما يسأله عن طريقة حياته الطبيعية ليتعرف عن مكان الخطأ الذي وقع فيه المريض وإصابة الألم .

٤- مناخ بلد المريض وتربته وعاداته التي بعمل بها الخاصة والعامة [٥] .

٥- سؤال المريض عن عمره والأمراض التي أصيب بها في الماضي [٦] .

٦- حالة عائلته الصحية فيذكر ابن ماسويه : ((إن الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من ألآباء لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالما)) [٧] وهذه إشارة واضحة إلى إلى معرفة الأطباء العرب والمسلمين بالعوامل الوراثية وتأثيراتها على الأبناء .

٧- كما على الطبيب ملاحظة لون جلد المريض ولون ملتحمة العين وكذلك حالة الجلد عند الملمس عند التشخيص ليعرف من هذه التغيرات نوع المرض الذي أصابه [٨] .

---

(١) ابن قره ، أبو الحسن ثابت الحراني (ت ٦٨٨هـ/١٠٠٠م) ، الذخيرة في علم الطب ، (القاهرة – ١٩٢٨م) ، ص٢٩ .

(٢) خليل ، د. ياسين ، الطب والصيدلة عند العرب ، (بغداد – ١٩٧٩م) ، ص٨٢-٨٣ .

(٣) ابن الأزرق ، تسهيل المنافع ، ص١٦٤ .

(٤) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص١٢٨ .

(٥) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٤٠ .

(٦) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٨٢ .

(٧) النوادر الطبية ، ص٢٦ .

(٨) السامرائي ، د. كمال ، الطب في العراق أيام العباسيين ، دراسات في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) ، ص١٠٥ .

وكان التشخيص عند الأطباء يكون ضمن برنامج خاص متبع حيث يبدأ المريض بنزع ملابسه لكي يقوم الطبيب بعدها بجس النبض والقرع على البطن ثم يعاين البراز والقيء وإدرار المريض ليشخص الطبيب بعدها نوع المرض ويحرر الوصفة الطبية حيث يذهب أهل المريض لشرائها من الصيدلاني بعدها يقوم الطبيب بإسداء النصائح الطبية في المأكل والمشرب وكيفية استعمال الدواء [١] والمتأمل لهذه السطور يحس وكأن الطبيب هو من أطباء وقتنا الحاضر ولا يعلم بأن تلك الصورة تعود لطبيب في العصر العباسي الأول وهي تؤكد ما وصلت إليه مهنة الطب من رقي وتطور وازدهار حضاري .

وقد قسم الأطباء في العصر العباسي الأول الأمراض إلى ثلاثة أقسام هي :

أ- أمراض الأعضاء متشابهة الأجزاء إما تكون بسيطة أو مركبة كصغر الأعضاء أو كبرها [٢] .

ب- أمراض الأعضاء الآلية وهي أربع .

١- أمراض الخلقة : وهي التي تؤثر في شكل العضو كانحراف أو اعوجاج [٣] .

٢- أمراض المقدار : وهي المؤثرة في تغير حجم العضو وصغره أو كبره [٤] .

٣- أمراض العدد : وهي المؤثرة على تعدد الأعضاء المصابة وتكون إما بزيادة أو نقصان [٥] .

٤- أمراض الوضع : وهي التي تتعلق بمقدار العضو المصاب أو التشوهات الخلقية [٦] .

ج- أمراض تفرق الاتصال وتحدث في العظام وخلافها فهي في العظام كسور وفي العضلات تعرف بجروح وفي الأعصاب رضات أو قروح [٧] .

(١) الهوني ، تاريخ الطب ، ص١٠٦ .

(٢) المجوسي ، كامل الصناعة الطبية ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢ ؛ الهوني ، تاريخ الطب ، ص١٠١ .

(٥) الهوني ، تاريخ الطب ، ص١٠٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٠٣ ؛ الشمري ، الطب في قرطبة ، ص٦٤ .

(٧) الشمري ، الطب في قرطبة ، ص٦٤ .

كما قسموا المرض الواحد إلى أربعة أحوال ابتداء أي بداية نشوء المرض وصعود أي قوة المرض واستفحاله وانتهاء وهو ضعف المرض بعد علاجه وانحطاط أي زوال المرض وعودة الصحة وكان على الطبيب مراعاة كل حالة من حالات المرض بما يناسبها ويستعمل لكل دور بما يجب استعماله فإذا رأى أن ابتداء المرض ناتج عن فضلات محتبسة كان عليه أن يحركها بالإسهال أو الاستفراغ (القيء) وإن كانت حالة المريض ضعيفة فلا يستعمل الاستفراغ وعليه أن يعالجه بالأدوية وأن لا يستفرغ أو يسهل المريض في حالة صعود المرض لعمل الدواء في الجسم فلا يجب عليه أن يعطي دواء ويستفرغ في الوقت نفسه وإذا انتهى المرض ووقف أخذ بالإسهال واستئصال أسباب المرض مما يؤدي به إلى الانحطاط وشفاء المريض [1] ومن أهم إضافات العرب والمسلمين في التشخيص والعلاج هو قولهم : ((حفظ الصحة أفضل من تناول الدواء)) [2] وبالفعل فإن حفظ الصحة تجنب الأمراض وحفظ الصحة تكون باتقاء البرد والحر الشديدين وباختيار الهواء الصالح والغذاء الجيد وإخراج الفضلات وممارسة الرياضة المعتدلة والنوم المعتدل والسهر المعتدل وحفظ صحة الشباب تكون بالفصد والإسهال أما للشيوخ فهي بالإسهال فقط [3] وأكدوا أيضا على النظافة والاغتسال بالماء البارد صيفا والماء الحار شتاء وأن لا يكثر الإنسان من الجماع [4] فمن اتبع هذه الوصايا حفظ صحته واتقى شر الداء والدواء ومن وصايا حنين بن إسحاق أنه قال : ((من ترك الأكل على السكر والتمتع في الحمام وإدخال الطعام على الطعام فقد استغنى عن الطبيب)) [5] كما أكد الأطباء العرب والمسلمون أن على المرضى أن يسألوا طبيبا واحدا وقالوا : ((من تطبب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم)) [6] وهذه حقيقة علمية لأن المريض الذي يزور طبيبا واحدا فإن ذاك الطبيب يكون أعرف أعرف الناس بمزاج ذلك المريض وهو أسلوب متبع بعض الشيء في الوقت الحاضر .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٢٠ .

(٢) ابن الأزرق ، تسهيل المنافع ، ص٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

(٤) ابن الأزرق ، تسهيل المنافع ، ص٦٧ .

(٥) عيسى بك ، المأثور في كلام الأطباء ، ص١٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٢٤ .

وقد لاحظنا أن التشخيص الطبي عند الأطباء العرب والمسلمين هو مشابه إلى حد كبير التشخيص الطبي في هذا الوقت وهذا بفضل ما أضافه العرب والمسلمون على المؤلفات الطبية التي نقلوها عن سائر الأمم فضلا عن ما كانوا يملكونه من خبرات متراكمة أعطت ثمارها في العصر العباسي الأول .

المبحث الثالث : **علم التشريح** .

عرف علم التشريح بأنه : ((علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وترتيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كل عضو وموضعه من أعضاء البدن كما يظهر فيه فائدة ذلك العضو)) [١] .

ويعد علم التشريح من العلوم الأساسية والرئيسية في دراسة علم الطب وتكمن أهميته بصلته الوثيقة بفروع الطب الأخرى فتشخيص الأمراض ومعالجتها يحتم على الطبيب معرفته للأجهزة والأعضاء الداخلية للجسم فيتعرف من خلال التشريح على مكان العضو وحجمه وشكله والعروق المحيطة به ، كما أن الجراحة تعتمد على علم التشريح اعتمادا كليا لأن الجراح لا يستطيع إجراء العملية الجراحية دون معرفته بمواقع الأعضاء أي أن الجراح العارف بتشريح الجسم يكون أقل خطأ خصوصا وأنه يستعمل الأدوات الجراحية المسننة والحادة فلا يقطع عرقا أو عصبا أو شريانا عن طريق الخطأ فيؤدي بذلك إلى هلاك المريض [٢] كما يدخل علم التشريح في طب العيون (الكحالة) فينبغي للطبيب الكحال أن يكون عارفا بتركيب العين وأجزائها ليستطيع أن يقرر نوع المرض الذي أصابها والعمل على إجراء الجراحة المناسبة لها إن اقتضى الأمر [٣] كما أن علم التشريح يدخل في فن تجبير العظام فمن دون معرفة عدد عظام الإنسان وصورة كل عظم منها وشكله وقدرة وموضعه لا يستطيع أن يعيد العظم المكسور أو المخلوع إلى موضعه وهيئته الأولى [٤] وبصورة عامة كان علم التشريح في العصر العباسي

(١) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت – ١٩٩٢م) ، مج١ ، ج١ ، ص٤٠٨-٤٠٩ ؛ القنوجي ، أبجد العلوم ، ج٢ ، ص١٤٩-١٥٠ .

(٢) خليل ، د. ياسين ، الطب والصيدلة ، حضارة العراق ، (بغداد – ١٩٨٥م) ، ج٢ ، ص٤٦٧-٤٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٦٨ .

(٤) مُحَمَّد ، د. محمود قاسم ، الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به، (بغداد – ١٩٧٤م) ، ص٢١.

الأول ضعيفا مقارنة مع باقي فروع علم الطب وتعود أسباب ضعف علم التشريح إلى أسباب دينية وإنسانية واجتماعية والتي كان لها أثرها الفعال في عدم مواكبة علم التشريح لباقي فروع علم الطب الأخرى حيث حرم علماء الدين المسلمون وغير المسلمين العبث بجثث الموتى واتهام كل من يقوم بالتشريح بالزيغ عن الدين والابتعاد عن الرحمة الإنسانية [١] إلا أن التطور في علم التشريح كان بصورة غير مباشرة في أول الأمر فقد قام الأطباء العرب والمسلمون بجمع المؤلفات الطبية لمختلف الأمم السابقة وخصوصا اليونانية منها وترجموها وصنفوها ورتبوها كما اعتنوا بدراستها دراسة تفصيلية [٢] ومن أشهر هذه المؤلفات المترجمة كتاب علم أبقراط في التشريح وكتاب آراء أبقراط في التشريح [٣] وكتاب التشريح الكبير وكتاب اختلاف التشريح وكتاب تشريح الأحياء وكتاب تشريح الأموات لجالينوس [٤] ، واختصرت هذه المؤلفات اختصارا رائعا وأصبحت في متناول الدارسين لعلم الطب مما سهل قراءتها وبقيت النسخ العربية هي المتداولة في أيادي الأطباء بعد أن فقدت النسخ اليونانية الأصلية [٥] واستفاد الأطباء العرب والمسلمون من كم المعلومات السابقة والخبرات التي كانوا يمتلكونها منذ عصور سابقة للإسلام فبرعوا في وصف أجزاء الجسم وصفا دقيقا كالقلب والكبد والكلى والعين والعضلات والعظام والأمعاء والطحال وغيرها مما يؤيد القول بأنهم قد مارسوا عمليات التشريح – رغم الاعتبارات السابقة – البشري بصورة سرية إذ أن الأطباء العرب قد خالفوا معلومات جالينوس وأبقراط في التشريح وعارضوا آراءهما [٦] وهذا يدل على وجود عمليات تشريحية بالفعل أو أنهم قد اتخذوا معلوماتهم عن طريق المقارن للحيوانات أو من مشاهدة الهياكل العظمية .

(١) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٢٨٠ .

(٢) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٧٢ .

(٣) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٦٧ .

(٤) قنواتي ، المسيحية والحضارة الإسلامية ، ص١٠٦ .

(٥) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٧٣ .

(٦) الحبيطي ، د. عبد الجبار ياسين ، مساهمات الأطباء العرب والمسلمين القدامى في التشريح البشري ، مجلة الثقافة، الثقافة، (عمان – ٢٠٠٠م) ، ع٣ ، ص١٢٢ .

ونجد أن الطبيب يوحنا بن ماسويه قد قام بعمليات تشريحية فريدة من نوعها فقد أجرى عملية تشريح على قرد كبير (مشابه للإنسان) أهدي إليه من أمير النوبه بمصر ووضع فيه يوحنا كتابا أوضح فيها مجموعة من الأخطاء التي وقع فيها جالينوس [١] كما أجرى حنين بن إسحاق عمليات تشريح على مجموعة من عيون الحيوانات مما أكسب بذلك علم الكحالة فوائد كبيرة بعد أن وصف حنين عضلات العين وأغشيتها وطبقاتها ورطوبتها وصفا جميلا [٢] مما يدل على الدقة والبراعة التي كان يملكها أطباء الخلافة العباسية .

كما برعوا في وصف عظام الإنسان خير وصف فنجد وصف تشريحي لفقرات الظهر وتعريف لكل فقرة كما يأتي : الفقرة هي عظم مدور في وسطه ثقب ينفذ منه النخاع وعددها في الظهر ثلاثون فقرة وقسمت على مجموعات فقرات العنق سبع فقرات وفقرات الظهر اثنى عشرة فقرة ، الفقرات القطنية وهن خمس فقرات ، فقرات العجز وهي ثلاث فقرات وأخيرا فقرات العصعص وعددها ثلاث فقرات [٣] .

وتوسع علم التشريح عند الأطباء العرب والمسلمين في العصور العباسية اللاحقة بعد أن عرفوا أهميته الكبرى فحققوا الكثير من الإنجازات المهمة والتي سبقوا الغرب فيها .

المبحث الرابع : **علم الجراحة** .

عرف فن الجراحة بأنه : ((علم باحث عن أحوال الجراحات العارضة لبدن الإنسان وكيفية برئها وعلاجها ومعرفة أنواعها وكيفية القطع إن احتيج إليها ومعرفة كيفية المراهم والضمادات وأنواعها كذلك يتطلب معرفة بالأدوات والآلات اللازمة وهو جزء من علم الطب وينفرد عنه بالتدوين ومنفعته عظيمة جدا وهذا العلم بالعمل أشبه منه بالعلم)) [٤] وعرفت الجراحة بالعمل بالحديد [٥] أو صناعة اليد [٦] ولم يكن ذلك انتقاصا أو تقليلا من

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٢) خير الله ، د. أمين أسعد ، الطب العربي ، (بيروت – ١٩٤٦م) ، ص١٧٨ .

(٣) الخوارز منشاهي ، أبو إبراهيم زين الدين إسماعيل بن الحسن (مجهول الوفاة) ، الزبدة في الطب ، مخطوطة مصورة محفوظة في المكتبة القادرية تحت رقم ق/١٣٠٠ ، ورقة ٦٠ .

(٤) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، مج١ ، ج٢ ، ص٥٨١ ؛ القنوجي ، أبجد العلوم ، ج٢ ، ص٢١٠-٢١١ .

(٥) السامرائي ، الطب وتاريخه ، المورد ، ع٣ ، مج١٤ ، ص٣٦ .

(٦) خليل ، الطب والصيدلة عند العرب ، ص٩٤ .

أهمية هذا الفرع الحيوي في الطب ولكن الأطباء قد ترفعوا عنه في أيامهم الأولى وقللوا من شأنها لأنهم كانوا يعتبرونها صناعة يدوية أما الطب فكان عندهم نتاج العقل في اعتبارهم والعقل أعلى منزلة من اليد (١) ومما لا شك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين علم التشريح والجراحة ولا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بين العلمين (٢) وذكرنا سابقا كيف تعثر علم التشريح في العصر العباسي الأول مما أثر سلبا على علم الجراحة ، لذا بقي علم الجراحة من اختصاص الحلاقين والحجامين إذ هم يقومون بالعمليات الجراحية البسيطة كالكي والفصد والبتر تحت إشراف وإرشاد الأطباء الذين كانوا يستسقون معلوماتهم الجراحية مما خلفه أبقراط وجالينوس وبولس الأجانيطي وغيرهم من أطباء اليونان (٣) وعلى الرغم من عدم ارتقاء الجراحة عند العرب في بادئ الأمر إلا أنها كانت من الصنائع والمهن الشريفة والمفيدة للمجتمع على عكس ما نجده في أوروبا فقد كان الجراح من الطبقات الدنيا في المجتمع وكان ينظر إليه الناس باحتقار وانتقاص حتى ولو كان يساعد الناس ويشفيهم كما أنه مطرود من الكنيسة ولن تغفر له أعماله المشينة حسب اعتقادهم (٤) إلا أن العرب والمسلمين قد تميزوا تميزوا بنظرتهم العلمية الصائبة وعقولهم المتنورة فباشروا العمل على تطوير علم الجراحة والارتقاء به لحاجتهم الماسة إليه خصوصا بعد فشل العلاجات الأخرى فمارسوا عمليات قلع الأسنان وبتر الأطراف والبواسير وغيرها (٥) .

كما برعوا في إنجاز أصعب العمليات الجراحية مثل عملية قدح العين بإخراج الماء الأزرق منها ومع أن لهذه العملية صعوباتها إلا أنهم قد مارسوها وبنجاح (٦) حتى أن الطبيب أبو بكر الرازي (ت ٣٢٠هـ/٩٢٥م) لما أصيب بالعمى أواخر عمره عرض عليه إجراء هذه

---

(١) المصدر نفسه ، ص٩٤ .

(٢) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٧٦ .

(٣) مُحَمَّد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص٣٣ .

(٤) هونكه ، شمس الله على الغرب ، ص١٣٥ .

(٥) السامرائي ، الطب وتاريخه ، المورد ، ع٤ ، مج١٤ ، ص٣٦ .

(٦) العبادي ، العشر مقالات في العين ، ص١٤١ .

العملية فقال : ((لا قد أبصرت من الدنيا حتى مللت)) [1] ولم يسمح بقدح عينيه وهذا يؤكد على نجاح هذه العملية .

ومن إضافات الأطباء العرب والمسلمين إلى علم الجراحة أنهم وضعوا أدبا خاصا بالجراح فكان يجب عليه أن يقطع أظافر يديه وينظفها كما يغسل مكان العملية في بدن المريض ومكان إجراء العملية ويقوم بتبخيرها بالمواد العطرية (تعقيمها) كما عليه أن يحضر كل ما يحتاجه من الأدوات والرفائد والمراهم [2] كما أضافوا أيضا طرق لتعليم فن الجراحة وما ينبغي لمن أراد تعلم الجراحة فعليه أن يحضر الأماكن التي يكون فيها أمهر الجراحين ويعاين أعمالهم وينظر إليهم ويتعلم منهم كيفية علاج كل نوع من أنواع الجراحة كما يكسب أيضا من ذلك الجسارة والخبرة في الممارسة [3] وشيئا فشيئا أصبح علم الجراحة علم خاص له مبادئ ومطالب وأن القائم بالجراحة من فصد وبط وشق وعلاج للكسور وغيرها أن يكون يقظا حذرا ودقيقا في عمله وأن يراعي مجموعة من الشروط وقد أوجزها الدكتور ياسين خليل وهي :

أ- أن يتجنب الجراح عند الفصد أو البط إصابة شريان بضرر لأن ذلك قد يؤدي إلى عطب العضو أو حالة من النزف الشديد ومن ثم الموت .

ب- أن يكون الجراح على معرفة تامة بعلم التشريح ليعرف مواضع الأوردة والشرايين ومسالكها وأن لا يفصد صبيا صغيرا أو شيخا فانيا ولا امرأة حامل .

ج- أن ينظر الجراح في الجروح والأورام غير الخبيثة فلا يقدم على خياطة جرح أصابه قيح وتهيج أو التهاب إلا بعد إزالة هذه الأعراض بواسطة الأدوية المنقية للجروح .

د- أن لا يقدم الجراح على عمليات لا يستطيع القيام بها أو لا يمكن شفاءها كعمليات القلب والمعدة والكبد والكلى والرئة والأورام السرطانية لكي لا يخاطر بحياة المريض وسمعته .

---

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٧٩ .

(٢) السامرائي ، الطب وتاريخه ، المورد ، ع٤ ، مج١٤ ، ص٣٦ .

(٣) خليل ، الطب والصيدلة ، ص٦٧-٧٠ .

هـ- على الجراح أن يتجنب وقوع أوساخ أو مواد غريبة في شقي الجرح لأن ذلك يمنع من شفائه [1] .

وقد سجل تاريخ البشرية سابقة عظيمة ابتدعها الأطباء العرب والمسلمون في علم الجراحة إذ أنهم أول من استخدم مواد التخدير في العمليات الجراحية مثل الحشيش والأفيون والزوان وست الحسن كذلك اخترعوا الاسفنجة المخدرة وخيوط الجراحة المأخوذة من أمعاء القطط والحيوانات واستخدمت لخياطة الجروح ولقطع النزيف الشديد [2] .

وتقدمت الجراحة في العصور الإسلامية اللاحقة وأصبحت علما ذا قواعد وأصول وبرزت العديد من الأسماء المشهورة في تاريخ البشرية أمثال ابن سينا والمجوسي والزهاوي وغيرهم من فطاحل الطب الجراحي ولا بد لنا من ذكر بعض الأدوات الجراحية المستخدمة عند الأطباء العرب والمسلمين .

١- بريد : إحدى أدوات الطب الجراحي وهي على نوعين :

أ- مبضع شديد الصلابة لثقب ملتحمة العين .

ب- آلة أشبه بالمسبار وهي تصلح لتفشيش الأورام والخراجات وتكون عادة من الفضة وهي على أنواع قصيرة ومتوسطة وطويلة ولكل واحدة استخداماتها الخاصة [3] .

٢- المسبار : هو فتيلة تدخل في الجرح لمعرفة مقدار عمقه [4] .

٣- الموس والمقص : أداة يستخدمها الحجامون والحلاقون في عمليات الختان [5] .

٤- المكواة : الحديدة التي يكوى بها [6] وقيل الميسم أو الشيء الذي يوسم به [7] .

٥- المقداح : مكواة من الحديد لعلاج عرق النسا [8] .

٦- مكبس : لكبس اللسان وقت إجراء عملية استئصال اللوزتين [1] .

---

(١) خليل ، الطب والصيدلة ، ص٩٧-١٠٠ .

(٢) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٧٧ .

(٣) عطية الله ، أحمد ، القاموس الإسلامين ، (القاهرة – ١٩٦٣م) ، مج١ ، ص٣١٠ .

(٤) ابن سيده ، المخصص ، ج٥ ، ص١٠١ .

(٥) الموسوي ، معارف العرب قبل الإسلام ، ص٦١ .

(٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٥ ، ص١٠١ .

(٧) الفراهيدي ، العين ، ج٧ ، ص٣٢١ .

(٨) الخطابي ، د. محمد العربي ، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٨م) ، ص٢٦٧.

٧- المبضع : ويكون على عدة أنواع ويستخدم للشق والكشط والبط والقطع كما أنه على حجوم مختلفة صغيرة وكبيرة [٢] .

٨- مناشير ومجارد ومقاطع : تستعمل في جراحات العظام والكسور [٣] .

٩- المحجم : مشرط الحجام والذي يستخدم في عملية الحجامة [٤] .

١٠- الضماد : قطعة من القماش تلف على الجرح لمنع خروج الدم ولقطع النزيف [٥] .

المبحث الخامس : طب النساء والأطفال .

على الرغم من أن قسما من الأطباء العرب والمسلمين قد تخصصوا في فروع علم الطب المختلفة كالطب الباطني وطب العيون وغيرها إلا أنه لم يتخصص أحد منهم بطب النساء أو الأطفال إلا أن اهتمامهم بهذين الفرعين كانت كبيرة ومتناسبة إلى ما وصل إليه الطب في العصر العباسي الأول فبنشاط حركة ترجمة الكتب الطبية لمختلف الأمم القديمة فقد تم نقل مجموعة كبيرة وعظيمة من المؤلفات الطبية الهامة الباحثة في طب النساء والأطفال منها كتاب أوجاع النساء لأبقراط [٦] وكتاب الفصول لأبقراط وهو مجموعة كثيرة من المقالات الطبية المختلفة فصنف فيه أمراض شلل الأطفال وكذلك كيفية إعطاء الدواء للمرأة الحامل [٧] وكتاب المولودين لثمانية أشهر وكتاب الجنين وقد ترجمها حنين بن إسحاق [٨] كما ترجم ابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم مؤلفات طبية في هاذين الاختصاصين منها كتاب تشريح الرحم [٩] وكتاب تولد الجنين لسبعة أشهر وهي من مصنفات جالينوس [١٠] وبذلك امتزجت

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٦٨ .

(٢) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٣١٨ .

(٣) الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ص٢٧٠ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص١١٧ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص٣١٢-٣١٣ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص١٥٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٥ .

(٩) قنواتي ، المسيحية والحضارة الإسلامية ، ص١٠٦ .

(١٠) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٦٣ .

معارف العرب وخبراتهم السابقة من طرق العلاج الشعبي بالعلوم الطبية المختلفة إلا أن إضافات الأطباء العرب والمسلمين كانت نقلة عظيمة في تطوير هذين الاختصاصين .

فكانت من أوليات العرب اهتمامهم الكبير بصحة المرأة الحامل في حالتي الحيض والولادة فمنعوا التقرب للمرأة الحائض كما منعوها من مزاولة الأعمال العنيفة والشاقة وأن تتجنب الاستحمام بالماء الحار لأنه يزيد من حالات النزف (١) أما الحامل فحذروها من السقطة والضربة والوثبة وخاصة في الأشهر الأولى والأخيرة من الحمل كما تحذر كل ما يساعد على الإدرار والطمث لأنها تساعد على الإجهاض واهتموا بغذائها فوصفوا لها الأصناف الغذائية الجيدة مثل اللحوم والدجاج والفواكه (٢) وأضاف الأطباء العرب والمسلمون سابقة علمية وهي ضرورة إبعاد المرأة الحامل عن الصدمات النفسية العنيفة والتعب الشديد والسهر الطويل والرياضة العنيفة وأن تتمتع بكل ما يريح النفس (٣) والتزاما بتعاليم الإسلام والأخلاق العربية الأصيلة لم يقم الأطباء العرب والمسلمون بفحص النساء المريضات بأنفسهم بل تركوا هذه المهمة للقابلات بناء على تعليمات وتوجيهات الأطباء فيصف القابلات كل ما يرونه غريبا وبصورة دقيقة فيعتمد الطبيب على ذاك الوصف في تشخيص المرض وتقديم العلاج المناسب (٤) وعلم الأطباء أن الأدوية والعقاقير تؤثر وبشكل كبير على حياة الجنين فيقول ابن ماسويه : ((سقي الحامل الأدوية المسهلة يضعف أعضاء الجنين الرئيسية مدى عمره)) (٥) ووضع ابن ماسويه كتابا أسماه لم امتنع الأطباء عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن (٦) كذلك وضع عيسى بن ماسه مؤلفة الرؤيا يجيز فيه السبب الذي امتنع به معالجة الحوامل (٧) كما كتب الأطباء عن عمليات عسر الولادة وكيفية إخراج الجنين

(١) البلدي ، مُحَّد بن يحيى (ت ٣٦٨هـ/٩٨٣م) ، تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض الأمراض العارضة لهم ، تحقيق : د. محمود قاسم مُحَّد ، (بغداد – ١٩٨٠م) ، ص١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

(٣) البكري ، د. عادل ، الطب الوقائي عند العرب ، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٧١١ .

(٤) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٨٠ .

(٥) النوادر الطبية ، ص٢٩ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٩ .

الجنين وفي أسباب زيادة لبن الأم المرضع وعرفوا أسباب الحمل وانقطاعه [١] وكانت عمليات التدخل الجراحي تمارس عندما تتعسر الولادة فيتم سحب الجنين باليد أو باستعمال أدوات جراحية بسيطة مثل (الشداخ) [٢] أو السكين أو المقص وتقطيع الجنين إذا كان ميتا [٣] ولشدة اهتمام الأطباء بحياة المرأة وخصوصا في أشهر الحمل فقد درسوا بذلك حياة الجنين وصفاته قبل الولادة وذكروا العلامات التي يستدل بها على حالة الجنين من حركاته داخل رحم أمه ومن حالة المرأة أثناء الحمل ومن بكاء الطفل عند الولادة ووزنه وعملية رضاعته وعدد ساعات نومه [٤] وأعطى الأطباء جل وقتهم من أجل الأطفال ودراسة الأمراض التي تصيبهم في سن مبكرة فبحثوا في تشخيص الأمراض وإيجاد أنفع العلاجات فعرفوا الإسهال والربو والسلس والتشنجات والديدان التي تصيب الجهاز الهضمي والحمى وشلل الأطفال [٥] وقد ربط الأطباء العديد من الأمراض على عوامل وراثية وخصوصا الأمراض المزمنة : ((الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من الآباء لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالما صحيحا)) [٦] أما في جانب رضاعة الطفل فقد وضع الأطباء شروطا لاختيار المرضع لوقاية الطفل من التعرض للأمراض فيجب أن تكون المرضع في مقتبل العمر وأن يكون بدنها صحيحا معافى وصدرها واسع ومزاجها معتدل وأخلاقها حسنة [٧] ولا تكون قريبة العهد من من الولادة ولا بعدية عنها ويجب أن تكون تغذيتها جيدة لأن الغذاء الجيد يساعد على تكوين الحليب الجيد [٨] وأكدوا على أن تكون مدة الرضاعة سنتين أو أقل بشهور عملا بقوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ

---

(١) ابن قره ، الذخير في علم الطب ، ص١١٨-١٢٠ .

(٢) الشداخ : آلة جراحية تستخدم لتقطيع الجنين الميت داخل الرحم وهو أشبه بالمقص إلا أن فيه أسنان شبيهة بالمنشار ؛ الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ج١ ، ص٢٧٠ .

(٣) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٨٤-٨٥ .

(٤) ابن الجزار القيرواني ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م) ، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، (تونس – ١٩٦٨م) ، ص٤٢ .

(٥) الدفاع ، أعلام العرب والمسلمين ، ص٤٦ .

(٦) ابن ماسويه ، النوادر الطبية ، ص٢٦ .

(٧) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص٩٧ ؛ ابن الجزار القيرواني ، سياسة الصبيان ، ص٧٠-٧١ .

(٨) ابن الجزار القيرواني ، سياسة الصبيان ، ص٧٤ .

ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) (١) وأوصى الأطباء أن تكون مدة الرضاعة سنتين وأن يكون الفطام تدريجيا ولا يفطم الطفل في الصيف الحار أو في الشتاء القارص بل في الأوقات المعتدلة المناخ (٢) فيمكن اعتبار هذه الشروط هي صمام الأمان الذي ابتدعه الأطباء العرب والمسلمين لحياة الطفل الأولى لينشأ بعدها نشأة صحية وأخلاقية صحيحة تضمن له الوقاية من مختلف الأمراض وقد قسم الأطباء حياة الطفل تقسيما رائعا لا يختلف عما قسمه أطباء هذا الزمان وهي على مراحل :

أ- **المرحلة الأولى** : وتبدأ منذ ولادة الطفل حتى بلوغ الأربعين يوما .

ب- **المرحلة الثانية** : وتكون من الأربعين يوما إلى وقت ظهور الأسنان أي ما بين الشهر السابع والعاشر من عمر الطفل .

ج- **المرحلة الثالثة** : وتبدأ منذ ظهور الأسنان إلى عمر السبع سنوات (٣) .

ولاهتمام الأطباء بحياة الطفل فقد ظهرت عدة مؤلفات طبية في ذاك الخصوص فكان فردوس الحكمة لابن ربن الطبري وهو أقدم مؤلف طبي جامع لكل الفنون الطبية فقد ذكر فيه كل ما يتعلق بحياة الطفل منذ الولادة وحتى نشأته والأمراض التي تصيبه (٤) كما وضع حنين بن إسحاق مؤلفه الطبي كتاب المواليد لثمانية أشهر وتحدث فيه عن تغذية الطفل وكل ما يتعلق بحياته عن طريق أسلوب جميل وممتع عن طريق السؤال والجواب (٥) وقد شملت عناية عناية الأطباء بالأطفال منذ أول لحظة ولادته وكيفية استقباله حين الولادة وتدبيره وتقميصه وتغذيته كما وضعوا شروطا للغرفة التي يجب أن يرقد فيها من الناحية الصحية كالتهوية واعتدال الحرارة وأكدوا على العناية بنظافة أذنيه وعينيه والاعتناء بسرته وطريقة قطعها ولفها

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٢) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٧٢ .

(٣) ابن ربن الطبري ، فردوس الحكمة ، ص٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٩٧-١١٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنبياء ، ج٢ ، ١٦٤ .

[1] كما أجمع الأطباء على كون حليب الأم أفضل أنواع الحليب للطفل وأنه يفوق سائر أنواع الحليب الأخرى بما يحتويه من مواد غذائية كاملة [2] وهذا ما يؤكده العلم الحديث في وقتنا الحاضر .

وتوالت إنجازات الأطباء العرب والمسلمين في طب النساء والأطفال وأخذت حيزا كبيرا بعد فترة من الزمن ووضعت فيها المؤلفات القيمة من قبل الرازي وابن سينا وغيرهم وشرحوا فيها بإسهاب وتوسع كبير كل ما تحتاجه الأم وطفلها من العناية والوقاية وفق أساليب علمية صحيحة مما يدل على تطور الطب ورقية الحضاري ودقة الملاحظة وطول بالهم وتحملهم المشاق الكثير من أجل تحصيل كل ما هو نافع للمجتمع والإنسانية .

المبحث السادس : **العلوم الطبية المختلفة** . (**الكحالة – طب الأسنان – الأمراض النفسية**) .

لم تتوقف إنجازات الأطباء العرب والمسلمين عند حد في العلوم الطبية أو عند فرع دون الفروع الأخريات بل كانت لهم إضافات وابتكارات عظيمة في علم الكحالة (طب العيون) وطب الفم والأسنان والأمراض النفسية وغيرها والتي كانت لهم شواهد علمية وسابقات لم يتوصل إليها أحد من قبلهم دلت على الجهد الكبير الذي بذلوه لقاء إيجاد أنفع الوسائل والطرق العلاجية وسأتطرق إلى إنجازات الأطباء العرب والمسلمين في علم الكحالة وطب الأسنان والأمراض النفسية .

عرف علم الكحالة بأنه : ((فرع من فروع علم الطب وهو علم باحث عن حفظ صحة العين وإزالة مرضها وموضوعه عين الإنسان غرضه ونفعه ظاهران لا يخفيان)) [3] وعرفت العين بأنها : ((عضو حاس آلي باصر مركب من صفاقات ورطوبات وأغشية وأوردة وشرايين وأعصاب وعضلات وهي مرشدة الإنسان إلى حيث أحب وتقيه من الآفات

(١) ابن الجزار القيرواني ، سياسة الصبيان ، ص٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٤ .

(٣) القنوجي ، أبجد العلوم ، ج٢ ، ص٤٣٩ .

والأخطار الواردة عليه)) [١] ويستدل من تعريف علم الكحالة بأنه حفظ صحة العين السليمة أو رد الصحة لها في حالة فقدانها وهذا غرض علم الطب عموما في حفظ الصحة ورده إلى ما كان عليه قبل المرض .

واهتم الأطباء بعلم الكحالة اهتماما كبيرا بسبب انتشار أمراض العيون بكثرة في مناطق الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق [٢] كونها منطقة متربة حارة يكثر فيه الذباب والذي ينقل مختلف الأمراض [٣] فدرس الأطباء العرب والمسلمون العين وأجزاءها بتفصيل وعناية وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه : ((لقد بلغ العرب في فرع طب العيون شوطا عظيما وتفوقوا على اليونان وساعدهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات والذي يعد علما عربيا دون مبالغة)) [٤] ومزج العرب في تطويرهم لعلم الكحالة بين ما يملكونه من خبرات سابقة وبين ما ترجموه عن الكتب الطبية اليونانية وخصوصا مؤلفات جالينوس [٥] فوقعوا في البداية في نفس الأخطاء التشريحية التي أخذوها عن اليونان فنجد مؤلف يوحنا بن ماسويه دغل العين قد كتب بأسلوب يوناني كما وجدت فيه المصطلحات اليونانية مما يؤكد تأثره بالكتب اليونانية [٦] ولم يقف الأطباء عند ذاك بل قرروا البحث والدراسة بأنفسهم خصوصا وأن المعلومات اليونانية لم تشبع رغباتهم وطموحاتهم المتعددة فتوصلوا إلى معلومات أوسع وأدق عن مختلف الأمراض التي تصيب العيون وعلامات حدوثها وكيفية علاجها ومداواتها ومما ساعد على تطور طب العيون هو إقدامهم على تشريح عيون الحيوانات مما أكسبهم معلومات أدق في هذا المجال [٧] وكان حنين بن إسحاق أول من وصف عضلات عضلات العين وأغشيتها وطبقاتها وصفا دقيقا حينما قال : ((إن لعيون الحيوانات تسع عضلات منها أربع مستقيمة واثنتان منحنيتان وواحدة مؤلفة من ثلاث عضلات وظيفتها

---

(١) العبادي ، العشر مقالات في العين ، ص٩٠-٩١ ؛ العاني ، د. مصطفى شريف ، نبذة عن نشأة الطب عند العرب وفروع الكحالة منه خاصة ، مجلة التراث العلمي العربي ، (بغداد – ١٩٧٧م) ، ع١ ، ص٤١ .

(٢) خير الله ، الطب العربي ، ص١٧٨ .

(٣) السامرائي ، الطب وتاريخه عند العرب ، المورد ، ع٤ ، مج١٤ ، ص٣٧ .

(٤) شمس العرب تستطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، (بيروت – ١٩٦٤م) ، ص٢٧٩.

(٥) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص١٦٠ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٧) خير الله ، الطب العربي ، ص١٧٨ .

تثبيت المقلة في مكانها وهذه العضلة الثلاثية هي خاصة بالحيوانات ولا توجد عند الإنسان)) [(١)] كما شرح ثابت بن قرة تركيب العين فقال : ((العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات والبصر بالرطوبة الجلدية وسائر الرطوبات والطبقات خلقت لمعونة هذه الرطوبة إما لأن تؤدي لها منفعة أو لتدفع عنها مضرة)) [(٢)] وكان أبرز من كتب في طب العيون حنين بن إسحاق ومؤلفه العشر مقالات في العين وذكر فيه طبيعة العين وتركيبها وطبيعة الدماغ ومنافعه وكيفية الإبصار كما ذكر علامات وأعراض الأمراض التي تصيب العين معززها بوصف الأدوية النافعة وطرق تركيبها وكيفية مداراتها وعلاجها بالحديد (أي الجراحة) [(٣)] كما اشتهر عيسى بن علي الكحال بمؤلفه تذكرة الكحالين وهو خاص بعلم الكحالة وذكر فيه حدة العين وتركيباتها وتشريحها وعدد طبقاتها ورطوباتها وأعصاب العين ومواضعها وعدد الأمراض التي تصيب العين وعلامات حدوثها [(٤)] كما كان ليوحنا بن ماسويه مؤلفات قيمة ككتاب معرفة الكحالين [(٥)] وكتاب تقاسيم علل العين وكتاب اختبار علل العين وكتاب مداواة علل العين بالحديد لحنين بن إسحاق [(٦)] وله أيضا كتاب مسائل في العين وهو على طريق السؤال والجواب واحتوى على ٢٠٧ سؤال وجواب وبشكل ممتع [(٧)] كما أشار الطبيب علي بن ربن الطبري إلى تركيب العين وكيفية برئها وعلاجها بشكل يقارب ما يقوم به أطبائنا في العصر الحاضر [(٨)] وكان على الكحال أن يكون عالما بأقسام العين الظاهرة للحس والمخفية وأمراض كل نوع منها [(٩)] عالما بكيفية الإبصار والطرق التي تتم فيها الرؤيا

---

(١) العشر مقالات في العين ، ص٧٥-٧٦ .

(٢) الذخيرة في علم الطب ، ص٣٥ ؛ الكحال ، علي بن عيسى شرف الدين (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، تذكرة الكحالين ، تصحيح : محي الدين القادري الشرفي ، ط٢ ، (حيدر آباد الدكن — ١٩٦٢م) ، ص٣١ .

(٣) ينظر : العشر مقالات في العين ، ص٧٣، ٨٣، ٨٩، ١١٢، ١٥٨، ١٧١ .

(٤) ينظر : تذكرة الكحالين ، ص٢ ، ٣ ، ٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٦ ؛ القربي ، أحمد حسنين ، قصة الطب عند العرب ، (مطابع الدار القوية ، بلا ت) ، ص١١٩ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٩ ؛ خطاب ، د. فرات فائق ، الكحالة عند العرب ، (بغداد — ١٩٧٥م) ، ، ص٢٦ .

(٧) حسن ، د. حسن علي ، العين أمراضها ووقايتها ، (بيروت — ١٩٨٦م) ، ص١٦ .

(٨) فردوس الحكمة ، ص٤٢٠-٤٣٥ .

(٩) العاني ، نبذة عن نشأة الطب ، التراث العلمي ، ع١ ، ص٤١ .

وأن تكون له خبرة ومعرفة بالأدوية الضرورية للمعالجة ونوعية الأمراض التي تبرأ والتي لا تبرأ وتقسيم الأدوية إلى مفردة ومركبة وإعطاء صفات كل دواء من حيث المفعول في الشفاء وتأثيره على باقي أعضاء الجسم (١) وقد قسم الكحالة العرب والمسلمون دور الكحالة في علاج أمراض العيون وقد أورد الدكتور خليل السامرائي ذلك التقسيم :

١- كيفية إمكان المحافظة على صحة العين السليمة وتلافي الأمراض قبل وقوعها .

٢- على الكحال أن يعرف كيفية إزالة المرض من العين المصابة وهذا يتطلب منه معرفة بتشريح العين وفسلجة البصر ومعرفة بكافة الأمراض التي تصيب العين مع معرفة تامة لكافة الأدوية والعلاجات النافعة (٢) .

وقد لخص الأطباء الكحالون أسباب إصابة العين بالأمراض وأرجعوها إلى إجهاد العين بالأعمال الدقيقة والتعرض الكثير لأشعة الشمس الشديدة وكثرة السهر الطويل ومن أجل الحفاظ على صحة العين أكدوا على الاعتناء بالمأكل والمشرب والحركة والسكون واليقظة والتقليل من السهر واجتناب الغبار والأتربة وعدم التعرض لأشعة الشمس أو النظر إليها مع تكحيل العين والمحافظة على نظافتها (٣) ومن إضافات العرب والمسلمين أنهم قد قسموا الأمراض التي تصيب العين إلى صنفان :

أ- الأمراض الظاهرة للحس وهي ما تصيب الأجفان كالرمد وأمراض الطبقة القرنية والعنبية أي الأمراض الظاهرة على العين (٤) .

ب- الأمراض المخفية للحس وهي التي تصيب الأجزاء الدقيقة داخل العين كالرطوبات الجلدية والزجاجية والبيضية وأمراض الشبكية وأمراض العصب البصري وغيرها (٥) .

واعتمد الكحالة في تشخيص أمراض العين ليستدل بها إلى المرض المخفي (٦) وبرع الكحالة العرب والمسلمين بجراحة العيون وجعلوها علما بحد ذاته قائما على مبادئ وقوانين ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص٤١ .

(٢) دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢١ .

(٣) الكحال ، تذكرة الكحالين ، ص٣١٨-٣١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٨١ .

(٦) خليل ، الطب والصيدلة ، حضارة العراق ، ج٢ ، ص٤٩٠ .

فنجد الجراح يلجأ إلى القطع أو الجرد أو الشق أو الثقب بعدما يستنفذ كافة الوسائل العلاجية الأخرى فقاموا بالعديد من العمليات الجراحية المعقدة في العين ووصفوها في مختلف مصنفاتهم وكانت أشهرها عملية قدح العين لعلاج الماء فيها (١) وابتكروا لها أبرة مجوفة يزال بها الماء بالامتصاص كما استخدموا التنويم في العمل الجراحي بواسطة المخدر (٢) وقد صنع الكحالون عدة أدوات للعمل الجراحي في العين مثل الصنانير لرفع أجفان العين أثناء العملية (٣) والمقداح لإزالة الماء النازل في العين وغيرها (٤) وبعد أن أصبح علم الكحالة من العلوم التي تحددت مواضيعها وأدواتها وطرق معالجتها أصبح هناك الكم الهائل من مزاولي المهنة خلال العصر العباسي الأول لذا وضعت تحت رقابة المحتسب والذي يعد هيئة رقابة حكومية مباشرة على أصحاب المهن والحرف المختلفة وكان له الأثر البالغ في ضبط ومراقبة كل أصناف الطب المختلفة ويمتحن كل صنف منهم حسب كتب الطب المعمول بها (٥) وسوف وسوف يتم ذكر امتحان الكحالين عند ذكر امتحان الأطباء لاحقا .

ومن أشهر الكحالين في العصر العباسي الأول ماسويه الخوزي أبو يوحنا وكان كحال الخليفة هارون الرشيد (٦) وجبرائيل كحال الخليفة المأمون وكان يستخف المأمون يده في الكحل (٧) وكان الكحال يتمتع بشخصية مميزة في جميع الأمصار الإسلامية وهو طبيب مميز عن باقي طبقات الأطباء الآخرين (٨) حتى أن أجوره كانت أعلى من أجور باقي الأطباء فكانت أجور الطبيب العام لا تتجاوز الأربعة دراهم في أحسن الأحوال بينما يتقاضى الكحال أجور تصل إلى ثمانون درهما (٩) وهذا يدل على ارتفاع شأنه وعلو منزلته.

---

(١) العبادي ، العشر مقالات في العين ، ص١٤١ .

(٢) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٠ .

(٣) الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ص٢٦٨ .

(٤) خطاب ، الكحالة عند العرب ، ص٩٤ .

(٥) خليل ، الطب والصيدلة ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٤٨٧ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٩ .

(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٦ .

(٨) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٨٩ .

(٩) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢١ .

ومن إضافات العرب والمسلمين في صنوف علم الطب نأخذ ما أضافوه في طب الأسنان فتعود معرفة العرب بطب الأسنان إلى عصور قديمة فكانوا يهتمون بنظافة أسنانهم والعناية بها بالسواك والذي أكد عليه الدين الإسلامي فيما بعد وقد تطور طب الأسنان خلال العصر العباسي الأول فتقدمت جراحات الفم والأسنان فكانوا يجرون العمليات المختلفة على الفم ويعالجون الأسنان بالأدوية ويسدون النصائح والإرشادات الطبية للمحافظة عليها (١) لأنهم قد أيقنوا أن سلامة الأسنان تؤدي إلى المضغ الجيد والتي تجنب عمليات عسر الهضم وقد أرجع الأطباء أسباب الألم في الأسنان إلى سوء المزاج أو من جراء تعرض السن للمشروبات الباردة أو الحارة أو لقلة الغذاء عند كبار السن كما توصلوا إلى أن سبب الألم يكون ناتجا عن زيادة في عدد الأسنان أو من عطب السن أو اللثة (٢) وقد أشار الأطباء إلى الأشياء المضرة بالأسنان مثل الحلوى أو شرب الأشياء الساخنة أو الباردة والتي تؤدي إلى تهيج عصب السن وتسبب الألم الشديد فيه (٣) كما اهتموا بنظافتها وإخراج الفضلات من بينها وبينوا الأدوية النافعة والتي تجلو الأسنان من الصفرة والسواد وتطيب رائحة الفم (٤) واستعملوا لعلاج الأسنان الإسهال لإخراج الفضلات من المعدة والتي تسبب تعفنا في الفم وكذلك استعملوا المضمضات والغرغرات واللطوخات والكمادات (٥) كما ثقبوا ثقبوا الأسنان ونظفوها وقاموا بحشيها بمواد نباتية مخلوطة بالعسل بعد ثقبه وتنظيفه (٦) وإن لم تنفع الحشوة قلعوا السن بالحديد (٧) لأن القروح والأورام الناتجة في الفم تصل إلى جميع أجزاء أجزاء البدن وتأتي منه مضرة عظيمة وشديدة فلا بد من علاج سريع له (٨) كما صنع

---

(١) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٦٣ .

(٢) ابن الجزار القيرواني ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م) ، زاد المسافر وقوت الحاضر / تحقيق : الراضي الجازي ، ط١ ، (تونس – ١٩٨٦م) ، ص١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٩ .

(٤) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٩٥ .

(٥) مُحَمَّد ، د. محمود قاسم ، الألم في الطب العربي ، بحوث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٩٠م) ، ص٢٣٥-٢٣٦ .

(٦) ابن الجزار القيرواني ، زاد المسافر ، ص١٤٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٤٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ص١٥٠ .

الأطباء العرب الأسنان الاصطناعية المأخوذة من عظام الحيوانات وهي أشبه بالأسنان الصناعية في وقتنا الحاضر (١) كما برع الأطباء العرب بعمليات قلع الأسنان واستعملوا لها عدة أدوات منها الكلاليب وهي لقلع الأسنان (٢) والصنارة الكبيرة وتستخدم لقلع بقايا الضرس وجرد الأسنان (٣) كذلك استعملوا جفت –كلمة فارسية – فائدتها استخراج العظام المكسورة من الفم أو من بين الأسنان (٤) كما ابتكروا المبرد ويكون قطعة من حديد وظيفته برد السن النابت على غيره وبرد الأسنان المكسورة المؤذية (٥) وبينما وجدنا ما وصل إليه طب الأسنان عند العرب والمسلمين نرى أوروبا في نفس الوقت تعيش في ظلام وجهل كبيرين فتمسك أطباء أوروبا بالخرافات والشعوذات فكانت أشهر علاجاتهم للآلام السن هي مسه بإبرة أو بالمضمضة بأبوال الحيوانات لوقايتها من التسوس (٦) ونلاحظ من ذلك الفرق الكبير بين ما وصل إليه الأطباء العرب والمسلمون في طب الأسنان في العصر العباسي الأول وما كان لدى الأوروبيين من شعوذات وخرافات لا تمت لعلم الطب بأي صلة .

ومن ابتكارات العرب والمسلمين في العلوم الطبية أنهم ربطوا بين الموسيقى وتأثيراتها على النفس وعلم الطب وخصوصا الأمراض النفسية فربطوا بين تأثير الموسيقى ومكونات جسم الإنسان (الأخلاط الأربعة) والتي تؤدي بتوازنها صحة البدن وفي اختلالها سقم البدن ومرضه فكانت أوتار العود على سبيل المثال في العصر العباسي الأول أربعة أوتار وهي بذلك تقابل الأخلاط الأربعة ، الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء وجعلوا أوتاره ملونة فكان الوتر الأحمر يدل على الدم والوتر الأبيض يدل على البلغم والوتر الأصفر يدل على المرة الصفراء والوتر الأسود دلالة على المرة السوداء وأضاف بعد ذلك (زرياب) (٧) وترا خامسا

(١) السعيد ، نشأة الطب ، ص٧٩ .

(٢) الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ص٢٦٨ .

(٣) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٣١٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣١٤ .

(٥) الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ص٢٦٨ .

(٦) الهوني ، تاريخ الطب ، ص٩٤ .

(٧) زرياب : أبو الحسن علي بن نافع أعظم الموسيقيين المسلمين ، أصله من بلاد فارس ، لقب بزرياب تشبيها له بالشحرور ولا يعلم له تاريخ ولادة أو وفاة وهو أشهر تلاميذ إبراهيم الموصلي ، خدم المهدي والرشيد بغنائه وهو من

ليمثل النفس وصبغه باللون الأحمر ليدل بذلك على النفس البشرية وتأثيرها بالدم ولا تزال أوتار العود العربي خمسة كما أكدوا بأن نغمات الموسيقى يجب أن تتلائم مع حالات الإنسان وطباعه وأوقاته [(١)] وأن أول من استخدم العلاج بالموسيقى هو فيلسوف العرب الكندي [(٢)] ويروي القفطي قصة طريفة عنه وعن علاجه بالموسيقى فقد كان الكندي جارا لأحد كبار تجار مدينة السلام وكان لهذا التاجر ولد قد أمسك بتجارة أبيه فكان يعرف كل صغيرة وكبيرة عنها وشاءت الأقدار أن يصاب هذا الولد بسكات ولم يعد ينطق شيئا فكاد والده أن يصاب بالجنون على ابنه وعلى تجارته التي لم يعد يعلم من أمورها شيئا ، فطاف أطباء مدينة السلام جميعهم وعجزوا عن علاجه فأشاروا عليه بالذهاب إلى جاره الكندي فطلب منه علاج ابنه وما أن رأى الكندي الولد وجس نبضه أصر في الحال بإحضار أربعة من تلاميذه الحذاق بالموسيقى الذين يعرفون طرائق العزف المحزنة والمفرحة والمقوية للنفس وأمرهم أن يضربوا بالعود عند رأس الغلام وأوضح لهم طريقة الضرب ودلهم على مواقع النغمات في الأوتار وبدأوا بضرب العود والكندي يأخذ نبض الصبي وهو في ذلك يقوي حاله وترجع إليه نفسه شيئا بعد شيء إلى أن تحرك وجلس وتكلم وتعجب التاجر لهذا العلاج الغريب [(٣)] وللكندي عدة مؤلفات في الموسيقى وهي رسالته الكبرى في التأليف وكتاب ترتيب النغم ورسالة في الأخبار عن صناعة الموسيقى [(٤)] كما اشتهر (الخطيب السرخسي) [(٥)] في تأليف الموسيقى والمعالجة بها ومنها كتاب الموسيقى الكبير وكتاب

أضاف الوتر الخامس للعود ، رحل من بغداد إلى المغرب ومن ثم إلى الأندلس ، أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : أحمد الشنتناوي وآخرون ، (بيروت – بلا ت) ، مج١٠ ، ص٣٤٦-٣٤٨ .

(١) البكري ، د. عادل ، العلاقة بين الطب والموسيقى في تراثنا الحضاري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – ١٩٨٣م) ، مج٣٤ ، ج١ ، ص٢٦٠-٢٦١ .

(٢) الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن مُحَمَّد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن يعرب بن قحطان ، أحد أبناء ملوك كنده وفيلسوف العرب والمسلمين ، متخصص في أحكام النجوم وسائر العلوم وله تصانيف علمية كثيرة ، القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٠ .

(٣) أخبار العلماء ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٤٢ .

(٥) الخطيب السرخسي ، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن مروان السرخسي ، أحد أشهر تلامذة الكندي ، كان متقنا لعلوم كثيرة حسن المعرفة بليغ اللسان جيد التصنيف ، ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٩١ .

الموسيقى الصغير [١] كما عرف عن الطبيب أبو بكر الرازي في صباه عزفه على العود والغناء قبل دراسته للطب [٢] وقد مارس الأطباء العرب والمسلمين معالجة الأمراض النفسية بالموسيقى في المستشفيات لأنها تخفف من الآلام وكان لكل إيقاع ولحن أثره الخاص في النفس كما خصصوا لها أوقات معينة في الليل أو النهار [٣] وعالج الأطباء العرب والمسلمين الأمراض النفسية بالأفيون والمواد المخدرة كما هو متبع حديثا [٤] والملاحظ أن الأطباء العرب والمسلمين هم أول من قسموا الاختصاصات الطبية كالطبيب الباطني والطبيب الجراح والكحال والمجبر والمختص بأمراض النساء وهذا التخصص وحده يكفي بأن يعطينا صورة مشرقة عما وصل إليه الطب في العصر العباسي الأول .

المبحث السابع : علم الصيدلة .

الصيدلة صنع الدواء وبيعه [٥] كما أنها علم يبحث عن تميز المتشابهات من أشكال النباتات من حيث أنها صينية أو هندية ومعرفة زمانها صيفية أو خريفية وتميز جيدها عن الرديء ومعرفة خواصها والغرض منها وفائدتها [٦] كما يمكن اعتبارها فرعا من فروع علم النبات [٧] ، اقترن تاريخ الصيدلة بتاريخ صنع الدواء أي منذ وجود الإنسان والألم ، فالألم بحاجة إلى دواء يقضي عليه ، فعلم الصيدلة قديم قدم الإنسان وهو متصل اتصالا وثيقا بعلم الطب .

كان الطبيب والصيدلي شخصا واحدا إذ هو الذي يشخص المرض وكذلك هو الذي يصف الدواء ويحضره ويركبه ويعطيه للمريض إذ أن جميع الأطباء صيادله في الأصل عارفين بتركيب الأدوية والتشخيص كما كانت لهم معرفتهم بعلم الكيمياء لإتقان مهنتهم كأطباء وصيادله ولم ينفرد إلا القليل منهم بعلم الكيمياء دون علم الطب [٨] كما ارتبطت الصيدلة

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩٢ .

(٢) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٧٧ .

(٣) البكري ، الطب والموسيقى ، مجلة المجمع ، مج٣٤ ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٤) هونكه ، شمس العرب ، ص٢٨٠ .

(٥) فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٩١ .

(٦) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، مج٢ ، ص١٠٩٣ .

(٧) فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٩١ .

(٨) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٤ .

بعدة علوم منها علم النبات وعلم الحيوان وعلم الكيمياء فمصادر الأدوية نباتية وحيوانية ومعدنية وهي في الأصل تحتاج إلى دراية كبيرة بتركيب الدواء وتحضيره لذا تقتضي المعرفة بعلم الكيمياء (١) وكان للطبيب الصيدلي مساعدون يعاونونه في جمع النباتات وإحضار المعادن المفيدة وغيرها من مصادر الأدوية (٢) وشهدت الفترة التاريخية للحضارة العربية الإسلامية تطورا واضحا وملموسا في مسيرة علم الصيدلة نظرا لغزارة المعلومات وازدياد المعرفة الطبية فكان لحركة الترجمة الدور البارز في تسريع وتطوير علم الصيدلة وقد ترجم العرب كتاب الحشائش (لديوسقوريدس اليوناني) (٣) واستفادوا منه كثيرا (٤) كما كان لاطلاع العرب والمسلمين على أدوية الهند والفرس فائدة عظيمة والتي لم يكن الإغريق على معرفة بها (٥) فنضج علم الصيدلة على أيدي أصحاب المعرفة والعلوم من أبناء الحضارة العربية الإسلامية فكانت أولى إضافاتهم إلى الصيدلة هي فصلها عن علم الطب لتصبح علما أصيلا بحد ذاته وذلك بعد أن كثرت الأدوية وتنوعت طرق تركيبها فأصبحت مهنة الصيدلي جمع النباتات واختيار الأجود منها ويركبها بأحسن الطرق التي وضعها أفضل الأطباء (٦) ويعتبر العرب والمسلمون هم من أرسى قواعد مهنة الصيدلة على أسس علمية راسخة فازدادت أهمية الصيدلة وأنهم لم يكتفوا بدراسة كتب الأقدمين بل قاموا بزيارات وجولات لمختلف المدن والبلدان لدراسة وجمع أفضل الأعشاب الطبية وإجراء التجارب عليها (٧) كما شهد العصر العباسي الأول محال تحضير الأدوية في المستشفيات والتي أعقبها ظهور دكاكين الأدوية في الأسواق كمحلات لبيع الأدوية يديرها من له معرفة جيدة بالأدوية والعقاقير فكانت أول صيدلة في العالم في بغداد حاضرة الخلافة العباسية ومدينة السلام سنة ١٦٠هـ/٧١٦م ولقب

---

(١) فروج ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٩٤ .

(٢) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٥ .

(٣) ديوسقوريدس : العين زربي من أهل مدينة عين زربه في بلاد الشام ، حكيم فاضل يوناني الأصل وهو أعظم من تكلم في أصل العلاج الطبي ، كان عالما بالعقاقير المفردة ومعنى اسمه باليونانية ((ملهم الله على القول في الأشجار والحشائش)) ، القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٦ .

(٤) الشكري ، د. جابر ، تاريخ العلم اليوناني ، (بغداد – ١٩٨٤م) ، ص١٣٧ .

(٥) العلمي ، د. رياض رمضان ، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، (الكويت – ١٩٨٨م) ، ص٣٧ .

(٦) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٥ .

(٧) العلمي ، الدواء من فجر التاريخ ، ص٣٧ .

القائم بأعمالها بالصيدلاني [1] وأضاف الصيادلة العديد من الأدوية النباتية الجديدة مثل الكافور والرواند والحنظل والتمر الهندي وغيرها [2] ولم تقتصر معرفتهم على المصادر النباتية في صنع الدواء بل مهروا في استعمال المركبات الكيمياوية المختلفة مثل الزئبق الأحمر (الغرار) وكبريت الزئبق الأحمر (الزنجفر) وكلوريد الزئبقيك (السليماني) [3] والكبريت وكبريتات النحاس وغيرها [4] كما أخذوا من الأحجار والمعادن مصدرا طبيا أيضا فاستعملوا الجبس والنورة في معالجاتهم واعتبروها ضمن الأدوية الكاوية [5] كما كانت معرفتهم بفوائد الأدوية الحيوانية من الألبان والأصواف وغيرها .

واستخدموا لتلك الأعمال مقايس دقيقة في تركيب الأدوية ففي الحجوم استخدموا الكف والحفنة والباقة وغيرها وفي الأوزان اتخذوا الرطل (٢٥٦٠غم) والحقة (١٢٨٠غم) والأوقية (٣٢٠غم) والمثقال (٤٠٨غم) والقيراط (٠.٢٥غم) والدانق (٠.٥غم) والدرهم (٠.٢غم) واعتمدوا على تلك الأوزان في خلط الدواء وتركيبه [6] وتوالت الإنجازات والابتكارات العربية لعلم الصيدلة إذ أن أول من وضع زيا وأدبا خاصا بالصيدلاني هم العرب فكان على الصيدلي أن يرتدي ثيابا بيضاء وكيفية وقوفه في باب صيدليته لصرف الدواء كما عليه أن يهتم بترتيب الأوعية والأدوية والعقاقير على الرفوف الخاصة بها [7] وهذا يصور لنا مدى اهتمام العرب والمسلمين بعلم الصيدلة كما أننا نتخيل أن تلك الصيدليات هي شبيه بصيدليات الوقت الحاضر .

وكانت مهنة الصيدلة تتعرض للغش والملاعبة بسبب منتحلي الصنعة من ضعاف النفوس الذين لا يخافون الله ويغشون الناس بأساليبهم وألاعيبهم حتى بلغت الدقة والكمال

---

(١) الهيتي ، د. مصطفى ، رواد الصيدلة في التاريخ ، دراسة في تاريخ العلوم ، (بغداد – ١٩٨٩م)، ص٨٠-٨١.

(٢) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٣٣٩ .

(٣) البكري ، د. عادل ، المعالجة بالمركبات الكيمياوية في الطب العربي ، الندوة القومية الأولى للعوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٥ .

(٤) الرازي ، الحاوي ، ج٢ ، ص١٨٠ .

(٥) ابن هبل ، المختارات ، ج٢ ، ص٥٤ .

(٦) سعد الدين ، شروق مُحَمَّد كاظم ، النباتات الطبية عند العرب دواء وغذاء ، مجلة المورد ، (بغداد – ١٩٩٣م)، ع٢ ع٢ ، مج٢١ ، ص٢١ .

(٧) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٩ .

في غش الأدوية فأولت الخلافة العباسية حماية هذه المهنة وباقي المهن من هؤلاء الدجلة المحتالين ووضعت حدا لأساليب الغش حفاظا على أرواح الناس [١] وسوف نتكلم في فصل لاحق عن الامتحانات وطرق الحفاظ على المهن الطبية .

واتفق الصيادلة العرب والمسلمون على حماية المهنة بوضع شروط ومواصفات للأدوية فكان من ضروريات صنع الدواء أن يثبت عليه اسمه وبالألسن المختلفة (أي باللغات المختلفة) كما يذكر عليه خواصه من لون ورائحة وطعم وخشونة وملاسة وغير ذلك من الصفات كما يذكر عليه تأثيراته على الأعضاء والأخلاط ومضاره في البدن لكي يتجنبه البعض كما يوضع فيه طريقة استعماله ومقدار الدواء المطلوب منه مفردا أو مركبا [٢] .

ويمكن تلخيص ما أضافه العرب والمسلمون إلى علم الصيدلة بالنقاط الآتية :

١- أنهم أول من فصل بين مهنتي الطب والصيدلة فأصبح الصيدلي هو من يركب الدواء ويبيعه [٣] .

٢- العرب أول من راقب مهنة الصيادلة والتفتيش على الأدوية والصيدليات شهريا [٤] .

٣- أنهم أول من أدخل التقسيم المهني للصيدلة فعينوا لكل مدينة عميدا للصيادلة [٥] .

٤- العرب أول من ابتكر الوصفة الطبية للمريض فكانت الأدوية تكتب على ورقة تسمى الدستور أو الصفة وتصرف هذه عن طريق الصيدلاني بعد أن يكتب عليها طريقة الاستعمال [٦] .

٥- والصيادلة العرب والمسلمون أول من ابتكر الأشربة الحلوة وجعلوها أدوية [٧] وكذلك أول أول من غلفوا الأدوية المرة بغلاف من السكر ليتمكن المريض من تناولها [٨].

---

(١) العاني ، د. سلسل محمد ، الصيدلة عند العرب علم وفن ، الندوة القطرية السابعة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٩١م) ، ج٣ ، ص٥٥٧ .

(٢) خليل ، الطب والصيدلة ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٤٩٣ .

(٣) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٣٣٩ .

(٤) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٨ .

(٥) العلمي ، الدواء من فجر التاريخ ، ص٣٨ .

(٦) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٨ .

(٧) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص٣٤٠ .

(٨) ابن الجزار القيرواني ، زاد المسافر ، ص١٥٧ .

٦- وهم أول من جربوا تأثيرات الأدوية على الحيوانات وخصوصا القردة قبل تجربتها على الأبدان الصحيحة والمريضة لمعرفة تأثيراتها [١] .

٧- وهم أول من منعوا الصيدلاني بمزاولة الطب ومنعوا الطبيب من امتلاك صيدلية أو التعاطي أو التعامل بالأدوية [٢] .

٨- وهم أول من وضعوا تسعيرة للأدوية والعقاقير لمنع زيادة الأسعار والتلاعب بالمرضى ورفقا بالفقراء والمحتاجين [٣] .

٩- والعرب أول من افتتح الصيدليات في قصور الخلفاء والمستشفيات والأسواق العامة والتي يشرف عليها عميد الصيدلة أو شيخ المارستان تحت رقابة المحتسب [٤] .

ومن أشهر الأطباء الصيادلة إسرائيل المعروف أبا قريش والذي كان يجلس عند باب قصر الخلافة في بغداد [٥] ويعرف أيضا بعيسى الصيدلاني [٦] ووضع العرب والمسلمون عصارة أفكارهم في مؤلفات قيمة وعظيمة في علم الصيدلة وصناعة الأدوية منها كتاب الأدوية المسهلة وإصلاحها ليوحنا بن ماسويه [٧] وكتاب الأدوية المحرقة وكتاب الترياق لحنين بن إسحاق [٨] وكتاب الأدوية المفردة وكتاب الأقرباذين لحبيش بن الحسن الأعسم [٩] كذلك كتاب الأدوية الشافية من الروائح المؤذية وكتاب أشفية السموم وكتاب في الأقرباذين لفيلسوف العرب الكندي [١٠] كما ألف ابن ربن الطبري كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير [١١] ورتب حنين بن إسحاق الأدوية على الحروف لتميزها وتعريفها أكثر وذلك في

---

(١) خليل ، الطب والصيدلة ، ص٤٩٤ .

(٢) العلمي ، الدواء من فجر التاريخ ، ص٣٨ .

(٣) السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر ، ص٣٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٢٨ .

(٥) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٠ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٨٠ .

(٧) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٦ .

(٨) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٠ .

(٩) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٦٨ .

(١٠) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٤ .

(١١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٤٢ .

مؤلفه الأدوية المفردة على الحروف [١] ووضع ثابت بن قرة مؤلف في قياسات وأوزان الأدوية وهو كتاب في أجناس ما توزن به الأدوية [٢] وهناك العديد من المؤلفات القيمة في علم الصيدلة والتي لا يتسع ذكرها جميعا .

لذلك يعتبر العرب والمسلمون هم من أوجدوا مهنة الصيدلة بل هم المؤسسون الحقيقيون لعلم الصيدلة والعالم أجمع مدين لهذه الإنجازات العظيمة فهم الذين ارتقوا بعلم الصيدلة من مجرد تجارة عقاقير وعطور وتوابل إلى علم حقيقي له ضوابط وشروط وحوانيت خاصة به .

وعلى ما يبدو أن مهنة الصيدلة قد وصلت إلى أعلى المراتب في العصر العباسي الأول الأمر الذي ترتب أن يعمل فيها عدة أشخاص تنوعت أصنافهم وأعمالهم الواحد منهم مكمل للآخر وفق اختصاصه فكان تحضير الدواء يكون نتاج عدة جهود اجتمعت لتخرج ذلك الدواء فالبداية تكون مع لقاط الأعشاب ثم طباخها إلى التاجر الذي يجلب النباتات والأحجار والمعان النادرة وتركيبه حسب الوصفة الطبية [٣] وبطبيعة الحال فإن انفصال الطب الطب عند الصيدلة قد زاد في تطور العلمين ونبوغ العديد فيه فكان العصر العباسي الأول بوجه خاص عصر الإنجازات والابتكارات الطبية العظيمة والتي أتت نتيجة تراكم الخبرات الطبية ولعصور طويلة فأثمرت في عصر الخلافة العباسية .

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٥٧ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٠١ .

(٣) العاني ، الصيدلة عن العرب ، ج٣ ، ص٥٥٥ .

الفصل الرابع : تعليم الطب ومكانة الأطباء في العصر العباسي الأول .

المبحث الأول : أماكن تعليم الطب في العصر العباسي الأول .

أولا : المساجد والمكتبات .

المساجد :

المسجد المكان الذي يسجد فيه ، مأخوذ من سجد سجودا أي خضع وهي أرض طاهرة مخصصة للصلاة عند المسلمين (١) ويسمى جامعا لاجتماع المصلين فيه (٢) قال رسول الله ﷺ : ((وجعلت لي في الأرض مسجدا طهورا)) (٣) فالمسجد عند المسلمين هو محل عبادتهم ودار تجمعهم لخمسة أوقات في اليوم وكان لبناء الرسول محمد ﷺ مسجده في المدينة سنة ١هـ/٦٢٢م (٤) الأثر البالغ في حياة الإسلام والمسلمين فهو مكان عبادتهم ودار قضائهم وساحة لتجمع المجاهدين في سبيل الله ومكان للقراءة والتعليم (٥) فكان الرسول الكريم محمد ﷺ يعقد حلقاته في مسجد المدينة يفقه أصحابه ويقرؤهم القرآن الكريم (٦) فمن واجبات الرسول ﷺ تعليم الناس وتنوير قلوبهم عملا بقوله تعالى : ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (٧) فكان عليه الصلاة والسلام أول من جمع العرب حوله في حلقات لأخذ العلم ولم يعهد العرب ذاك

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص١٧٣-١٧٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص٥٣ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص١١٩ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١١٤ .

(٥) شلبي ، د. أحمد ، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ، ط٨ ، (القاهرة – ١٩٨٧م) ، ص١٠٥ .

(٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص١٢٠ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

الأمر قبل الإسلام [١] واهتم المسلمون وعلى مر العصور ببناء المساجد وأصبح بناؤها سُنة سار عليها جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا عملا بقول رسولنا الكريم ﷺ : ((من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة)) [٢] فكثرت المساجد وأصبح من المتبع بناء مسجد أو أكثر في كل أرض يفتحها المسلمون ، بل في كل قرية أو مدينة يؤسسونها [٣] وكان المسجد حتى أواخر القرن الثالث الهجري أحد أهم المظاهر الحضارية وعنصرا من عناصر التعليم الأساسية فكان ملتقى طلاب العلم والمعارف فضلا عن كونه يمثل ملتقى العلماء والأدباء [٤] حتى أصبحت المساجد ودور العلم وغيرها من أماكن التعليم أشبه بالجامعات الكبرى في وقتنا الحاضر [٥] واهتم خلفاء بني العباس بالمساجد وأقبلوا وأقبلوا على تشيدها في مختلف بقاع الأرض الإسلامية ولم يقتصر عمل المساجد في عصرهم على الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم وتعليمه وتعليم القراءة والكتابة بل أخذت تدرس الكثير من العلوم التي استجدت في الإسلام وبعد الفتوحات الإسلامية العظيمة ففي العصرين الراشدي والأموي أخذت طريقها إلى المسجد وزاد الاهتمام بها وتدريسها في العصر العباسي الأول إلى جانب العلوم الدينية [٦] وكانت تعقد في المساجد مجالس العلماء والأدباء والشعراء والشعراء للمذاكرة والمناظرة حتى وصفت بـ(مجالس الكرام) [٧] وطريقة التدريس المتبعة في المساجد مكونة من حلقات علمية فيجلس الطلبة ومعهم مواد الدراسة من كتب وأوراق وقراطيس حول معلمهم [٨] وكانت تعقد تلك الحلقات العلمية إما بعد صلاة الفجر أو قبيل

(١) الساعدي ، ثامر لفته حسن ، أثر الحلقات الدراسية في تنمية الحركة الفكرية في الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، (بغداد — ٢٠٠٢م)، ص٩٩ .

(٢) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج١ ، ص٢٤٣ .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٢٤٦ .

(٤) المشهداني ، أنيسة محمد جاسم ، رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ١٣٢-٣٣٤هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية الآداب ، (بغداد — ٢٠٠٤م) ، ص٥٦ .

(٥) ضيف ، د. شوقي ، العصر العباسي الأول ، ط٦ ، (مصر — ١٩٦٦م) ، ص١٠٠ .

(٦) أمين ، د. حسين ، المدرسة المستنصرية ، (بغداد — ١٩٦٠م) ، ص١٣ .

(٧) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، عيون الأخبار ، (القاهرة — بلا ت)) ، ج١ ، ص٣٠٥-٣٠٦ .

(٨) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٢٣ ، ص١٥٨ .

صلاة المغرب إلا أن أغلبها كانت تعقد بعد صلاة الفجر لأن العقل يكون أصفى وأنشط [١] أما أسلوب التعليم المتبع في المساجد فكان في غاية التنظيم والدقة إذ كان المعلم يخصص حلقته لعلم واحد يعلمه لتلاميذه في ذلك اليوم [٢] واهتم خلفاء بني العباس ببناء المساجد وعمارتها وأقبلوا على تشيدها في مختلف الأمصار الإسلامية فكان أول من بنى المساجد والاهتمام بعمارتها الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) كما وسع في عهده بناء المسجد الحرام سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م [٣] كما شهد عصره تشيد العديد من من المساجد في مختلف المدن الإسلامية لتكون تلك المساجد مراكزا علمية فضلا عن كونها أماكن للعبادة [٤] فكان جامع المنصور أشهر الجوامع التي شيدت في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور وقد بناه في عاصمته الجديدة بغداد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بقرب قصر الخلافة [٥] إذ أصبح هذا الجامع مؤسسة علمية وثقافية فعقدت فيه مختلف الحلقات العلمية المتعددة والتي احتضنت الكثير من طلاب العلم والمعرفة الذين ازدحموا على حلقاته العلمية الأمر الذي اضطرهم أحيانا إلى إغلاق بعض الأبواب أمام الحشود الكثيرة من الطلبة المتوافدين إليه [٦] وسار الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) على خطى والده المنصور في الاهتمام بتشييد المساجد والتي مثلت إحدى الأركان الأساسية الهامة في الحركة العلمية فبنى المهدي مسجده في الرصافة سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م وكان أكبر من مسجد المنصور فأصبح معهدا علميا متميزا إذ امتاز بكثرة حلقاته العلمية والتي اجتذبت الكثير من طلاب العلم [٧] وجدد هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) جامع المنصور وزاد في توسيعه

(١) المشهداني ، الحركة الفكرية في الفسطاط ، ص٦١ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٦١-١٦٢ .

(٣) اليعقوبي ، أبو يعقوب أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م) ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : د. د. عبد الأمير مهنا ، (بيروت – ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص٣٠٦ .

(٤) البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان، (بيروت – بلا ت) ص٥٥ .

(٥) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ومدينة السلام منذ تأسيسها تأسيسها حتة سنة ٤٦٣هـ ، (بيروت – بلا ت) ، ص١٠٧ .

(٦) المشهداني ، رعاية الخلفاء العباسيين ، ص٥٧ .

(٧) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص١١٩ .

وإصلاحه وتعميره وذلك لضيق مساحته على طلبة العلم فكان قبلة أنظار الأساتذة وطلبة العلم في ذلك العهد [1] وما إن أصبحت سر من رأى عاصمة الخلافة العباسية ومقر خلفائها حتى شيد إبراهيم المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) مسجدا كبيرا وأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته والتي بقيت شاهدة على عظمة البناء إلى الآن [2] وأصبحت المساجد في العصر العباسي الأول جامعات إسلامية كبيرة يدرس فيها مختلف العلوم ومنها الطب [3] وعلى الرغم من الدور الكبير للمساجد في نشر العلوم والثقافة الإسلامية بين المسلمين وكثرت وتنوع حلقات العلم فيها إلا أنه لم ترد أية إشارة في المصادر إلى تدريس علم الطب ضمن تلك الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المساجد ويمكن تعليل ذلك إلى أن أعظم أطباء العصر العباسي الأول وأشهرهم كانوا من أهل الذمة والذين حرمت عليهم مساجد المسلمين ولكن دور المساجد عظيم بلا شك وقد ساهم في تعليم الطب ولو بصورة غير مباشرة إذ كان علم الطب متصل بعدة علوم منها اللغوية والرياضية والأدبية وغيرها .

المكتبات .

تعد المكتبة مطلب مهم من مطالب الدراسة فمنها يستمد المعلم وطالب العلم معلوماتهم العلمية والفنية والأدبية وهي الرصيد العلمي والفكري للحضارة الإنسانية لأنها وسيلة نشر العلم والمعرفة وذلك فإنها أسهمت بشكل فعال في الانفتاح العلمي على مختلف العلوم الدينية والأدبية والفكرية [4] .

يعود تاريخ إنشاء المكتبات إلى العصور اليونانية فكانت مكتبة الإسكندرية من أعظم المكتبات في التاريخ القديم والتي حوت نفائس العلوم العقلية والأدبية في ذلك الوقت [5] وقد وقد مثلت المكتبات حالة من النهوض الفكري والعلمي في مختلف العصور وخصوصا في العصر العباسي الأول وتعددت فيه المكتبات وكثر انتشارها وهذا يعكس لنا مدى التطور

(١) الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٠٨ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٦٤ .

(٣) محمد ، د. محمود قاسم ، تدريس الطب في المستشفيات العربية والإسلامية ، مجلة آفاق عربية ، (بغداد — ٢٠٠٢م ٢٠٠٢م) ، ع٩/١٠ ، ص٢٢ .

(٤) المشهداني ، رعاية الخلفاء العباسيين ، ص٦١ .

(٥) الشكري ، تاريخ العلم اليوناني ، ص١٠٨ .

الحضاري [1] لدى المهتمين بالجانب العلمي من خلفاء وأمراء وحتى الأثرياء وكل من أحب العلم من عامة الناس فأنشئت العديد من المكتبات وخزائن الكتب والتي احتوت على كافة العلوم المختلفة ومن أماكن شتى فأرسلت البعثات لجلب الكتب والمخطوطات العلمية وفتحت تلك المكتبات أبوابها لجميع طلاب العلم ومن تعذر عليهم اقتناء الكتب بسبب غلائها أو ندرتها [2] .

ويمكن تقسيم المكتبات إلى قسمين ، مكتبات عامة ومكتبات خاصة والتي انتشرت في جميع الأمصار الإسلامية .

أ- المكتبات العامة .

والتي يطلق عليها دور العلم وتعني أيضا المكتبات العامة [3] أنشئت للمطالعة والدراسة والاستنساخ وغيرها من أمور التعليم وعدت بمثابة معاهد عامة للتدريس والاستنساخ والترجمة والتأليف ويكون الدخول إلى مثل هذه المكتبات مجانا فضلا عن تقديم المساعدة لطلبة العلم من قبل العاملين فيها [4] ومن أشهر هذه المكتبات :

١- مكتبات المساجد ودور العبادة الأخرى .

تعد المساجد أماكن للعبادة بالدرجة الأولى ولكنها في نفس الوقت مركزا مهما للتعليم والتي يقصدها الطلاب من مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية [5] فكانت تلحق بهذه المساجد مكتبات ضخمة تضم أعدادا كبيرة من الكتب وفي شتى أصناف العلم والأدب [6] ومصدر هذه الكتب تكون مما يتركه الأساتذة والمعلمون للمسجد في حياتهم أو بعد وفاتهم وذلك لمنفعة الناس كما كان الخلفاء العباسيون يزودون هذه المكتبات بالكتب والمخطوطات فضلا عن إمداد الميسورين والمحبين للعلم لهذه المكتبات حبا منهم في انتفاع طلبة العلم منها

---

(١) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٠٨ .

(٢) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص٢٧ .

(٣) معروف ، أصالة الحضارة العربية ، ص٤٥٦ .

(٤) الساعدي ، الحلقات الدراسية ، ص٣٥ .

(٥) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٣٥ .

(٦) أمين ، المدرسة المستنصرية ، ص١٥ .

[1] وشملت رعاية الخلفاء العباسيين أصحاب الملل الدينية الأخرى إذ لم يحرموهم التعليم فزودوا الأديرة والكنائس بالمكتبات والمؤلفات إذ كان كل دير يحوي على خزانة كتب تكون في عهدة ساكنيه [2] .

٢- خزائن الخلفاء .

قرب الخلفاء العباسيون العلماء وأدخلوهم إلى مكتباتهم الخاصة والتي كانت بلا شك تحتوي على نفائس الكتب وفي شتى الموضوعات العلمية فكان الخلفاء العباسيون من المشجعين على ارتياد مثل هذه الأماكن العلمية وذلك من خلال بذل المبالغ المالية الكبيرة [3] فضمت الخلافة العباسية مجموعة من خزائن الكتب نسبت أغلبها إلى أسماء الخلفاء مثل خزانة المنصور [4] وخزانة الحكمة (بيت الحكمة) للرشيد ومن بعده المأمون [5] وخزانة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) [6] وخزانة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ) وغيرهم من الخلفاء الذين الذين ساروا على نهج آبائهم وأجدادهم من خلفاء بني العباس [7] وهكذا أصبح قصر الخلافة عبارة عن منتدى يتبارى فيه الأطباء والأدباء والعلماء كما عقدت فيه المجالس والمناظرات العلمية والتي لا يمكن للخليفة أن يحضرها إلا أن يكون متمكننا من المذاكرة والمطالعة لمحاجة خصومه وهذا يدل على رغبة الخلفاء وحبهم للعلم مما دفعهم إلى إنشاء مثل هذه المكتبات في دار الخلافة [8] .

ب- المكتبات الخاصة .

---

(١) الخالدي ، رغيد كمر مجيد ، الوقف والخدمات العامة في العراق خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية الآداب ، (بغداد — ٢٠٠٤م) ، ص١٤٧ .

(٢) المشهداني ، رعاية الخلفاء العباسيين ، ص٦٣ .

(٣) المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٦م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢ ، (ليدن — ١٩٠٤م) ، ص١٢١ .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٢٢١ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٠٥ .

(٦) الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت — ١٩٧٣م) ، مج١ ، ص٧٢ .

(٧) الساعدي ، الحلقات الدراسية ، ص٣٦ .

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٤٦٦ .

وهي مكتبات تعود ملكيتها إلى الأمراء والوزراء والأغنياء ممن أحبوا العلم وأحبوا اقتناء الكتب العلمية المتنوعة من أجل فائدتهم ومصلحتهم الخاصة ومن أموالهم الخاصة وكان البعض من أصحاب هذه المكتبات يفتحونها للعلماء وطلبة العلم والبعض الآخر حرم أصحابها من استعمالها إلا على أنفسهم وخواصهم [١] وانتشرت مثل هذه المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية ومنها :

١- مكتبة الأصمعي (ت ٢١٦هـ/٨٣١م) .

احتوت هذه المكتبة على عدد كبير من المؤلفات العلمية والأدبية المختلفة [٢] .

٢- مكتبة إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م) [٣] .

وقد كثرت المكتبات الخاصة وانتشرت بعد العصر العباسي الأول مثل مكتبة الفتح بن خاقان وزير المتوكل (ت ٢٤٧هـ/٨٦١م) وكانت خزانة عظيمة يحضر فيها كبار العلماء [٤] [٤] وكذلك مكتبة علي بن يحيى المنجم وكانت تسمى خزانة الحكمة وهي خزانة كتب عظيمة عظيمة قصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها مختلف صنوف العلم والأدب [٥] وكانت لكل مكتبة موظفون يشرفون على سير عملها ويقدمون التسهيلات المختلفة لطلبة العلم ومنهم الخازن أمين المكتبة والمشرف عليها وكذلك المترجمون والمجلدون والنساخ والمناولون ولكل واحد من هؤلاء عمل خاص به [٦] وما دام هناك موظفون يقومون بالعمل لخدمة العلم وطلابه فلا بد من أن تكون في المكتبات قاعات كبيرة للمطالعة والقراءة والكتابة لذا عدت المكتبات معاهد علمية خاصة بالتدريس لأنها احتوت على أهم مميزات التعليم فالكتب العلمية والمخطوطات ومواد الكتابة وقاعات المطالعة متوفرة فيها فلا ينقص عملية التدريس في المكتبات سوى المعلمين والذين تجذبهم الكتب القيمة فيتوجهون إليها بلا شك .

---

(١) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص٨٦ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص٦١ .

(٣) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص٢٨ .

(٤) ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم الأدباء ، (بيروت – بلا ت) ، ج١٦ ، ص١٧٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١٥ ، ص١٤٤ .

(٦) شلبي ، التربية والتعليم ، ص١٦١ .

كما كان في المكتبات مساكن لطلبة العلم وفيها طعامهم كما تعطى نفقات مالية [١] إذن هي أشبه بالمدرسة العلمية المتكاملة وبذلك فإن للمكتبات دورا بارزا وكبيرا في تعليم علم الطب إذ وجدت نفائس الكتب الطبية في تلك المكتبات .

ثانيا : المجالس الطبية .

حظيت المجالس العلمية باهتمام الخلفاء العباسيين بحكم علاقاتهم الودية مع العديد من مشاهير العلماء الذين عرفهم مجتمع الدولة العربية الإسلامية ويعد العصر العباسي الأول من أزهى العصور الإسلامية في تاريخ الإسلام إذ امتاز بتطور العلوم وكثرة طالبيه نتيجة الازدهار الفكري والحضاري الذي شهدته الدولة العربية الإسلامية فقد شهدت بغداد العديد من المجالس العلمية والأدبية كما يصفها العلامة ابن خلدون : ((ومن مجالس العلم والأدب فقد كثرت بازدياد الرخاء نتيجة التطور والانتعاش الاقتصادي للمجتمع فكان هناك الميل إلى حب المعرفة والبحث عن الحقيقة العلمية)) [٢] وتعددت المجالس العلمية المختلفة وخصوصا المجالس الطبية والتي كانت من أماكن التعليم الجيدة وعمادها أطباء الخلفاء العباسيين أنفسهم فكانت تلك المجالس الطبية تعقد لدراسة ومناقشة الأمراض الغريبة والصعبة فيتدارسون لحالاتها وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها وبذلك كانت تلك المجالس الطبية هي أشبه بالمحاضرات الدراسية في وقتنا الحاضر .

فقد عقد الأطباء مجالسهم حول بعض الحالات الغريبة لدراستها وتوصلوا إلى نتائج مفيدة نذكر منها على سبيل المثال : أنه جرت مناقشات حول مضار وفوائد شرب الماء بعد النهوض من النوم فخلصوا بنتيجة أن شرب الماء لا يكون نافعا إلا إذا كانت هناك حرارة في بدن الإنسان أو جراء تناول الإنسان طعام مالح قبل نومه ونصحوا باقي الحالات بالإمساك عن شرب الماء لأنه مضر [٣] .

وكان أبو جعفر المنصور أول خلفاء بني العباس إنشاء للمجالس الطبية فجمع الأطباء في مجلسه عندما أصابه ضعف في معدته فسأل الأطباء عن دواء لعلته وعن طبيب ماهر

---

(١) حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص٨٦ .

(٢) المقدمة ، ص٤٣٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٥٠ .

فأشاروا عليه باستقدام طبيب جنديسابور جورجيس بن بختشيوع [١] كما استمر الخليفة المهدي في عقد مجالس الأطباء ورعايته لهم وقد استدعى بختشيوع بن جورجيس الطبيب وقدم له الهبات والأموال بعد أن مثل بين يديه وعالج أحد أولاء الخليفة [٢] وكانت المجالس الطبية تعقد يوميا أو في الحالات الضرورية أو عند الحاجة إلى عقدها فعندما أصيب الخليفة المهدي بعلة عند ذهابه إلى بيت الله الحرام حضر المتطببون وأجمعوا على أن فالج قد حل به إلا أن أبو قريش عارض رأي ذلك المجلس ودعا بالحجام وأمره بأن يحجم الخليفة ففعل فعادت إليه صحته ولطفه بعد ذلك ببعض الأدوية ونجا الخليفة [٣] وعرف هارون الرشيد باهتمامه بالطب وعقده للعديد من المجالس الطبية والتي كان يديرها طبيبه الخاص جبرائيل بن بختشيوع النصراني [٤] والذي عقد العديد من المجالس مع زملائه من الأطباء للتباحث في أمور الطب ومسائله [٥] كذلك عرف المأمون بشغفه للعلم والمعرفة وكان أكثر خلفاء بني العباس اهتماما بالعلم وأهله ((إذ كان ذا شغف كبير بعقد مجالس الأدب والمناظرة وكان مثقفا يجيد كثير من العلوم وفي كلها يناظر)) [٦] وكان لحبه ذاك دافعا لمجالسة العلماء والأطباء الذين ازدهرت مجالسهم في عهده وتميزت بأنها كانت على قدر كبير من التنوع في مواضيعها فكانت توجه في مجلسه النصائح والتوجيهات الطبية المقدمة من قبل جلسائه فقد قال له أحد الأطباء : ((يا أمير المؤمنين لا تجالس الثقلاء فإننا نجد في كتب الطب إن مجالسة الثقيل حمى للروح)) [٧] وتميز المأمون في مجالسه الطبية أنه كان يوجه الأسئلة الطبية والعلمية إلى جلسائه من الأطباء طلبا للمعرفة والفائدة [٨] وهذه ميزة يكاد ينفرد بها الخليفة عبد الله المأمون واستمر

---

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧١ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٨١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٤٩٥ .

(٥) الغريري ، وسن حسن محيميد ، أهل الذمة في العصر العباسي ، دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات ، (بغداد – ٢٠٠٢م) ، ص١٩٥ .

(٦) ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٤٣م) ، البداية والنهاية ، تصحيح : مجموعة من الباحثين ، ط٥ ، (بيروت – ١٩٨٤م) ، ج١ ، ص٢٧٥ .

(٧) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج٢ ، ص١٠٣-١٠٤ .

(٨) المشهداني ، رعاية الخلفاء العباسيين ، ص١٣٠ .

عقد المجالس الطبية في زمن الخليفة المعتصم والذي كان مهتما بهذا العلم فكان يسأل جلساءه وندماءه من الأطباء عن كيفية إدراك المعرفة الطبية وضم مجلسه كبار الأطباء أمثال بختشيوع بن جبرائيل ويوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق فضلا عن طبيبه الخاص سلمويه بن بنان فكان يعرفونه بأن الطب لا يدرك بالدراسة فحسب وإنما بالدراسة والتجربة والخبرة معا [(١)] وكان أعمر المجالس الطبية في بغداد بعد مجالس الخلفاء مجلس يوحنا بن ماسويه فكان أعمر مجالس مدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو فيلسوف لأنه كان يجمع فيه كل صنف من صنوف أهل العلم والأدب [(٢)] وكان مجلسه يعقد للنظر في أمور الطب [(٣)] كما كان فيه وقت وقت مخصص للنظر في قوارير المرضى والتشاور فيها [(٤)] وكان يدرس في مجلسه طلبة الطب فيجتمع إليه التلاميذ الكثيرون [(٥)] وكان من بين الطلبة الذين يحضرون مجلسه حنين بن إسحاق العبادي وكا، يقرأ على يوحنا كتاب فرق الطب [(٦)] وكان حنين ذا أسئلة كثيرة وتصعب على معلمه يوحنا الإجابة على بعضها حتى ضاق صدره به فطرده [(٧)] ولكنه بعد حين تصالحا ثم لازم حنين مجلس يوحنا الطبي وتتلمذ على يديه واشتغل بصناعة الطب [(٨)] كما كان للطبيب سهل الكوسج مجلس يجتمع فيه يوحنا بن ماسويه وجبرائيل بن بختشيوع وعيسى بن الحكم وزكريا بن الطيفوري ويعقوب صاحب المارستان وغيرهم من الأطباء فكانوا يتشاورون بأمور الطب والأمراض الغريبة وكيفية علاجها [(٩)] كما عرف موسى الكوفي بمجالسه الطبية وكان متضلعا بعلم النجوم وأيام الناس ورواية الشعر [(١٠)] ولم تقتصر

(١) الجنابي ، خلود مسافر نعمة ، المجالس العلمية منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، (بغداد – ٢٠٠٣م) ، ص١٢٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٣-١٤٤ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٩ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٩-١٤٠ .

(٨) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٠ .

(٩) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٣٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص٢٠٨ .

إقامة المجالس الطبية على الخلفاء والأطباء بل ساهم في إعمارها كل من أحب علم الطب فقد كان لأم جعفر زبيدة زوجة الخليفة الرشيد مجلس لا يجلس فيه إلا الحساب والمتطببون وكانت لا تشتكي من علة إلى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصناعتين فتشتكي ما تجده فيتناظر الأطباء فيما بينهم حتى يجمعوا على الداء والدواء [1] وكان في مجلسها يدرس علم الطب وممن تعلموا في مجلس أم جعفر أحد أبناء الطبيب داود بن سرابيون فقد أمرت أم جعفر بإحضاره مع المتطببين ليتأدب منهم ويتعلم على أيديهم ويحضر مجالسهم وتقدمت إلى جميع من يحضر ومجلسها أن يعلموه الطب لمكانة أبيه من خدمتها [2] كما كان (لأبي دلف دلف) [3] مجلس للأطباء وكان يحضره أكبر الأطباء شهرة ومعهم المرتزقون من مهنة الطب ويصل عددهم في بعض المجالس إلى عشرين رجلا [4] وكان لأسرة ماسويه الفضل الكبير في تدريس علم الطب فكان مجلس يوحنا من المجالس التعليمية والتي عبرت بطريقة التدريس العملية الدقيقة حينما كان يؤكد لطلبة الطب ضرورة معرفة الحقائق وقابلية المريض والاعتماد على الخبرة مع استمرار سؤال المريض عن علته [5] كما لا بد من الإشارة إلى ظاهرة علمية مهمة ألا وهي الرحلة في طلب العلم والتي باتت واضحة المعالم وشكلت أهم سمات الحركة العلمية في العصر العباسي الأول وشملت هذه الظاهرة الرحال إلى مشاهير الأطباء والتتلمذ على أيديهم واكتساب العلم والخبرة منهم لكي تتسنى لهم ممارسة مهنة الطب [6] .

إذن تعد المجالس الطبية ذات أهمية كبرى في تعليم علم الطب وتطويره لاتباع أفضل الطرق والوسائل العلاجية المبتكرة وكان التعليم المتبع في المجالس الطبية بنوعين ، نظري وعملي فإن الأطباء الكبار يتناقشون في كتب الطب ويدرسونها لتلاميذهم الذين يحضرون تلك المجالس وذلك هو الشق النظري أما الشق العملي في التدريس فإنه يكون بوجود بعض

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥٠ .

(٣) أبو دلف : القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن بكر بن وائل ، اجتمعت فيه عدة عدة خصال ، الشجاعة وحسن الأدب والحديث والشعر والغناء ورواية الأخبار ، وله منزلة عظيمة في نفوس خلفاء بني العباس ، توفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م ، أنظر : الأصفهاني ، الأغاني ، ج٨ ، ص٢٥٦ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٢ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٣١-١٣٢ .

(٦) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص٧١ .

الحالات المرضية الصعبة فتعرض على المجالس الطبية والتي يستفاد منها طلبة الطب بالمشاهدة والتدريب وكيفية التعامل مع تلك الحالات وطرق تشخيصها وعلاجها والقضاء عليها لذا تعد المجالس الطبية في العصر العباسي الأول من مراكز تعليم الطب الأساسية .

ثالثا : بيت الحكمة .

كان العصر العباسي الأول من أزهى العصور في تاريخ الدولة العربية الإسلامية من حيث الاهتمام بالعلم وتشجيع الحركة العلمية لاتساع رقعة الدولة العباسية من الصين شرقا وحتى الأندلس غربا أثرا واضحا في امتزاج حضارات العالم القديم بالحضارة العربية الإسلامية وبما تملكه الأمم والممالك السابقة من علوم وفنون وبما كان يملكه العرب والمسلمون من حضارة عريقة فكان لاهتمام خلفاء بني العباس بتلك العلوم والفنون قد دفعت أصحاب العلم والمعرفة بالتوجه إلى بغداد دار السلام وحاضرة الخلافة العباسية مما خلقت نهضة ثقافية لم يشهد لها التاريخ من قبل .

ومن بين المنجزات الحضارية والثقافية التي شهدها العصر العباسي الأول بيت الحكمة والذي اعتبره الدكتور أحمد أمين جامعة علمية كبيرة يتصل بها مكتبة ومرصد [١] كما أنه خزانة كتب عظيمة ودار للعلم والترجمة والتأليف [٢] وكان بيت الحكمة مركزا للتعليم والتأليف والترجمة وأنهم قد بلغوا فيه من الإنجاز العلمي درجة عالية لم يبلغها الغرب خصوصا وأن حركة الترجمة وحركة التأليف كانت تسير بخطى سريعة جنبا إلى جنب وأن كبار المترجمين هم من طبقة المؤلفين أمثال حنين بن إسحاق العبادي [٣] وكان لبيت الحكمة دور كبير في تعليم الطب يظاهي دور المساجد والمجالس الطبية والتي كانت أشبه بالندوات والمؤتمرات العلمية .

فبيت الحكمة أحد العناصر المهمة التي ساهمت في تنشيط العلوم الطبية كونه مكتبة عظيمة احتوت على كافة أصناف العلم والمعرفة وبشكل خاص العلوم الطبية فكانت مكتبته تلك مفتوحة لجميع طلاب العلم دون تخصيص أو تميز فأصبح مركزا للدراسات العلمية والطبية [٤] حيث توفرت فيه كافة الشروط التعليمية فالمؤلفات الطبية ولكبار الأطباء من

---

(١) ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص٦٤ .

(٢) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص٣٢ .

(٣) التوانسي ، د. أبو الفتوح ، من أعلام الطب العربي ، (القاهرة — ١٩٦٦م) ، ص٢٨ .

(٤) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص١٢٤ .

يونانيين وهنود وفرس متوفرة فيه وبعدة لغات ثم أن المحاضرات العلمية كانت تلقى في قاعاته وهي عبارة عن دروس مختلفة ولكافة الاختصاصات العلمية [١] .

كما تواجد في بيت الحكمة كبار الأطباء [٢] فكان بيت الحكمة بمثابة أول جامعة إسلامية يدرس فيها الطب حيث كان مكانه لتجمع العلماء والباحثين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات العلمية من الطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم كما أن بيت الحكمة كان أشهر كليات الطب حتى أن أهل جنديسابور قد أجمعوا على ذلك لأن أكثر أطباء جنديسابور قد رحلوا إلى دار السلام مقر خلفاء بني العباس ومنذ زمن أبو جعفر المنصور وعملوا تحت رعاية الخلفاء العباسيين [٣] بلا شك أن بيت الحكمة كان له دور كبير في تعليم الطب وذلك لوجود كافة مقومات التدريس من مؤلفات طبية ومعلمين وهم كبار الأطباء كما لا بد أنه قد وجدت قاعات للمطالعة والتدريس فيه فكان له دور بارز في تعليم الطب في العصر العباسي الأول .

رابعا : **المدارس والمستشفيات** .

المدارس .

تبارى الخلفاء العباسيون ووزراؤهم وأصحاب الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب فأوجدوا المدارس العلمية والتي يدرس فيها علم الطب وكانت أول تلك المدارس قد فتحت في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور والتي استقدم لها كبار الأطباء ومن مختلف الأمصار الإسلامية [٤] على غرار مدرسة جنديسابور الطبية وكان من أشهر المدرسين فيه هو الطبيب جورجيس بن بختشيوع طبيب المنصور الخاص فأسندت إدارة تلك المدرسة إليه حتى عاد إلى جنديسابور [٥] وربما تكون تلك المدرسة هي خزانة الحكمة التي أنشأها المنصور ومن ثم أنشأ الرشيد

(١) مُحَمَّد ، تدريس الطب في المستشفيات ، آفاق عربية ، ع٩/١٠ ، ص٢١ .

(٢) البياتي ، بيت الحكمة البغدادي ، ص١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

(٤) الشطي ، د. أحمد شوكت ، العرب والطب ، (دمشق – ١٩٧٠م) ، ص٩٣ .

(٥) التوانسي ، من أعلام الطب ، ص٣٩ .

مدرسة لتعليم الطب في دمشق (١) وكان تعلم الطب وممارسته جائزا لأي كان ذكرا أم أنثى (٢) وكان ما يميز المدارس الطبية هي طريقة التعليم النظري فكانت تقوم على لقاءات خاصة بين الأساتذة وطلابهم في منازل الأساتذة أو في المدرسة (٣) أو في المجالس الطبية والتي كان يعقدها كبار الأطباء في دورهم كمجلس يوحنا بن ماسويه والذي يجتمع فيه العديد من التلاميذ كان أبرزهم حنين بن إسحاق (٤) وذلك المجلس يمكن عده مدرسة خاصة لتدريس علم الطب حيث كان الطلبة يدرسون فيه الكتب الطبية والحالات المرضية الغريبة وكيفية تشخيصها وعلاجها (٥) غير أن ظهور المدارس وبشكل رسمي ومنظم ومتكامل كان في العصور العباسية اللاحقة كالمدرسة النظامية للوزير نظام الملك ٤٠٨-٤٨٦هـ/١٠١٧-١٠٩٣م والتي كانت تدرس العلوم الطبية بشكل منظم (٦) وبذلك فإن مدارس الطب قليلة باعتبار علم الطب من العلوم التجريبية وأن الطب لا يعلم من المؤلفات الطبية فقط وإنما يتأتى تعلم الطب من الممارسة والخبرة فقالوا : ((على متعلم الطب قراءة كتب جالينوس وأبقراط ولا يكفي أن تكون عارفا بما في هذه الكتب)) (٧) وقالوا أيضا : ((الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه خطر)) (٨) أي أن الخبرة والممارسة مطلوبة والتي تأتي من العمل التطبيقي .

المستشفيات .

(١) الخطيب ، الطب العربي ، ص٢٦٢ .

(٢) العبوسي ، د. السيد هادي ، المستشفيات في بغداد ، دراسات في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) ، ص١٥٩ .

(٣) محمد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١٢٢ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٣-١٤٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٦) محمد ، تدريس الطب في المستشفيات ، آفاق عربية ، ع٩/١٠ ، ص٢٣ .

(٧) ابن رضوان المصري ، الكتاب النافع ، ص١٠٢ .

(٨) عيسى بك ، المأثور من كلام الأطباء ، ص٢١ .

أدرك الأطباء العرب والمسلمون أن علم الطب هو من العلوم العقلية التجريبية ولا يمكن أن يدرك بدراسة الكتب الطبية بعيدا عن المرضى فأيقنوا أن (البيمارستانات) [1] هي خير مكان لهذه الدراسة التطبيقية لقرب التلاميذ من الحالات المرضية المختلفة ولتوفر العلاجات اللازمة والمتنوعة [2] وسرعان ما شمل الخلفاء العباسيون الأوائل برعايتهم البيمارستانات وجهزوها بالمكتبات الضخمة والتي حوت المخطوطات الطبية الهامة من مؤلفات أبقراط وجالينوس إلى جانب مؤلفات الأطباء الكبار من العرب والمسلمين [3] وقد ألحقت بالمارستانات قاعات كبيرة لتعليم مهنة الطب [4] ونظمت فيها المحاضرات العلمية والتي كانت كانت تلقى على طلبة العلوم الطبية ومفتوحة أمام الجميع وإن كان فقيرا معدما [5] فلم تقتصر وظيفة المارستان على المداواة فقط بل شملت تدريس مهنة الطب فهي دار للعلاج ومكان لتدريس طلاب المستقبل في آن واحد ثم أن أطباء المارستان كانوا يعقدون أشبه بالندوات العلمية لدارسة الحالات المرضية المزمنة وعلى الطلبة أن يحضروا تلك الندوات [6] فكان العرب والمسلمين أول من ابتدع نظام المشافي التعليمية والتي لم يسبقهم بها أحد من الأمم من قبل .

فكان الطلبة يتلقون دروسهم بين أسرة المرضى أكثر مما يتلقونه من الكتب وهذه ميزة يكاد ينفرد بها الأطباء العرب والمسلمون في ذلك العصر [7] فأصبحت المارستانات جامعات جامعات كبرى لتدريس الطب حيث يتلقى أطباء المستقبل علومهم الطبية ويتخرجون

---

(١) البيمارستانات : مفردها بيمارستان أو مارستان ، كلمة فارسية مركبة من مقطعين بيما وتعني مريض وستان وهي مكان أي مكان المرضى ، وهي تقابل كلمة مستشفى بالعربية ، عطية الله ، القاموس الإسلامي ، مج١ ، ص٤١٣ .

(٢) محمد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١٢٣ .

(٣) الشطي ، العرب والطب ، ص٩٤ .

(٤) السامرائي ، الطب وتاريخه ، المورد ، ع٤ ، مج١٤ ، ص٤١ .

(٥) المشهداني ، رعاية الخلفاء العباسيين ، ص٦٦ .

(٦) إبراهيم ، د. حسن أحمد ، العرب وأثر الدراسات الطبية ، مجلة المؤرخ العربي ، (بغداد – ١٩٨٠م) ، ع١٧، ص١٥٩ .

(٧) لوبون ، حضارة العرب ، ص٤٩٣ .

حاملين شهادات أساتذتهم منها [1] ويستفاد تلاميذ الطب من الدراسة في المارستان بعدة أمور فهم يراقبون المرضى وحالات تطور أمراضهم ويدونون الملاحظات التي تطرأ عليهم وتسنح لهم أيضا حضور حلقات التدريس وهم في نفس الوقت يقومون بالتطبيق العملي مستفادين من طرق أساتذتهم في الفحص والتشخيص والمعالجة كما يقتبسوا منهم كيفية التعامل مع المرضى الراقدين في المارستان [2] وأهم ما يعلم في مدارس المارستانات هو الدقة في تشخيص المرض قبل البدء بإعطاء الدواء [3] كما أن ملازمة الطالب لأستاذه في المارستان المارستان ومواضع المرضى يكسب طالب الطب المهارة العالية والدقة في التشخيص والخبرة التي يحتاج إليه لكي يكون طبيبا ناجحا في المستقبل .

تعرفنا مما سبق أماكن تعليم الطب وكانت تلك الأماكن متباينة في الأهمية فمن وجهة نظري أرى أن أهم أماكن تعليم الطب في العصر العباسي الأول هي المارستانات الطبية ومن ثم بعدها تأتي المجالس الطبية ثم بيت الحكمة وهكذا .

المبحث الثاني : أساليب تعليم الطب وأنظمة الامتحانات في العصر العباسي الأول .

أولا : طرق التدريس .

كان التحاق الطلبة بالمدرسة أو المسجد أو المارستان في غاية البساطة إذ لا يتطلب منهم سوى الذهاب إلى حيث يجلس المعلم الذي يود الطالب أن يسمع ويتعلم منه فكان الطالب حرا في اختيار الأستاذ والتنقل بين أستاذ وآخر دون قيد أو شرط كما كان للطالب حرية اختيار مواد الدراسة ودراسة الاختصاص الذي يرغبه إذ لم توجد في تلك المساجد أو المدارس أو غيرها من أماكن التعليم برامج دراسية إجبارية تفرض على الطلبة ولم توجد أنظمة

(١) لاندو ، روم ، الإسلام والعرب ، ترجمة : منير البعلبكي ، ط١ ، (بيروت – ١٩٦٢م) ، ص٢٦٩ .

(٢) مُحَمَّد ، تدريس الطب في المستشفيات ، آفاق عربية ، ع٩/١٠ ، ص٢٢ .

(٣) الشطي ، العرب والطب ، ص٩٤ .

تقيد حرية الطالب مما يؤثر سلبا على مستقبله وتلك الحرية لم تكن حالة من الفوضى وإنما كانت لها أصول وقواعد أهمها موافقة الأستاذ أو المشرف [(١)] فمثلا الطالب الذي يرغب أن يكون جراحا ما عليه سوى أن ينهي دراسة فروع الطب ومن ثم يراجع طبيبا جراحا ممارسا ويرتبط به ويلازمه في المارستان ليدرس على يديه فن الجراحة نظريا وعمليا [(٢)] وكان أسلوب تدريس الاختصاص يشبه ما يطبق في كليات الطب في العصر الحديث وأسلوب تدريس الطب المتبع يكون على قسمين الأول التدريس النظري ، أما القسم الثاني فهو التدريس العملي .

أ- التدريس النظري .

اعتمد التدريس النظري للطب على ما يتلقاه الطلبة من دروس في المساجد والمكتبات ودور العلم والمجالس الطبية فضلا عن المدارس الطبية وكان هذا الأسلوب ضروريا ليتعرف على ما وضع في المؤلفات الطبية فدراسة الكتب الطبية أمر ضروري لكل من يريد أن يصبح طبيبا .

وكان أسلوب التدريس النظري للطب عند العرب والمسلمين على طريقة التعليم اليونانية فكانت تسبق دراسة الطب وتعلمه دراسة علم الرياضيات والطبيعة والمنطق وغيرها ، فمن دون أن يعرف الطالب الهندسة والنجوم لا يمكن معرفة الأزمنة وحال البلدان ومن دون معرفته بالمنطق لا يمكنه أن يحسن تقسيم أنواع الأمراض [(٣)] وقالوا : ((من لم يعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل إلى اللذات الدنيائية فاتهمه في علمه لا سيما في صناعة الطب)) [(٤)] وأكدوا على تزويد متعلم الطب مختلف العلوم فقالوا : ((الطبيب الجاهل مستحث الموت)) [(٥)] وما دام قد تأثر الأطباء العرب والمسلمين بالأسلوب اليوناني في التعليم فقد كانت المؤلفات الطبية اليونانية هي صلب الدراسة الطبية في العصر

(١) مُحَمَّد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١٢٤-١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٦ .

(٣) البدري ، د. عبد اللطيف ، تعليم الطب عند العرب ، الندوة القطرية الخامسة للعلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٦٨٦ .

(٤) عيسى بك ، المأثور من كلام الأطباء ، ص٢١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩ .

العباسي الأول فأخذوا مجموعة من مؤلفات أبقراط وجالينوس فأخذوا أربعة مؤلفات لأبقراط هي كتاب الفصول وكتاب الإنذارات وكتاب الغذاء وكتاب الاهوية والبلدان كما اختاروا ستة عشر مؤلفا لجالينوس نذكر منها كتاب الفرق وكتاب النبض الصغير وكتاب النبض الكبير وكتاب المزاج وكتاب التشريح الصغير وكتاب العلل والأمراض وكتاب تعرف علل الأعراض الباطنية وكتاب تدبير الصحة وغيرها (١) كما كان على متعلم الطب دراسة كتاب الحشائش لديوسقوريدس (٢) وقالوا : ((إن على متعلم الطب قراءة كتب جالينوس وأبقراط ولا يكفي أن تكون عارفا بما في هذه الكتب)) (٣) وليس على المتعلم قراءة كتب الطب اليونانية بل عليه التمعن في قراءة جميع مؤلفات الأطباء الكبار من أطباء عصره وتميزت كتب الطب العربية بغزارة معلوماتها ودقتها واختلاف أنواعها ومواضيعها وأحجامها من كتب مختصرة وكنانيش إلى موسوعات ضخمة إلى جداول للطلاب في شكل سؤال وجواب فاحتوت المؤلفات العربية كل معارف العصور السابقة وبشكل مختصر ومرتب ومنظمة تنظيما جيدا كما أضافوا إليها ابتكاراتهم التي أوجدوها مع شروح وتفصيلات دقيقة مما جعلها ثمرة حقيقية في متناول الجميع وكل من يسعى وراء العلم (٤) وشملت طريقة التعليم النظري للطب تدوين آراء كبار الأطباء في العلل والأعراض وتدوين المشاهدات الخاصة بالطلبة كما كان عليهم حضور الندوات والمناظرات والمجالس الطبية والتي تعقد في المساجد والمكتبات ومنازل الأطباء (٥) لذلك تعتبر دراسة الطب نظريا خطوة مهمة وخصوصا للطالب المبتدئ لأنها تنمي عقله وتوسع اطلاعه وأفكاره وتعرفه بأنواع الأمراض المختلفة إلا أنها لا تجلب الخبرة الطبية إطلاقا .

ب- التدريس العملي .

أدرك الأطباء العرب والمسلمون أن علم الطب هو من العلوم التجريبية والتي لا يمكن دراستها بعيدا عن المرضى فكان صلب التدريس العملي للطب هو المارستان فهو خير مكان

(١) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٢٧٢ .
(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٦ .
(٣) ابن رضوان المصري ، الكتاب النافع ، ص١٢٠ .
(٤) محمد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١٢٦ .
(٥) محمد ، تدريس الطب في المستشفيات ، آفاق عربية ، ع٩/١٠ ، ص٢٦ .

لهذه الدراسة لقرب التلاميذ من المرضى ولتوفر العلاج والمعلمين [١] فاعتمد أسلوب التعليم العملي للطب على مراقبة المرضى وتطور حالاتهم المرضية خلال مكوثهم في المارستان كما يتعلم الطالب من المناقشات العملية بالقرب من أسرة المرضى ودراسة الحالات المرضية الغريبة كما يستفاد من مراقبة الأستاذ عند قيامه بالفحص والتشخيص وطرق معالجته للمرضى مما يسمح لهم بالقيام بدراسات على المرضى وتجربة العلاجات الجديدة وتدوين ما تحدثه هذه الأدوية من أعراض جانبيه مع الحرص الشديد في المحافظة على حياة المريض وعدم تعريضه للخطر [٢] وقالوا في التعليم العملي للطب : ((ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازما للمارستان ومواضع المرضى كثير المزاولة لأمورهم وأحوالهم مع الأستاذين من الحذاق من الأطباء كثير التفقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم فيتذكر لما كان قد قراءة من تلك الأحوال وما يدل عليه من الخير والشر فإنه إذا فعل ذلك بلغ في هذه الصناعة مبلغا حسنا)) [٣] .

نستنتج مما تقدم بأن طريقتي التدريس الطبي النظري والعملي إحداهما مكملة للأخرى ولا يمكن الفصل بينهما وهذا ما نلمسه من طرق تعليم الطب في كليات الطب اليوم إذ لا يزال أسلوب التدريس العربي للطب معمول به في العالم أجمع من شرقه إلى غربه .

ثانيا : **الامتحانات ونظام مراقبة المهن الطبية** .

بعد أن علمنا أماكن تعليم الطب وطرق تدريسه في العصر العباسي الأول لا بد لنا أن نعلم بأن ممارسة الطب في العصر العباسي الأول لم تكن بشكل فوضوي بل وضعت تحت ضوابط وشروط علمية رصينة لكي يؤدي الأطباء واجبهم الإنساني تجاه المجتمع بأكمل وجه فوضعت الامتحانات على ممارسي هذه الصناعة لمنع الدجالين والمشعوذين والهواة من ممارستها وإيذاء الناس بطرقهم الشريرة وكشف أعمالهم الدنيئة والتي لا تمت إلى علم الطب بأي صلة وكانت هناك صنفان من الامتحانات .

أ- امتحانات الخلفاء لأطبائهم لقبولهم للعمل في قصر الخلافة .

---

(١) مُحَمَّد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

(٣) محفوظ ، نظرة في تاريخ الطب العربي ، دراسات في الطب العربي ، ص٢٩٦-٢٩٧ .

ب- امتحان الأطباء من قبل المحتسب لحماية الناس من منتحلي المهنة .

أ- امتحانات الخلفاء العباسيين .

كان أول من أجرى امتحان الأطباء من خلفاء بني العباس هو الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور حينما امتحن الطبيب جورجيس بن بختشيوع النصراني : ((فلما وصل جورجيس إلى الحضرة أمر المنصور بإيصاله ولما وصل دعا للخليفة بالعربية والفارسية فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه فأجلسه أمامه وسأله عن أشياء ، فأجابه بسكون فقال له : قد ظفرت منك بما كنت أحبه وأشتاقه)) [(١)] كذلك امتحن المنصور تلاميذ جورجيس إبراهيم وعيسى بن شهلا ووجدهما عارفين عالمين بأمور الطب [(٢)] كما أن الخليفة هارون الرشيد قد أجرى بعض الامتحانات لأطبائه فامتحن الطبيب جبرائيل بن بختشيوع [(٣)] وكذلك الطبيب ماسويه الخوزي [(٤)] وكان من أصعب الامتحانات التي أجريت على الأطباء هو امتحان الخليفة المأمون للطبيب حنين بن إسحاق العبادي فقد تعلم حنين اللسان اليوناني في بلاد الروم وعاش هناك حينا من الزمن حتى ظن المأمون بأن ملك الروم كان قد دبر شيئا من الحيلة به فاستدعى حنين وأمر له بخلع وافرة وإقطاعات تشمل على خمسين ألف درهم فشكر له حنين صنيعه ثم طلب منه المأمون أن يصف له دواء قتال يريد أن يقتل به عدوا له ولم يمكن قتله إشهارا ويريده منه سرا ، فأجابه حنين بأنه لم يتعلم إلا الأدوية النافعة ولم يعلم أن الأمير يطلب منه غير ذلك وإن أراد الأمير أن أمضي وأتعلم فعلت ذلك ، فقال له المأمون هذا شيء يطول ورغبة المأمون وهدده ولم يزيد حنين على ما قاله فأمر المأمون بحبس حنين في بعض القلاع ومكث حنين في سجنه سنة وبعد انقضائها أمر المأمون بإحضاره وإحضار أموال يرغبه فيها كما أحضر سيفا وسائر آلات العقوبات فلما حضر حنين أعاد المأمون في طلبه فإن أنت فعلت فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه وإن امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة ، فأجابه حنين إني لم أحسن إلا الشيء النافع ولم أتعلم غيره فقال له المأمون فإني قاتلك ؟ فقال حنين لي رب

---

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٠ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٨ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٩-٤٠ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٤ .

(٤) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٤ .

يأخذ بحقي غدا في الموقف الأعظم فتبسم الخليفة وقال له يا حنين طب نفسا وثق بنا فهذا الفعل كان منا لامتحانك لأنا حذرنا من كيد الملوك (١) وقد عانى حنين ما عاناه من جراء ذلك الامتحان إلا أن منزلته ارتفعت عند الخليفة المأمون .

ب- مراقبة المحتسب وامتحاناته لصنوف الطب المختلفة .

وضع المسلمون في تنظيماتهم للصناعات والمهن وعلاقات العمل تشريعا لقطع الغش ومراقبة أصحاب المهن والصنائع عرفت بالحسبة وسمي القائم بأعمالها المحتسب وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما فرض على من ولي من أمور المسلمين (٢) عملا بقوله تعالى : ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٣) فاقتصر عمل المحتسب بما يتعلق بأساليب الغش والتدليس وله أعوان يساعدونه في ضبط السوق يعرفون بالعرفاء (٤) وكان دور المحتسب في بادئ الأمر مراقبة الأسواق والطرقات ومنع أصحاب المهن من غش السلع إلا أن التطور في الحياة وتعدد الصناعات واختلافها وفي مقدمتها صناعة الطب وخصوصا في العصر العباسي الأول فوضعت الأصناف الطبية المختلفة تحت رقابة من حجامين وفصادين وأطباء وصيادلة وكحالين وغيرهم وفرضت عليهم الاستقامة في أعمالهم (٥) ولأهمية صناعة الطب وارتباطها بحياة الإنسان ، قال الرهاوي في امتحان الأطباء : ((إن محنة الطبيب واجبة لأسباب أقدمها شرف صناعة الطب والموضوع هو الإنسان المحتاج إلى استعمال الطب فإن الغلط من الطبيب إذا وقع بالإنسان كان أعظم كثيرا من أغلاط أصحاب الصنائع الأخرى لأن النجار والصائغ وغيرهما من أهل الصنائع والمهن لا تبلغ مقادير أغلاطهم مقدار غلط الطبيب ...

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢١-١٢٢ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٤-١٤٥ .

(٢) الشيزري ، عبد الرحمن بن نضير بن عبد الله (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق: السيد الباز العريني ، (بيروت – بلا ت) ، ص٦-٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٧ .

(٥) السامرائي ، الطب في العراق ، دراسات في الطب العربي ، ص١٠٨ .

فغلط الطبيب مهلك لذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنة وانتقادهم بالنظر والبحث ليظهر فضل الأفاضل فتسلم إليها النفوس ويظهر جهل المدعين لها فتحذر على النفوس منهم)) [١] .

يتبين لنا بأن عمل المحتسب عمل عظيم وصعب إذ عليه تمييز الطبيب الجيد النافع من الدجال المشعوذ المؤذي لحياة الناس والذي لا يعلم عواقب أفعاله بسبب جهله فكان المحتسب ينظم اختيار الأطباء ويفحص معلوماتهم ويشرف على امتحاناتهم ويتعرف على مقدار كفاءتهم ودرجة إتقانهم للصناعة ويأخذ عليهم عهد أبقراط فيحلف الأطباء أمامه أن لا يعطوا أحدا دواء مضرا ولا يذكروا للنساء دواء مجهضا ولا للرجال دواء قاطعا للنسل وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ولا يفشوا أسرار المرضى [٢] ويمتحن المحتسب الأطباء بما ذكره حنين بن إسحاق في كتابه محنة الطبيب [٣] وأول ما يسأل به الطبيب هو على رأي أي فرقة من فرق الطب – فرق الطب ثلاثة من يعمل بالتجربة ومن يعمل بالقياس ومن يعمل بالحيل – فإنه يتحرى من جوابه فيتبين له هل هو ممن يعلم بعدد فرق الطب وما الذي يراه في كل فرقة من أصول العلاج وما التشابه والاختلاف بين تلك الفرق [٤] كما يفتش المحتسب عن جميع الآلات والأدوات وكل ما يحتاجه الطبيب في عمله [٥] أما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق العشر مقالات في العين فمن وجده عارفا بتشريح العين وعدد طبقاتها ورطوباتها وعدد أمراضها وما يتفرع من تلك الأمراض وكان خبيرا بتركيب الأكحال والأمزجة أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس ولا ينبغي له أن يفرط في شيء من الآلات والأدوات [٦] أما الأطباء الجراحون فكان عليهم معرفة كتاب الجراحات والمراهم لجالينوس وأن يعرفوا تشريح أعضاء الإنسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين [٧] [٧] كذلك وضعت أعمال المجبرين تحت رقابة المحتسب فكان لا يحق للمجبر أن يتصدى

---

(١) آداب الطبيب ، ص١٦٦ .

(٢) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٩٨-٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٨ .

(٤) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٦٧ .

(٥) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٩٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٠٠-١٠١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٠١-١٠٢ .

للتجبير إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش (بولس) [١] في الجبر وأن يعلم عدد عظام الإنسان – ٢٤٨ عظما – وصورة كل عظم منها وشكله وقدرة حتى إذا انكسر منها شيء أو خلع رده إلى موضعه على هيئته الأولى التي كان عليها فيمتحنهم المحتسب في جميع ذلك [٢] أما الصيادلة فلا يحق لهم عقد الأشربة أو تركيب الأدوية والمعاجين إلا من أشتهر بمعرفتها وظهرت خبرته وكثرت تجربته ولا يركب الأدوية إلا من أشهر الكنانيش والأقرباذينيات المعروفة [٣] وأشهرها كتاب الحشائش لديوسقوريدس [٤] وكان أول من أجرى الامتحانات على الصيادلة من خلفاء بني العباس هو الخليفة عبد الله المأمون وذلك بعد أن بعث باسم سقطيثا – أرض للمأمون قرب دار السلام – إلى حوانيت الصيادلة فوصل رسله إلى جميع الصيادلة وكل واحد منهم ذكر أن لديه هذا الدواء وأخذ الدراهم ودفع إلى رسول الخليفة ما يراه مناسبا من حانوته فصار إلى الخليفة بأشياء مختلفة من أحجار وبذور وأشربة ومعاجين وغير ذلك فأمر المأمون في الحال بامتحانهم [٥] وجدد الامتحان في عهد الخليفة إبراهيم المعتصم ففيما كان قائده (الأفشين) [٦] يتفقد معسكره وصل إلى حوانيت الصيادلة الصيادلة فقال زكريا بن الطيفوري الطبيب ضبط هؤلاء الصيادلة أولى مما تقدم من باقي الصناعات فامتحنهم حتى نعرف الناصح من غيره فذكره ابن الطيفوري بحيلة المأمون مع الصيادلة فأرسل الأفشين عشرين اسما مختلفا إلى الصيادلة فمنهم من أنكر معرفته بها ومنهم من أخذ ثمن الدواء ودفع إلى رسول الأفشين شيئا من حانوته فأمر الأفشين بجمع الصيادلة وكتب لمن أنكر معرفته بتلك الأسماء منشورا يسمح لهم بمزاولة أعمالهم أما الباقين فطردهم من

---

(١) بولس الأجانيطي : حكيم يوناني قديم العهد مشهور الذكر نقل له الأطباء العرب بعض كتبه إلا أنه ضعيف البصيرة في الطب ، القفطي ، أخبار العلماء ، ص٦٧ .

(٢) الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص١٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٦ .

(٤) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٢١ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٩٢ .

(٦) الأفشين : خيذر بن كاوس ، مقدم قواد المعتصم قضى على تمرد بابك الخرمي وغيرها من الحركات الانفصالية، قتله المعتصم ثم صلبه وأحرقه وذر رماده في دجلة سنة ٢٢٢هـ/٨٣٥م ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٢٣ .

معسكره وأباح دمهم [١] وكانت للمحتسب صلاحيات واسعة فكان يفتش دكاكين العطارين والشرابين ويختار لهذه المهمة من كانت له دراية بأمور العقارات والأدوية كما كان من أعمال المحتسب معاينة مواعيد الأشربة أسبوعيا واختبارها من طعمها ولونها ورائحتها فإن وجد منها شيء قد فسد أمر الصيدلي بالامتناع عن بيعه وإتلافه [٢] ومن واجبات المحتسب أيضا امتحان الفصادين فكان لا يعمل بالفصد إلا من اشتهر بمعرفته بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين وأحاط بمعرفة تراكيبها حتى لا يقع مبضعه في عرق أو عضلة أو شريان فيؤدي بإعطاب ذلك العضو أو إهلاك المريض ويأخذ المحتسب العهد والميثاق على الفصادين بأن لا يفصدوا أحدا إلا بأمر من الطبيب [٣] وكذلك يمتحن المحتسب الحجامين ومن شروط الحجام أن يكون رشيقا في صنعته خبيرا بها فيخضع الحجام لرقابة المحتسب فإن وجد فيه خفة اليد وعدم إحساس المريض بالألم عند الحجامة أعطاه إجازة الممارسة [٤] وبذلك فقد وجدنا أن اهتمام الخلفاء العباسيين بعلم الطب كبير ورعايتهم لمصالح الناس والعامة أكبر فهم الذين منعوا المحتالين والدجالين من ممارسة صنوف الطب المختلفة بعد أن عينوا المحتسب الذي حافظ على أرواح الناس وربما يتسائل البعض هل أن المحتسب هو الذي يقوم بامتحان جميع الأطباء وفي مختلف أصناف الطب والإجابة على مثل هذا السؤال نقول بأن هناك ظهر تقليد قانوني يعين فيه الخليفة أحد كبار الأطباء رئيسا على الأطباء وممارسي المهنة ويكون ذلك الرئيس من أطباء الخليفة المتضلعين في المعالجات الطبية المختلفة وعلى علم وتجربة واسعة ورئاسة الطب هذه هي وظيفة إدارية تحتم عليه إدارة شؤون الصنعة ومن ضمنها امتحان الأطباء [٥] .

ومن أبرز رؤساء الأطباء في العصر العباسي الأول جورجيس بن بختشيوع طبيب أبو جعفر المنصور الخاص وجبرائيل بن بختشيوع طبيب هارون الرشيد الخاص وسلمويه بن بنان طبيب المعتصم وآخرون فكان الذي يراقب الأطباء هو المحتسب ويقدم الشكاوى ضد

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٢) العاني ، الصيدلة عند العرب ، ج٣ ، ص٥٨٨ .

(٣) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٨٩-٩٠ .

(٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٩٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٧١-٢٧٢ .

المخطئين ويوصلها إلى رئيس الأطباء للنظر في أمره والمحتسب يكون معينا من قبل الخليفة من بين أعلام الناس المعروفين بالعلم والتقوى والحرص على مصالح المسلمين [١] .

المبحث الثالث : مكانة الأطباء في العصر العباسي الأول .

أولا : المكانة والمناصب والنكبات التي حصل عليها أطباء العصر العباسي الأول .

كان الطب أحد الأركان الأساسية التي ارتكزت عليها الخلافة العباسية وأبدى خلفاء بني العباس اهتمامهم الكبير بهذه الصناعة فأغدقوا الأموال والهبات على الأطباء وأجزلوا لهم العطاء وقلدوهم المناصب العظام وأصبحت لهم منزلة رفيعة ومرموقة بين رجال الخلافة فكان الجميع يرغبونهم بالبذل والإكرام بغض النظر عن دياناتهم وأنسابهم ومذاهبهم وطوائفهم فكان المسلم إلى جوار النصراني واليهودي والمجوسي والصابئي وشهد هؤلاء الأطباء وعلى اختلاف عقائدهم ومللهم عهدا عظيما من الحرية والثقة والأمان [٢] وبالغ خلفاء بني العباس في إكرام أطبائهم إلى حد كبير مما جعل كل من حولهم من القواد والأمراء يحسدونهم لمنزلتهم العظيمة فكانت لبعض الأسر الطبية الحظوة والمكانة لدى الخلفاء منهم أسرة آل بختشيوع وأسرة آل ماسويه وآل الطيفوري فكان جورجيس بن بختشيوع حظيا عند المنصور ورفيع المنزلة ونال من جهته أموالا جزيلة [٣] وكانت منزلته عظيمة جدا فقال المنصور للربيع : ((أنزله في منزل جليل من دورنا وأكرمه كما تكرم أخص أهلك وأن يجاب جورجيس لكل ما يسأل)) [٤] وصادف أن رأى المنصور وجه جورجيس قد تغير لونه فقال للربيع : ((أرى هذا الرجل قد تغير وجهه يكون قد منعته مما يشربه على عادته ؟ فقال الربيع : لم نأذن له أن يدخل إلى الدار مشروبا ، فأجابه المنصور بقبح وقال له : لا بد أن تجيء بنفسك حتى تحضر له المشروب وكل ما يريده ؟ فأحضر له الربيع غاية ما أمكنه من الشراب الجيد)) [٥] ومكانة

---

(١) السامرائي ، الطب في العراق ، دراسات في الطب العربي ، ص١٠٩-١١٠ .

(٢) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٧٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنبياء ، ج٢ ، ص٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨ .

جورجيس عند المنصور ترتفع في كل يوم فعندما مرض جورجيس مرضا صعبا كان المنصور يرسل إليه في كل يوم الخدم حتى يتعرف على خبره ولما اشتد به المرض أمر المنصور بحمله على سرير على دار العامة وخرج الخليفة أبو جعفر المنصور ورآه ماشيا وسأله عن خبره فبكى جورجيس بكاء شديدا وطلب من الخليفة أن يعيده إلى بلده فأمر المنصور بإعادته ووهب له في الحال بعشرة آلاف دينار [١] وأكرم الخليفة المهدي إسرائيل الكبير (أبو قريش) بعد أن تنبأ بولادة الهادي والرشيد وجعل المهدي ولداه الهادي والرشيد في حجره وكناه أبا قريش أي أبا العرب وقدمه على سائر أطبائه [٢] كما كان للطبيب عبد الله الطيفوري مكانته في نفوس الخلفاء من بني العباس فكان جليل القدر معظم عندهم وما إن أفضت الخلافة إلى المهدي حتى أرسل إليه وعظم من قدره فأصبح طبيب الخليفة وولي عهده وما أن تسلم الهادي مقاليد الخلافة حتى ارتفعت مكانة ابن الطيفوري فيقول عن موضعه من الخليفة الهادي : ((كنت أعز عليه من جلده ما بين عينيه وكان يتبرك بي)) [٣] ولمنزلته العظيمة وحب الخليفة له أنه كان الهادي يقذفه بالكلام السيء فيرد عليه ((ولقد كان يقذفني فأرد عليه بمثل قوله)) [٤] وهذا يدل على نوع العلاقة الحميمة والمتينة بين الهادي وابن الطيفوري وقال فيه ابن الطيفوري : ((والله ما عاشرت بعد الهادي أحر نفسا ولا أكرم طبعا ولا أطيب عشرة ولا أشد إنصافا)) [٥] وزاد الخليفة هارون الرشيد في إكرام أطبائه وتشريفهم حتى مع أصحاب العلم القليل والخبرة الضئيلة أمثال أبا قريش فعندما مرض الرشيد من صداع لحقه قال ليحيى بن خالد البرمكي : ((هؤلاء ليسو يفهمون شيئا ؟ فأجابه يحيى : يا أمير المؤمنين أبا قريش طبيب والدك ووالدتك ؟ قال الرشيد : ليس هو بصير بالطب وإنما استطببناه إكراما له لتقدم حرمته)) [٦] وكان أسعد الأطباء حظا هو الطبيب جبرائيل بن بختشيوع الذي أكرمه الرشيد وعظم مكانته فقال الرشيد لجبرائيل وهو حاج بمكة : ((يا جبرائيل علمت مرتبتك عندي ؟

---

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١١ .

(٢) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٠ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧١ .

قال : سيدي وكيف لا أعلم ! قال له: دعوت لك والله في الموقف دعاء كثيرا ثم التفت إلى بني هاشم وقلت : عسى أنكرتم قولي له ؟ فقالوا : يا سيدنا ذمي ؟ فقلت : نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي فصلاحهم بصلاحه وبقائه ، فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين)) [1] وكان محل جبرائيل يقوى في كل وقت حتى أن الرشيد قال لأصحابه : ((كل من كانت له إلي حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلب مني)) [2] فكان القواد والعمال يقصدونه في كل أمورهم [3] ويصف جبرائيل مكانته فيقول : ((لي أبوان قد خدما الخلفاء وأفضلوا عليهما وأفضل عليهما غيرهم ممن هو دونهم وقد أفضل على الخلفاء ورفعوني من حد الطب إلى المعاشرة والمسامرة وأنه ليس لأمير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد وعامل إلا وهو يداريني وإن لم يكن مائلا لمحبته إلي شاكرا لي على علاج عالجته به ومحضر جميل حضرته له ووصفته وصفا حسنا عند الخليفة فنفعته وكل واحد من هؤلاء يفضل عليّ ويحسن إليّ)) [4] ولما تولى الأمين الخلافة زاد في إكرام جبرائيل ((فكان لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه)) [5] وكان حظيا عند المأمون وكناه بأبي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه [6] كما كان الطبيب يوحنا بن ماسويه مقدما ومعظما على كافة الأطباء : ((وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته فكان يقف عند رؤوسهم ومعه الأواني بالجوارشانات [7] الهاضمة)) [8] .

كما اختص سلمويه بن بنان بخدمة المعتصم وأصبح طبيبه الخاص الذي لا يفارقه لحظة فقال فيه المعتصم : ((سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة لأن هذا يحكم في مالي

(١) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٤٩ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٥ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٥ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٧ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٠ .

(٧) الجوارشانات : الأطعمة الهاضمة للطعام والتي تؤخذ مع الطعام أو في حالات التخمة ، ابن سينا ، القانون ، ج٣ ج٣ ، ص٣٤٧ .

(٨) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٥ .

وهذا يحكم في نفسي ونفسي أشرف من مالي وملكي)) [١] وكان المعتصم يناديه بـ (أبي) [٢] ولما مرض سلمويه أمر المعتصم ولده أن يعوده [٣] وقال : أنا أعلم وأتيقن أن لا عيش بعد بعد [٤] وسألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدير جسمي [٥] وأعتقد أن هناك مبالغة واضحة واضحة في قدر سلمويه ولم يعش المعتصم بعده تمام السنة [٦] ومن باب إكرام الخلفاء العباسيين لأطبائهم أنهم قد قلدوا البعض منهم مناصب إدارية واستشارية عظيمة فكان جورجيس بن بختشيوع رئيس أطباء دار الخلافة في عهد المنصور [٧] ولمكانة جبرائيل بن بختشيوع من نفس الرشيد فقد قلده منصب رئيس الأطباء وقال له : ((تكون رئيس الأطباء ولك يسمعون ويطيعون)) [٨] كما كان للطبيب فرات بن شحناتا مستشار عيسى بن موسى العباسي ولي العهد في أيام المنصور فكان عيسى يشاوره في كل أموره فيعجبه عقله ورأيه وصواب قصده فضلا عن كونه طبيبه الخاص وعندما توفي فرات كان عيسى بن موسى يتذكره كلما وقع له شيء من الأمور التي كان ينذره بوقوعها ويقول : ((أيا فرات سقى عهدك كأنك كنت شاهدا يومنا هذا)) [٩] وحظي سلمويه بن بنان طبيب المعتصم بأخطر المناصب في قصر الخلافة فإنه كان طبيب المعتصم الخاص ورئيس أطبائه وكان يرد إلى الدواوين بتوقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط يده وكان كل ما يرد على الأمراء والقواد من خروج أو تواقيع من حضرة أمير المؤمنين المعتصم فهي بخط سلمويه كما ولى سلمويه أخاه إبراهيم بن بنان خزن بيوت الأموال في البلاد وذلك من مناصب الدولة الحساسة وكان خاتم سلمويه مع خاتم المعتصم ولم يكن أحد عند المعتصم مثل سلمويه وأخيه

---

(١) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٠ .
(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٦ .
(٣) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٠ .
(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٦ .
(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ .
(٦) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٠ .
(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٧ .
(٨) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ص١٦٩ .

إبراهيم في المنزلة [١] كما ولى المعتصم سلمويه طبيبه البريد وإيصال الرسائل التي ترد إلى الخليفة في كل الأوقات [٢] وكانت تلك المناصب من المناصب الهامة والحساسة والتي تولاها بعض أطباء العصر العباسي الأول والثقة الكبيرة التي أنيطت بهم والمكانة التي كان يتمتعون بها من الأبهة والسلطان والجاه فكان باستطاعة هؤلاء الأطباء أن يقودوا دفة السلطة حيثما شاءوا بسبب حب الخلفاء وثقتهم العالية بهم .

وعلى الرغم من العيش الرغيد والترف والمكانة العظيمة التي حظي بها أطباء الخلفاء إلا أن حياتهم لم تخلوا من المخاطر والنكبات العظيمة والتي أتت نتيجة بعض الهفوات والأخطاء البسيطة وغير المقصودة في التدبير والعلاج أو لمضاربة الخلفاء في الأبهة والسلطان والعظمة ومهما ارتفعت منزلة الطبيب عند الخليفة إلا أن ذلك لا يشفع له بسبب تقصير بسيط فتنزل به أشد العقوبات وصدرت أوامر من الخلفاء بقتل البعض منهم أو سجنهم أو نفيهم ولولا تدخل وشفاعة الوزراء لقضي على حياة الكثير منهم وسأذكر نكبات كبار أطباء دار الخلافة في العصر العباسي الأول .

فالطبيب عيسى بن شهلا الذي دخل في خدمة الخليفة المنصور بعد رحيل معلمه جورجيس قد أصاب الرضى والاستحسان من المنصور وقربت مكانته في دار الخلافة فأخذه الطمع والجشع والانتهازية فبسط يده على الأساقفة والمطارنة يأخذ أموالهم له حتى بلغ به الأمر إلى تهديدهم والتوعيد بهم فكتب إلى أحد مطارنة نصيبين يلتمس منه بعض الآلات وأشياء جليلة القدر وأموال وهدده بأن متى أخر عنه لينكل به وقال إلى المطران : ((ألست تعلم أن أمر الملك بيدي ؟ إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته)) [٣] فرحل المطران بذلك الكتاب إلى وزير المنصور الربيع وشرح له حاله وما وصل إليه عيسى فأوصل الربيع ذلك الكتاب إلى المنصور فأمر بنفي عيسى بن شهلا ومصادرة جميع ما يملك [٤] كما قبض على خصيب الطبيب من أطباء البصرة بعد أن سقى مُحَمَّد بن أبي العباس السفاح شربة دواء وهو في البصرة فمرض منها وحمل إلى بغداد وتوفي بها سنة ١٥٠هـ فاتهم خصيب بقتله فحبس

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٠ .

حتى مات في سجنه [١] ولما مرض موسى الهادي جمع أطبائه إسرائيل أبا قريش وعبد الله الطيفوري وداود بن سرابيون وقال لهم : ((أنتم تأخذون أموالي وجوائزي وفي وقت الشدة تتقاعدون بي ؟ فقال له أبو قريش : علينا الاجتهاد والله يهب السلامة)) [٢] فأغاظ ذلك الكلام الهادي وأمر بضرب أعناق الأطباء في الحال إلا أن وزيره الربيع لم يفعل لعلمه باختلال عقله وشدة مرضه [٣] ونكب جبرائيل بن بختشيوع عدة مرات رغم مكانته العظيمة في نفوس الخلفاء وكانت أولها في أواخر أيام الرشيد في مدينة طوس حينما مرض الرشيد من علته التي توفي بها فلما قوي المرض عليه قال لجبرائيل : لم لا تبرئني ؟ فقال له : قد كنت أنهاك دائما عن التخليط وكثرة الجماع فلم تسمع مني والآن أنا أطلب منك الرجوع إلى بلدك فإنه أوفق لمزاجك فلم تقبل مني [٤] فأمر الرشيد بسجنه وما زاد في حقد الرشيد على جبرائيل أنه قد عالجه أسقف بأرض فارس فكان يقول للرشيد : إن الذي عالجك لم يكن يفهم الطب وإن كل المرض هو من خطأ جبرائيل فأوغل ذلك الكلام صدر الرشيد وأمر بقتل جبرائيل إلا أن الفضل بن الربيع كان يعلم مكانة جبرائيل من نفس الرشيد ويرى أن الأسقف ما هو إلا كاذب يريد قتل جبرائيل فأبقى على حياته وتوفي الرشيد بذلك المرض سنة ١٩٣هـ [٥] .

بينما اكتفى البعض من الخلفاء بحبس أطبائهم أو إبعادهم عن الخدمة أو بالتقليل من أرزاقهم كما فعل المأمون حينما قبض على جبرائيل وأمر بسجنه لأنه ترك خدمته عمدا بعد وفاة الرشيد وانقطع إلى خدمة أخيه الأمين ولكنه أطلق سراحه بعد حين [٦] كما كف المأمون يد طبيبه جبرائيل الكحال عندما أفشى خبر نوم الخليفة من دون إذنه وما إن علم المأمون بتصرف جبرائيل غضب عليه وقال : ((يا جبرائيل اتخذتك كحالا لي أو عاملا على الأخبار عني أردد علي مكاحلي وأميالي واخرج من داري)) [٧] ولم يؤذن لجبرائيل بعدها من

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٧٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١ .
(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٩٩ .
(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٥ .
(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٦ .

الدخول على المأمون وأنقص راتبه إلى مائة وخمسون درهما بعد أن كان يتقاضى ألف درهم في الشهر [١] .

هكذا كانت حياة الأطباء بين الرفاهية ورغد العيش وبين القتل والتنكيل وذلك هو ديدن الملوك في العطاء والبطش .

ثانيا : رواتب الأطباء وأعطياتهم في العصر العباسي الأول .

أغدق خلفاء بني العباس في العصر العباسي الأول عصر القوة والازدهار الحضاري الكثير من الأموال والأعطيات إلى ندمائهم وجلسائهم وكل من يخدمهم من الشعراء والأطباء والأدباء وتميزت رواتب وأعطيات الأطباء بشيء من البذخ وصرف الأموال وكان من أعظم الشخصيات الطبية شهرة واستفادة في العصر العباسي الأول هو الطبيب جبرائيل بن بختشيوع النصراني والذي خدم الرشيد والأمين والمأمون ويعتبر جبرائيل أكثر الأطباء الذين خدموا خلفاء بني العباس ثراء وعاش في منزله وبين أتباعه عيشة لم يتمتع مثلها أحد سوى الخلفاء [٢] .

فكانت الأموال تدر عليه من كل حدب وصوب كما تتساقط قطرات المطر بل أكثر وفيما يلي إحصاء بما كان يحصل عليه جبرائيل من المكاسب في الفترة التي خدم فيها الخليفة هارون الرشيد وهي ثلاثة وعشرين عاما حسب ما أوردته المصادر [٣] .

رزقه من بيت عامة المسلمين في كل شهر ١٠.٠٠٠ درهم أي في السنة ١٢٠.٠٠٠ درهم وفي مدة خدمته للرشيد وحده وهي ثلاثة وعشرين عاما يصبح ما كسبه ٢.٧٦٠.٠٠٠ درهم ونزله في الشهر ٥.٠٠٠ درهم أي في السنة ٦٠.٠٠٠ درهم وفي مدة ثلاثة وعشرين سنة يصبح ١.٣٨٠.٠٠٠ درهم ، أما رزقه من رسم دار الخلافة فكان يعطى في محرم من كل عام ٥٠.٠٠٠ درهم أي ١.١٥٠.٠٠٠ درهم في ثلاثة وعشرين عاما ، وصرفيات لشراء ثياب تقدر بـ ٥٠.٠٠٠ درهم في السنة أي ١.١٥٠.٠٠٠ درهم في ثلاثة وعشرين عاما ويدفع له في يوم صوم النصارى من كل عام ٥٠.٠٠٠ درهم أي

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

(٢) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٣٤٢ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٩-١٠٠ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٥٨-٦٠ .

١.١٥٠.٠٠٠ درهم وكذلك في يوم الشعانين – أحد أعياد النصارى – من كل عام تدفع له حاجيات بقيمة ١٠.٠٠٠ درهم أي ما يعادل ٢٣٠.٠٠٠ درهم في ثلاثة وعشرين سنة ويدفع له في يوم الفطر من كل عام ٥٠.٠٠٠ درهم أي ١.١٥٠.٠٠٠ درهم وثياب بقيمة ١٠.٠٠٠ درهم أي ٢٣٠.٠٠٠ درهم في ثلاثة وعشرين سنة ولفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة بـ ٥٠.٠٠٠ درهم أي ١٠٠.٠٠٠ درهم في السنة أي ما يعادل ٢.٣٠٠.٠٠٠ درهم ولشرب دواء الرشيد دفعتين في كل دفعة ٥٠.٠٠٠ درهم أي ١٠٠.٠٠٠ درهم في السنة الواحدة وهي بذلك ٢.٣٠٠.٠٠٠ درهم في ثلاثة وعشرين ويتقاضى إلى جانب راتبه من الرشيد راتبا من عيسى بن جعفر ٥٠.٠٠٠ درهم ومن زبيدة زوجة الرشيد ٥٠.٠٠٠ درهم ومن العباسة أخت الرشيد ٥٠.٠٠٠ درهم ومن إبراهيم بن عثمان ٣٠.٠٠٠ درهم ومن الفضل بن الربيع ٥٠.٠٠٠ درهم ومن فاطمة أم مُحَمَّد ٧٠.٠٠٠ درهم وكسوة وطيب ودواب تقدر بـ ١٠٠.٠٠٠ درهم كما كانت له إقطاعات قد أقطعها له الرشيد في جنديسابور والسوس والبصرة والسواد وكانت تدر عليه في السنة بـ ٨٠٠.٠٠٠ درهم أي في ثلاثة وعشرين عاما تساوي جميع هذه الأموال بـ ٢٧.٦٠٠.٠٠٠ درهم فيقدر ما حصل عليه جبرائيل وحده بـ ٣٧.٠٥٣.٠٠٠ درهم هذا عدا ما كان يتقاضاه مكافآت وأعطيات والتي تصرف له نظير خدماته .

وربما يكون هناك شيء من المبالغة في إعطاء الأرقام إلا أنها تؤكد الثراء والترف الذي عاشه جبرائيل في حياته والمكانة التي وصل إليها في قلب الرشيد .

كما كان للطبيب منكه الهندي راتبا يتقاضاه من الخليفة هارون الرشيد بعد ما عالجه وشفاه من علته ((وعالج الرشيد فبرأ من علته بعلاجه فأجرى عليه رزقا واسعا وأموالا كفاية)) [١] إلا أنه لم تذكر المصادر المبلغ الذي كان يتقاضاه منكه شهريا وكان جبرائيل كحال المأمون يتقاضى في الشهر ألف درهم ثم سقطت منزلته بعدما أفشى خبر نوم الخليفة عن غير قصد فأصبح يتقاضى من ذلك اليوم ١٥٠ درهم في الشهر [٢] وكان رزق ماسويه الخوزي من

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٣ ، ص٥٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٣٨ .

الوزير الفضل في كل شهر ٣٠٠ درهم وعلوفة دابتين وأعطاه منزلا ونفقة واسعة (١) وما إن اشتكى الرشيد من عينيه حتى أحضر الفضل طبيبه ماسويه فأبرأ الرشيد وأجرى له الرشيد راتبا شهريا مقداره ٢٠٠٠ درهم ومعونة في السنة عشرين ألف درهم وعلوفة ومنزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر من كان يخدمه من الأطباء وأصبح نظير جبرائيل إلا أنه دونه في الرزق وبعد حين أصبح نظير جبرائيل في الرزق والنزل والعلوفة والمرتبة ووسع نفقته عليه فبلغ المرتبة المشهورة نظير خدماته الجليلة (٢) ولا يعلم هل أن ماسويه كان يتقاضى نفس راتب جبرائيل لأنه أصبح نظيره في الرزق والنزل والعلوفة إلا أن المصادر لم تذكر أي تفاصيل عن ذلك .

ويذكر الرهاوي أن يوحنا بن ماسويه طبيب المملكة وأقره الناس أنه ما خدم ولد العباس قبله مثله (٣) وكذلك لم تذكر المصادر مقدار رزقه ولكنه بلا شك كان من الأطباء المقربين من خلفاء بني العباس .

كما بالغ بنو العباس في بذل الأعطيات التي كانوا يصلون بها أطباءهم والذين أصبحوا أحب الناس بعد أنفسهم فلم يكونوا أطباء فقط بل كانوا جلساء وندماء للخلفاء وهي صفة لم يتصف بها إلا ذو حظ عظيم .

فكانت منزلة جورجيس بن بختشيوع النصراني في نفس الخليفة المنصور فأحبه مثل نفسه ((كان حظيا عند المنصور رفيع المنزلة ونال من جهته أموالا جزيلة)) (٤) وأهدى المنصور إلى جورجيس ثلاث من الجواري الروميات مع ثلاثة آلاف من الدنانير وأمربحملهن إلى منزله وعندما علم جورجيس بالأمر رد الهداية إلى المنصور ليس تكبرا منه ولا انتقاصا من الخليفة وإنما قال : ((نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة ما دامت في

(١) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٣ ؛ ويذكر ابن أبي أصيبعه نقلا عن الرهاوي بأن رزق ماسويه من الفضل ٦٠٠ درهم والأصح رواية الرهاوي ما دام ابن أبي أصيبعه قد نقل عنه إلا أنه لم يكن دقيقا في نقل الرواية ، أنظر: عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٩ .

(٢) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٤ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٠ .

(٣) آداب الطبيب ، ص١٥٥ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ٣٧ .

الحياة لا نأخذ غيرها)) [١] فزاد موضعه في نفس المنصور وحسن موقعه وأمر في أن يدخل جورجيس إلى حظاياه وحرمه ويخدمهن [٢] كذلك أكرم المنصور إبراهيم الطبيب تلميذ جورجيس بعد أن لم يستطع جورجيس العودة إلى بغداد فقرب المنصور إبراهيم وأكرمه وخلع عليه ووهب له مالا واستخلصه لخدمته [٣] كما بالغ المهدي في إكرام أطبائه هو وزوجته الخيزران فعندما حملت بالهادي أرسلت ماءها مع إحدى الجواري فعرضته الجارية على إسرائيل الكبير الصيدلاني فرآه وأعلمها بأن هذا ماء امرأة حبلى بغلام فلما ولدت الخيزران الهادي وهبت له مائة خوان فالوذج ومائة ثوب وفرس بسرجه ولجامه [٤] ثم اختبر المهدي إسرائيل عندما حملت الخيزران بالرشيد فأجابه بنفس القول وما إن ولدت الرشيد حتى أكرمه المهدي ((فخلع عليه البدر والدنانير والدراهم حتى علت رأسه وكناه أبا قريش)) [٥] ولم يكن أحد الأطباء بمنزلة جبرائيل بن بختشيوع الذي كسب بالطب ما لم يكسبه أحد مثله فقد نجح جبرائيل في علاج إحدى جواري الرشيد فأمر له الرشيد في الحال بـ ٥٠٠.٠٠٠ درهم [٦] وكان جبرائيل مكرما ليس من الرشيد فحسب بل من جميع أهله وخواصه ، قال جبرائيل بن بختشيوع : ((اشتريت ضيعة بـ ٧٠٠.٠٠٠ درهم فنقدت بعض الثمن وتعذر علي بعضه فدخلت على يحيى بن خالد البرمكي وعنده ولداه وأنا أفكر فقال لي : مالي أراك مفكرا ؟ فقلت : اشتريت ضيعة بـ ٧٠٠.٠٠٠ درهم فنقدت بعض الثمن وتعذر علي بعضه فدعا بالدواة وكتب : يعطى جبرائيل ٧٠٠.٠٠٠ درهم ثم دفع إلى كل واحد من ولده فوقع فيه بـ ٣٠٠.٠٠٠ درهم فقلت : جعلت فداك قد أديت عامة الثمن وإنما بقي أقله ، قال : اصرف ذلك فيما ينوبك ثم صرت إلى دار المؤمنين فلما رآني قال : ما بطأ بك ؟ قلت يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك وإخوتك ففعلوا بي كذا وكذا وإنما ذلك لخدمتي لك قال : فما حالي أنا ؟ ثم دعا بدابته فركب إلى يحيى فقال : يا أبت خبرني جبرائيل بما كان فما حالي أنا

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤١ .

(٤) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٢٧-١٢٨ .

(٥) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٢٨ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٤ .

من بين ولدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مر بما شئت يحمل إليه فأمر لي بـ ٥٠٠.٠٠٠ درهم)) [١] وما إن تولى الأمين الخلافة حتى أكرم جبرائيل ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان الرشيد يهبها له وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه)) [٢] وقرب المأمون بعد توليه مقاليد الخلافة ميخائيل المتطبب صهر جبرائيل وجعله مكانه وأكرمه إكراما وافرا كيادا لجبرائيل ولولا مرض المأمون ونجاح جبرائيل في شفائه لبقي ميخائيل الطبيب مكانه فأمر المأمون لجبرائيل بألف ألف درهم وبألف كر حنطة ورد عليه سائر ما قبضه من الأملاك والضياع وصار إذا خاطبه كناه بـ أبي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه [٣] وكسب جبرائيل ثقة الخلفاء وحبهم له فوق كل الأموال والصلات .

وكسب يوحنا بن ماسويه من هبات الخلفاء وأعطياتهم ألف ألف درهم [٤] وكان سلمويه الطبيب سعيد الحظ لخدمته المعتصم فقد أكرمه إكراما يفوق الوصف وقلده المناصب [٥] غير أن المصادر التاريخية لم تشر إلى كمية الأعطيات ونوعيتها أو الأموال التي كانت تصل تصل إليه واستمر خلفاء بني العباس في إكرامهم للأطباء الماهرين المتقنين لصناعتهم والمتقين والذين يخافون الله في أعمالهم فحصل حنين بن إسحاق العبادي على الهدايا والأموال الكثيرة من الخليفة المتوكل بعد أن عفا عنه وأطلقه من سجنه الذي أوقعه به الأشرار وأصحاب المقاصد الدنيئة [٦] وبذلك فإن كرم الخلفاء العباسيين ليس له حدود معينة ولا سيما مع الأطباء والأشخاص المخلصين لهم .

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٥ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٩ .

(٤) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٤٩ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٦ .

(٦) أنظر : قصة حنين والمتوكل ، ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٥٦-١٥٩ .

الفصل الخامس : أشهر أطباء وبيمارستانات العصر العباسي الأول .

المبحث الأول : أشهر أطباء العصر العباسي الأول .

احتوى العصر العباسي الأول على كم هائل من الأطباء والمبدعين في المجال الطبي والعلمي والذين كانوا السبب الأساس في النهضة الطبية العالمية فيما بعد وبأي حال من الأحوال لا يمكن إحصاء أو إعطاء صورة كاملة وواضحة عن جميع أطباء تلك الحقبة الزمنية لقصر ما ذكرته عنهم كتب السير والتاريخ فاقتصرت في البحث والتفتيش عن الأطباء الذين برزوا في العصر العباسي الأول والذين اشتهروا بخدمتهم للخلفاء أو الأمراء العباسيين وبذلك فقد تناولت كبار العائلات الطبية الشهيرة ومن تميز معهم من الأطباء وسأبتدأ أولا بأسره آل بختشيوع .

أولا : أسرة آل بختشيوع .

١- جورجيس بن بختشيوع .

طبيب نصراني الديانة على خلق وأدب كبيرين (١) خبير بالطب والمداواة وأنواع العلاج خدم بصناعته الخليفة أبا جعفر المنصور وكان حظيا عنده رفيع المنزلة ونال منه أموالا جزيلة

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤١ .

وفضلا عن خدمته للمنصور بصناعة الطب فقد نقل له أيضا كتبا كثيرة من كتب اليونان إلى العربية [١] دخل بغداد سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م عندما أصيب الخليفة أبو جعفر المنصور بفساد في معدته وانقطاع شهوته للطعام وكان كلما عالجه الأطباء ازداد مرضه فجمع له الأطباء ليتعرف منهم على طبيب ماهر فقالوا له : ((ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس رئيس أطباء جنديسابور فإنه ماهر في الطب)) [٢] ، فأمر بإحضاره ولما وصل إلى حضرة الخليفة دعا له بالفارسية والعربية فتعجب المنصور من حسن منظره ومنطقه فحدثه عن علته فقال له جورجيس : ((أنا أدبرك كما تحب)) [٣] فأمر الخليفة له في الحال بخلع جليلة وأمر وزيره الربيع بإنزال جورجيس في منزل جليل من دوره وإكرامه كما يكرم أخص أهله وأمر بأن يجاب إلى كل ما يسأل [٤] وكما ذكرت بأن جورجيس كان يتصف بالأخلاق الحميدة والصفات الجيدة فأوصلته تلك المزايا إلى موقع جليل في نفس المنصور فكان يدخل إلى نساء الخليفة وحظاياه ويخدمهن [٥] ولما مرض جورجيس أمر المنصور بأن يحمل على سرير إلى دار العامة وخرج إليه الخليفة ماشيا فسأله جورجيس بأن يعود إلى بلده فأمر المنصور بإعادته إلى بلاده وأعطاه عشرة ألف دينار وذلك في سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م أي أنه خدم المنصور أربع سنوات [٦] ولجورجيس من الكتب كناشة المشهور الذي ترجمه حنين بن إسحاق إلى العربية [٧] ويرى الدكتور كمال السامرائي : بأن دخول جورجيس إلى بغداد هي الشرارة التي أوقدت النهضة الطبية عند العرب في العصر العباسي الأول وأن هذا الطبيب قد لفت نظر المنصور إلى الاهتمام بموضوع الطب وترجمة الكتب إلى العربية ليقرأها كل من يريد تعلم صناعة الطب [٨] .

٢- بختشيوع بن جورجيس .

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٨ .
(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨ .
(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١١٠-١١١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٩-٤٠ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤١ .
(٨) مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٣٣٦ .

هو بختشيوع بن جورجيس بن بختشيوع الطبيب النصراني من عائلة عريقة اشتهرت بصناعة الطب ، خدم الخلفاء العباسيين وكان مقيما في مارستان جنديسابور عندما قدم والده جورجيس إلى بغداد سنة ١٤٨هـ لعلاج الخليفة أبو جعفر المنصور [١] ويذكر ابن جلجل عنه قائلا : ((طبيب مسيحي المذهب كان في أيام أبي العباس وصحبه وعالجه وكان جليلا في صناعة الطب موقرا ببغداد لعلمه وصحبته للخليفة)) [٢] ويشير ابن جلجل إليه في في مكان آخر قائلا : ((وله تصانيف في الطب ... وخدم المنصور بالله)) [٣] وهناك خلط واضح في ترجمة ابن جلجل لبختشيوع فتارة يضعه في خدمة أبو العباس السفاح وتارة أخرى يضعه في خدمة أبو جعفر المنصور والصحيح أن بختشيوع لم يخدم أي من الخليفتين ؟

استدعي بختشيوع أول مرة إلى بغداد في أيام الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) عندما مرض ولده موسى الهادي فعالجه بختشيوع وبرأ فعز على الخيزران زوجة المهدي استدعاء الخليفة بختشيوع وعدم طلبه لطبيبها أبي قريش فأخذت هي وأبو قريش في مناكدة بختشيوع ومعاداته فعلم المهدي بأفعالهما فأمر بإعادة بختشيوع إلى جنديسابور [٤] فأقام في مارستانها حتى عاد إلى بغداد وللمرة الثانية سنة ١٧١هـ/٧٨٧م وبطلب من الخليفة هارون الرشيد بعد ما أصابه صداع شديد فدخل على الرشيد فأكرمه وخلع عليه خلعة سنية ووهب له مالا وافرا وقلده منصب رئيس الأطباء وقال له : ((تكون رئيس الأطباء ولك يسمعون ويطيعون)) [٥] .

وهكذا نرى أن بختشيوع لم يخدم السفاح ولا المنصور حسب رواية ابن جلجل وإنما خدم المهدي والرشيد .

٣- جبرائيل بن بختشيوع .

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٧١ .

(٢) طبقات الأطباء ، ص٦٣ .

(٣) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٤ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧١-٧٢ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٧٢ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر مختصر الدول ، ص١٣٠ .

أبو عيسى جبرائيل بن بختشيوع بن جورجيس بن بختشيوع الجنديسابوري الطبيب النصراني الحاذق بصناعة الطب وهو من عائلة طبية عريقة [١] خدم الرشيد ومن بعده من الخلفاء وحل محل أبيه عند خلفاء بني العباس [٢] وكان دخوله إلى بغداد سنة ١٧٥هـ/٧٩١م عندما مرض جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي فطلب الرشيد من بختشيوع أن يخدم جعفر وذلك أن من آداب الطبيب إذا كان خاصا بالملك لا يخدم أحدا من أصحابه إلا بأمره [٣] وما أن شفي جعفر من علته قال لبختشيوع : أريد أن تختار لي طبيبا ماهرا أكرمه وأحسن إليه ، فقال بختشيوع : لست أعرف في هؤلاء أحذق من ابني جبرائيل وهو أمهر مني في الصناعة ! فقال له جعفر : أحضره لي ، وما أن حضر حتى اشتكى إليه جعفر مرضا كان يخفيه فدبره في ثلاثة أيام وبرأ فأحبه جعفر مثل نفسه وكان لا يصبر عنه ساعة ومعه يأكل ويشرب [٤] ولجبرائيل نوادر وطرائف في الطب ففي أحد الأيام تمطيت إحدى حظايا الرشيد ورفعت يدها فبقيت مرتفعة ولا يمكنها ردها إلى أسفل وعجز الأطباء عن شفائها وبكافة الطرق فقال الرشيد لجعفر : قد بليت هذه الصبية بعلتها ؟ فقال له جعفر : لي طبيب ماهر وهو ابن بختشيوع تدعوه وتخاطبه في مرضها فلعل عنده حيلة في علاجها ، فأمر الرشيد بإحضاره ، وما أن حضر حتى قال له الرشيد : ما اسمك ؟ قال : جبرائيل ، قال : أي شيء تعرف من الطب ؟ قال : أبرد الحار وأسخن البارد وأرطب اليابس وأجفف الرطب الخارج عن الطبع ، فضحك الرشيد وقال : هذه غاية ما يحتاج إليه في صناعة الطب ثم شرح له حال الصبية ، فقال جبرائيل : إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة ، قال له الرشيد : ما هي ، قال : تخرج الجارية إلى هاهنا وبحضرة الجميع حتى أعمل ما أريد وتمهل ولا تعجل بالسخط فأمر الرشيد بإحضارها فخرجت وحينما رآها جبرائيل أسرع إليها ونكس رأسه وأمسك ذيل ثوبها يريد أن يكشفها فانزعجت الجارية من شدة الحياء واسترسلت أعضائها وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت بثوبها فقال جبرائيل : قد برأت يا أمير المؤمنين

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٣ .
(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٣ .
(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٤ .

فعجب الرشيد وكل من كان حاضرا معه [(١)] وكان محل جبرائيل عظيما في نفس الرشيد ومكانته تقوى في كل وقت حتى أن الرشيد قال : ((كل من كانت له حاجة إليّ فليخاطب بها جبرائيل لأني أفعل كل ما يسأله ويطلبه مني)) [(٢)] فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم [(٣)] وتعرض جبرائيل للعديد من النكبات رغم مكانته العظيمة في قصر الخلافة ولكن ما إن مرض الرشيد بطوس وقوي عليه المرض قال لجبرائيل : ((لم لا تبرئني ؟ قال له : قد كنت أنهاك دائما عن التخليط وكثرة الجماع ولا تسمع مني والآن سألتك أن ترجع إلى بلدك فإنه أوفق لمزاجك فلم تقبل وهذا مرض شديد وأرجو أن يمن الله بعافيتك)) [(٤)] فأمر الرشيد بسجنه وزاد في الأمر سوءا أن أسقف بأرض فارس قد عالج الرشيد وقال له : إن الذي عالجك لم يكن يفهم الطب فزاد في إبعاد جبرائيل وكان الأسقف يعالجه ويزداد مرض الرشيد ويقول له : إن هذا المرض كله من خطأ جبرائيل فاغتاظ الرشيد وأمر الفضل بن الربيع بقتله ولكنه لم يفعل لعلمه بأن الأسقف كاذب ولمنزلة جبرائيل من نفس الرشيد وأنه متأكد من وفاته فاستبقى جبرائيل وتوفي الرشيد بعد عدة أيام سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م [(٥)] ، كما خدم جبرائيل الخليفة مُحَمَّد الأمين أكرمه ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان الرشيد يهبها له وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه [(٦)] وما إن تولى عبد الله المأمون الخلافة حتى نكب جبرائيل وأمر بحبسه رغم تشفعات وزيره الحسن بن سهل له خصوصا بعد أن عالجه جبرائيل وشفي على يديه إلا أن المأمون لم يصفح عن جبرائيل بل قرب صهره ميخائيل الطبيب وجعله مكانه وأكرمه إكراما وافرا كيادا لجبرائيل [(٧)] وفي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م مرض المأمون مرضا صعبا وعجز كافة أطبائه عن علاجه فنصحه إخوته بأن يخرج جبرائيل من سجنه ويعالجه ففعل وبرئ المأمون بعد ثلاثة أيام وصلح بدنه صلاحا تاما فرد المأمون إليه سائر ما

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٤ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٣ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٣١ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٩٨ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٥ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٥ .

(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٨-٩٩ .

قبضه منه من أملاك وأموال ووهب له ألف ألف درهم وكناه أبا عيسى [١] وتوفي جبرائيل سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م بعد أن أصيب بمرض صعب فحزن عليه المأمون حزنا شديدا [٢] وكان جبرائيل من أحظى الأطباء وأوفرهم مالا وأعزهم نفوذا وقد خلف ثروة عظيمة كما كان له ، فضلا عن الثروة المالية ثروة علمية وعقلية فكتب رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب وكتاب في الباه ورسالة مختصرة في الطب [٣] .

ثانيا : أسرة آل ماسوية .

١- ماسويه الخوزي .

ماسوية الخوزي أعجمي اللسان بصير بالعلاج كثير التجارب وكان لا يقرأ ولا يعرف باللغات إلا أنه كان بارعا بالأمراض وعلاجها ، بصيرا بها وهو أعلم خلق الله بانتقاء الأدوية واختيار جيدها ونفي رديئها وهو أحد تلاميذ جنديسابور وبقي عاملا فيها مدة ثلاثين عاما [٤] وما إن وصل جبرائيل إلى بغداد وحل من الخلفاء المنزلة والتقدير والجاه حتى قال : ((هذا جبرائيل قد بلغ الصكاك ونحن في المارستان لا نتجاوزه)) [٥] فبلغ قوله هذا إلى جبرائيل وكان المارستان عائدا له فأمر بإخراج ماسويه منه وقطع راتبه ، فسار ماسويه إلى مدينة السلام ليعتذر لجبرائيل ويخضع له ، فلم يزل عل بابه دهرا طويلا ولم يأذن له جبرائيل فإذا ركب كلمه واستعطفه فلا يرد عليه جبرائيل [٦] وضاق الأمر بماسويه حتى ذهب إلى دار الروم بالجانب الشرقي من بغداد فقال للقس : ((أعطني بعض الأشياء ابتاعها حتى انصرف إلى بلدي فإن أبا عيسى ليس يرضى عني ولا يكلمني . فقال له القس : أنت في المارستان ولا تحسن شيئا من الطب ؟ قال ماسويه: والله أطب وأكحل وأعالج الجراحات ! فأخرج له القس صندوقا وأعطاه إياه ليداوي به وأجلسه بباب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع وبدأ يتكسب من الطب شيئا فشيئا حتى حسنت حالته واشتكت عين خادم الفضل وعجز الكحالين عن علاجه بعد أن وصفوا له أنواع العلاجات المختلفة واشتد به الوجع حتى عدم النوم فخرج ذات ليلة هائما من الضجر فرأى ماسويه فقال له

(١) المصدر نفسه ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٦ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٩٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٦٢ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٠-١٢٢ .

(٥) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٥٢ .

: يا شيخ ما تضع هنا إن كنت تحسن من الطب شيئا فعالجني وإلا فقم من هنا. فقال : يا سيدي أحسن وأجيد فعالجه وبرئ وأعطاه الخادم عدة أشياء ولم تمض أيام حتى اشتكى الفضل من ألم في عينه فأنفذ الرشيد إليه بأفضل الكحالين ولم

ينجحوا في علاجه فأوصل له خادمه ماسويه وعالجه وبرئ [1] فأجرى الفضل عليه رزقا ٣٠٠ درهم في الشهر وأمره بأن يحمل عياله من جنديسابور إلى بغداد ويوحنا كان فيهم وهو لا يزال صبيا [2] ونجح ماسويه في علاج عيني الرشيد حينما اشتكى منها فأخبره الفضل بقصته وقصة خادمه فأمر بإحضاره فقال له الرشيد : أتحسن شيئا من الطب سوى الكحل ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وكيف لا أحسن وأنا قد خدمت المرضى بالمارستان ٣٠ عاما فدنا ونظر في عيني الرشيد وقال : الحجام الساعة فحجمه في ساقيه وقطر في عينيه فبرأ الرشيد بعد يومين فأجرى له في الشهر ٢٠٠٠ درهم [3] ومعونة في السنة ٢٠.٠٠٠ درهم وعلوفه ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر من كان في خدمته من الأطباء [4] وكان لماسويه ولدان ولدان هما يوحنا وميخائيل [5] ولم يترك ماسويه أي مؤلف طبي كما لا تعرف سنة وفاته .

٢- يوحنا بن ماسويه .

أبو زكريا يوحنا بن ماسويه الخوزي [6] طبيب ذكي فاضل خبير بصناعة الطب وله كلام جيد وتصانيف مشهورة كان مبجلا حظيا عند الخلفاء والأمراء وأكتسب من صناعة الطب ما لم يكسبه أحد [7] ويذكر ابن جلجل في ترجمته ليوحنا : ((كان يوحنا سرياني المذهب مسيحي الملة وخدم من الخلفاء هارون الرشيد والأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته فكان يقف

(١) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢-١٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٣ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٨ .
(٣) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٤ .
(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٩ .
(٥) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٤ .
(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ .
(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٤٩ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٤ .

على رؤوسهم ومعه الأواني بالجوارشانات الهامة [1] وعلى ما يبدو أن ابن جلجل قد وقع في خطأ تاريخي عندما وضع الرشيد ضمن الخلفاء الذين خدمهم يوحنا والصحيح ما ذكره ابن النديم عند ترجمته ليوحنا حين قال : ((إن يوحنا خدم بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل)) [2] وأسقط الرشيد والأمين وكذلك نرى في ترجمة ماسويه والد يوحنا وجدناه قد وصل إلى بغداد في عصر الرشيد ولم يكن في بادئ الأمر معه أحد إلى أن عالج عين الفضل بن الربيع وزير الرشيد وأمره بأن يحمل عياله من جنديسابور ويوحنا كان معهم وهو لا يزال صبيا [3] وقد نقلا رواية ابن جلجل كل من القفطي وابن أبي أصيبعه ولم يدققا الرواية بل أخذاها بشكل قطعي وهذا الأمر مغلوط .

كان ليوحنا مجلس طبي من أعمر مجالس مدينة السلام فكان يجتمع فيه كل صنف من أصناف العلم والأدب وكان في يوحنا دعابة شديدة وضيقة صدر فكان يحضر بعضهم من أجلها كما كان هناك وقت في مجلسه مخصص للنظر في قوارير المياه ومن أبرز الذين حضروا مجالسه حنين بن إسحاق العبادي والذي طرده يوحنا من مجلسه بعد أن ضاق صدره به من كثرة أسئلته [4] ومن نوادر يوحنا أنه قدم إليه قس كنيسة وقال له : قد فسدت علي معدتي ، فبدأ يوحنا يصف له الأدوية الواحد بعد الآخر والقس يقول له : قد أكلت من ذاك أرطالا وشربت من ذلك جرارا ، فغضب يوحنا من قول القس وقال له : إن أردت أن تبرأ فأسلم فإن الإسلام يصلح المعدة [5] .

وعلى الرغم من أن يوحنا كان طبيبا فإنه كان شماسا لقومه إلا أنه لم يكن ملتزما بدين أهله وملته فاتخذ الجواري والزينة على عكس ما كان يفعله الباقون من الشماسين [6] ويعتبر يوحنا بن ماسويه أول طبيب في العصر العباسي الأول يقوم بالتشريح المقارن فإنه أول من قام

---

(١) طبقات الأطباء ، ص٦٥ .

(٢) الفهرست ، ص٣٥٤ .

(٣) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٤ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥٢ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٥ .

(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥٣ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٦ .

بتشريح القردة وكتب في أعضائها [(١)] ويتهم يوحنا بن ماسويه باقتراف أعمال لا تمت إلى أخلاق الأطباء فإنه قد اتهم في قتل الخليفة عبد الله المأمون بوصية من ولي عهده المعتصم بعد أن فتح جرحا في المأمون قبل أن يبرأ فأدى ذلك إلى وفاته [(٢)] كما يتهم بقتل ابنه ماسويه الصغير الذي كان بليد العقل ولا يكاد يفهم شيئا إلا بعد فترة طويلة وكان ماسويه حفيد الطيفوري المتطبب ويوحنا كان يبغضه أشد البغض إلا أنه كان يظهر المودة له خوفا من آل الطيفوري وعندما اعتل ماسويه الصغير رأى يوحنا فصده بينما رأى الطيفوري غير ذلك ففصده يوحنا وخرج في اليوم الثاني مع المأمون إلى الشام فمات ماسويه الصغير في اليوم الثالث فكان الطيفوري وأولاده يحلفون في جنازته أن يوحنا قد تعمد قتله [(٣)] خصوصا وأن يوحنا قد قال : ((ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني ذا حيا مثل ما كان جالينوس يشرح الناس والقرود فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته وأريح الدنيا من خلقته وأكسب أهلي بما أضعه في كتابي)) [(٤)] ويذكر ابن أبي أصيبعه أصيبعه أنما فعل يوحنا ذلك لكونه عديم المروءة والدين والأمانة وكان على غير ملة الإسلام وليس له تمسك بدينه ولمن ليس له دين يمسك به ويعتقد به فالواجب أن لا يدانيه العاقل ولا يركن إليه حازم [(٥)] .

وأنا أرى أن يوحنا لم يكن متعمدا في قتل ابنه إلا إذا كان عديم الرحمة والشفقة كما أن هناك دسا واضحا في قصة قتل المأمون وذلك عندما يطلب المعتصم من يوحنا قتله وهذا أمر غير وارد وربما يكون قد أخطأ في علاج المأمون مثل خطئه في علاج ابنه أو أنه أراد أن يبتكر طريقة جديدة في العلاج فلا يعقل أن يتآمر المعتصم مع يوحنا لقتل المأمون وبعد فترة يأمن المعتصم على نفسه ويتخذ يوحنا طبيبا له بعد وفاة سلمويه فعندما شارف سلمويه على الموت قال له المعتصم : ((تشير علي بعدك بما يصلحني ؟ فقال سلمويه : يعز علي بك يا

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٢ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٥ .

سيدي ولكن عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه)) (١) فجعله المعتصم طبيبه الخاص بعد وفاة سلمويه فكيف يتفق المعتصم مع يوحنا على قتل المأمون ويأمنه بعد ذلك على نفسه وهذا أمر غير صحيح وإنما الغرض منه هو بيان روح الخلافات والنزاعات بين الإخوة على السلطة والجاه ، توفي يوحنا بن ماسويه في خلافة المتوكل بسر من رأى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م وله من المؤلفات الطبية الكثير منها كتاب البرهان وكتاب البصيرة وكتاب في الأغذية وكتاب في الأشربة وكتاب في الجذام وكتاب تركيب الأدوية المسهلة وكتاب في السموم وكتاب في الصداع وكتاب لم امتنع الأطباء من علاج الحوامل وكتاب في التشريح وكتاب النوادر الطبية وكتاب تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ومعرفة أسباب الأوجاع ألفه للخليفة عبد الله المأمون وكتاب المناخولي وكتاب جامع الطب مما أجمع عليه أطباء فارس والروم (٢) وكتاب محنة الطبيب وكتاب الفصد والحجامة وغيرها العديد من المؤلفات العظيمة (٣) .

٣- ميخائيل بن ماسويه .

أخو يوحنا بن ماسويه اتصف بأنه لا يحتج في شيء يقوله بحجة ولا يوافق أحد من المتطببين في شيء ولم يستعمله الأوائل (٤) فسأل ذات مرة عن الموز ؟ فقال : لم أر له ذكرا في كتب الأوائل وما كانت هذه حاله لم أقدم على أكله ولا على إطعامه للناس (٥) وكان أحد أطباء الخليفة عبد الله المأمون وكان معجبا به ويقدمه على جبرائيل بن بختشيوع (٦) وكان وكان ميخائيل لا يسقي دواء لأحد إلا مما تولى تركيبه وإصلاحه بنفسه وكان مقدرا مبجلا عند جميع المتطببين في مدينة السلام (٧) ولم يذكر أن له مؤلفا طبيا كما لا تعرف له سنة ولادة أو وفاة .

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤١ .
(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٦-١٣٧ .
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ .
(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٧ .
(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢١٦ .
(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٧ .
(٧) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢١٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٧ .

ثالثا : أسرة آل الطيفوري .

١- عبد اللّه الطيفوري .

طبيب ماهر بصناعة الطب مقدما فاضلا خادما للخلفاء حسن العقل والتدبير طيب الحديث وفي كلامه لكنة سواديه [١] ، كان من أحظى خلق الله عند الخليفة موسى الهادي حتى أنه قال في الهادي : لم يكن أحسن من الهادي وجها وصمتا ولطفا ومبسما [٢] وكان عبد الله قد خدم الطيفوري أخو الخيزران وقد أرسله الطيفوري إلى أخته الخيزران عندما حملت بموسى الهادي فبعثت إليه بمائها حتى يراه فقال لها : إن الماء يدل على أنك حامل ، أما تميز الغلام فذلك ما لا أقوله [٣] ولقب عبد الله بالطيفوري نسبة إلى أخو الخيزران لأنه كان طبيبه طبيبه الخاص [٤] ولا يعرف للطيفوري أي مؤلف طبي كما لا يعرف له سنة ولادة أو وفاة .

٢- زكريا بن الطيفوري .

زكريا بن عبد الله الطيفوري من الأطباء الجيدين كان في خدمة الأفشين قائد المعتصم ومنقطع إليه في خدمته ، وكان هو القائم بامتحان الصيادلة في معسكر الأفشين عندما أشار إليه بتوجيه عدة أسماء إلى حوانيت الصيادلة يطلبها منهم لكي يعرف منهم الناصح من غيره ومن له دين ومن لا دين له مذكرا الأفشين بامتحان المأمون لهم ففعل الأفشين وبعث العديد من الأسماء فبعضهم أنكر معرفته بها والبعض الآخر أرسل أشياء من حانوته فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة وكتب لمن أنكر معرفته بتلك الأسماء منشورا يأذن فيه لهم بالمقام في

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٥ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٨٦ .

(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤٨ .

معسكره ونفى الباقين وأباحه دمهم [١] ولم يعرف لزكريا أي مؤلف طبي كما لم تذكر له سنة وفاة أو ولادة .

٣- إسرائيل بن الطيفوري .

إسرائيل بن زكريا بن عبد الله الطيفوري من عائلة طبية كبيرة مقدما في صناعة الطب جليل القدر عند الخلفاء والأمراء كثير الاحترام له اختص بخدمة الفتح بن خاقان [٢] وليس له أي مؤلف طبي .

رابعا : أسرة آل سهل .

١- سهل الكوسج .

أبو سابور صاحب الأقراباذين المشهورة من أهل الأهواز ، عالم بالطب إلا أنه دون أبنائه في العلم ، وكان ذا لكنة خوزية ، كثير الهزل فغلب هزله جده وكان متى اجتمع مع يوحنا بن ماسويه وجبرائيل بن بختشيوع وعيسى بن الحكم وزكريا بن الطيفوري وغيرهم من طبقة الأطباء قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج [٣] وكان كل أطباء مدينة السلام يخشون لسانه لطول كان فيه وبذاءة وله دعابات ومن دعاباته أنه خرج يوم الشعانين يريد دير الجاثليق والمواضع التي تخرج إليها النصارى في ذلك اليوم فرأى يوحنا بن ماسويه في أحسن هيئته وعلى دابة أفضل من دابته ومعه غلمان فحسده على الظاهر من نعمته فسار إلى صاحب مسلحة الناحية وقال له : إن ابني يعقني وقد أعجبته نفسه وربما أخرجه العجب بنفسه ونعمته إلى جحود أبوتي وإن أنت بطحته وضربته عشرين سوطا موجعا أعطيتك عشرين دينارا ثم أخرج الدنانير ودفعها إلى الرجل فوثق به صاحب المسلحة ثم اعتزل ناحية إلى أن بلغ يوحنا إلى الموضع الذي فيه الجندي فقدمه إليه وقال : هذا ابني يعقني ويستخف بي فجحد أن يكون ابني فلم يكلمه صاحب المسلحة حتى بطح يوحنا أرضا وضربه عشرين

(١) المصدر نفسه ، ص١٢٨-١٢٩ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٩٢-٩٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٨ .

سوطا موجعا [١] ، توفي سهل الكوسج قبل وفاة المأمون بشهرين أي في سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م [٢] ولم يكن له أي مؤلف طبي .

٢- سابور بن سهل .

سابور بن سهل الكوسج طبيب فاضل متقدم في صناعة الطب عالم بقوى الأدوية المفردة والمركبة وطرق تركيبها كان ملازما لمارستان جنديسابور [٣] قدم إلى بغداد في عهد المتوكل ودخل في خدمته وله عدة مصنفات منها كتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها وكتاب الرد على حنين في كتاب الفرق بين الغذاء والدواء المسهل وكتاب القول في النوم واليقظة وكتاب إبدال الأدوية [٤] وكتاب الأقراباذين الكبير وهو الكتاب المعمول به في المارستان ودكاكين الصيادلة في ذلك الوقت [٥] توفي سابور في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م [٦] .

٣- إسرائيل بن سهل .

هو إسرائيل بن سهل الكوسج كان مقدما في صناعة الطب حسن العلاج والتدبير خبيرا بتركيب الأدوية وله عدة تصانيف أشهرها كتاب في الترياق وقد أجاد في عمله وبالغ في تأليفه [٧] ، لا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة .

خامسا : الأطباء الهنود .

١- منكه الهندي .

لا يعرف عن اسمه أكثر من ذلك من أطباء الهند ، عالم بصناعة الطب حسن المعالجة والتدبير فيلسوف متقن للغة الهندية والفارسية وكان له دور في نقل كتب الهند الطبية إلى اللغة

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٩-١٠٠ .
(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٣٤ .
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥٥ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٠ .
(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٤١ .
(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٠ .

الفارسية [(١)] قدم إلى بغداد بطلب من الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بعدما اعتل علة صعبة وعجز الأطباء عن علاجه فأرسل إليه الرشيد من يحمله وإيصاله إليه وأوصله بصلة تعينه على سفره فوصل إلى بغداد وعالج الرشيد من علته فأجرى الرشيد عليه رزقا واسعا وأموالا كثيرة [(٢)] ولا يعرف عنه الكثير فلا يعرف عن تاريخ ولادته أو وفاته أو أي مؤلف طبي .

٢- صالح بن بهلة .

طبيب مذكور في أيام الرشيد [(٣)] ومن علماء الهند ، كان خبيرا بالمعالجات والأدوية حسن الإصابة وله قوة وإنذارات في تقدم المعرفة الطبية [(٤)] كان صالح أعلم أهل زمانه في الطب على الطريقة الهندية في المعالجة كعلم جبرائيل بطريقة أهل اليونان في الطب [(٥)] ، نجح صالح في إرضاء الخليفة الرشيد فصار أحد القائمين على مأكله ومشربه كما عالج الأمير إبراهيم بن صالح من مرض خطير وتشافى على يديه بعد أن يئس منه كافة الأطباء وأكدوا موته [(٦)] ويرى الدكتور كمال السامرائي أن اسمه الأول أي صالح هو اسم عربي فقد يكون قد قد ولد في جنديسابور الإسلامية فاكتسب اسم صالح أو أنه أسلم في بغداد فخلع عليه هذا الاسم [(٧)] ولم تذكر المصادر التاريخية سنة ولادة أو وفاة كما لم تذكر له أي مؤلف طبي .

سادسا : الأطباء الآخرين .

١- حنين بن إسحاق .

أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي [(٨)] والعباد ينتسبون إلى عبادة بالحيرة وهي مجموعة بطون من قبائل شتى نزلوا بالحيرة وكانوا من النصارى [(١)] من كبار الأطباء وإمام الطب في

(١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٥١ .
(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٣ ، ص٥٢ .
(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤٥ .
(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٣ ، ص٥٢ .
(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٤٥-١٤٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٣ ، ص٥٢-٥٣ .
(٧) مختصر تاريخ الطب ، ج١ ، ص٣٥٧ .
(٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢١٨ .

وقته فاضلا فيه عالما بأنواع الأمراض وعلاجاتها [٢] ولد حنين سنة ١٩٤هـ/٨١٠م [٣] من أب صيدلاني كان يعمل في الحيرة فنشأ حنين منذ الصغر محبا للعلم وأهله [٤] ولم تكن شهرة حنين بن إسحاق كطبيب فحسب بل كان من أشهر التراجمة في العصر العباسي الأول فيذكره ابن صاعد الأندلسي بقوله : ((أبو زيد حنين بن إسحاق أحد أئمة التراجمة في الإسلام)) [٥] كما يذكره مرة أخرى فيقول : ((إن حذاق التراجمة في الإسلام أربعة حنين بن إسحاق ويعقوب بن إسحاق الكندي وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري)) [٦] ولفصاحة حنين باللغات المختلفة فقد عينه الخليفة عبد الله المأمون رئيسا لديوان الترجمة وبذل له الأموال والأعطيات وجعل بين يديه أفضل المترجمين وباللغات يترجمون ويتصفح هو ما يترجموه ويصلح فيما يراه خطأ [٧] فكان حنين عالما باللغات الأربعة العربية والسريانية واليونانية والفارسية ومتقننا لها [٨] تعلم حنين صناعة الطب على يد الطبيب يوحنا بن ماسويه فكان يحضر مجلسه والذي كان أعمر مجالس التعليم الطبي في مدينة السلام فكان يجتمع فيه كل صنوف أهل العلم والأدب [٩] وقد كان حنين صاحب سؤال كثير تصعب بعضها على يوحنا الإجابة عنها مما ضاق صدره بحنين فطرده من مجلسه [١٠] إلا أنه بعد سنين وبعد أن اشتهر حنين بالترجمة عادا وتصالحا ودرس بعد ذلك حنين على يد يوحنا صناعة الطب [١١] فلازم حنين يوحنا بن ماسويه وتتلمذ على يديه واشتغل بصناعة الطب

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٠٦ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٠ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٤ .

(٥) طبقات الأمم ، ص٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٧) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص٦٩ .

(٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ .

(٩) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٠ .

(١٠) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٠ .

(١١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٢ .

ونقل حنين لابن ماسويه كتبا كثيرة من كتب جالينوس بعضها إلى العربية والبعض الآخر إلى السريانية [١] .

ومن قصص حنين بن إسحاق مع الخلفاء العباسيين قصته مع الخليفة عبد الله المأمون حينما طلب من حنين صناعة دواء قتال لتصفية بعض من خصومه فامتنع حنين عن ذلك فسجنه المأمون سنة ثم أعاد عليه طلبه بوصفه للدواء فلم يجبه حنين إلى غايته ولم يصف له الدواء فهدده المأمون بأشد العذاب والقتل فلم يجبه حنين ورضي بحكم الموت فضحك عندئذ المأمون وأمنه على حياته وقال هذا من باب الامتحان لأمانته وأهدى له الهدايا والأعطيات ولم يكن المأمون بحاجة إلى هذا الدواء [٢] ويتضح من ذلك أن حنين بن إسحاق كان على خلق كبير وأمانة عالية لصون شرف مهنة الطب فلم يخيفه العذاب ولا الموت وأصر على موقفه .

كما خدم حنين بصناعته الخليفة المتوكل على الله العباسي وكان حظيا عنده إلا أنه قد لحقه عدة نكبات في عهده بسبب حسد الأطباء والحاشية له فأوغلوا صدر المتوكل عليه فسجنه وعذبه وسلبت أملاكه وكاد أن يقتل بسبب حقد الحساد عليه [٣] ويذكر ابن جلجل جلجل أن حنين قد مات في سجنه من الغم والهم والحسرة في عهد المتوكل أو أنه قد سقى نفسه سما [٤] أما باقي المصادر فتذكر بأن وفاة حنين كانت في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م [٥] [٥] أي أنه لم يتوف في خلافة المتوكل (٢٣٤-٢٤٧هـ/٨٤٨-٨٦١م) بل عاش من العمر الطويل حتى توفي في خلافة المعتمد بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م) وهذا خطأ يحسب على ابن جلجل والقفطي الذي نقل عنه الرواية .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢١ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٨-١٥٠ .

(٤) طبقات الأطباء ، ص٧٠ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٩ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٢ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢١٨ .

وكان لحنين ولدان هما داود وإسحاق وقد صنف لهما حنين العديد من المصنفات الطبية التعليمية ونقل لهما كتبا أخرى من كتب اليونان فأما داود فلم تكن له شهرة في الطب ولا في الترجمة ولم يكن له سوى كناش واحد (١) أما إسحاق فإنه تميز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة وكان بارعا في النقل والترجمة من اللسان اليوناني إلى اللغة العربية إلا أنه كان مهتما بنقل كتب الحكمة أكثر من اهتمامه بنقل كتب الطب (٢) .

ولحنين بن إسحاق العديد من المؤلفات الطبية الهامة نذكر منها كتاب العشر مقالات في العين ، كتاب العين عن طريق المسألة والجواب ، كتاب الترياق ، كتاب الأدوية المفردة وكتاب في النبض ، كتاب في الحميات ، كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجاتها ، كتاب حالات الأعضاء ، كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر عن طريق السؤال والجواب ، كتاب امتحان الأطباء ، كتاب طبائع الأغذية وتدبير الأبدان ، كتاب المدخل إلى صناعة الطب (٣) ، كتاب المسائل في الطب للمتعلمين ، كتاب اختيار أدوية علل العين وغيرها الكثير من المصنفات الطبية (٤) وبحق يمكن اعتبار حنين بن إسحاق أعظم شخصية طبية وعلمية في العصر العباسي الأول فهو من ناحية أكبر الأطباء وأشهرهم ومنا ناحية أخرى هو كبير النقلة والمترجمين في ذلك العصر .

٢- سلمويه .

لا يعرف عن اسمه أكثر من ذلك طبيب فاضل وأعلم أهل زمانه بصناعة الطب ، نصراني الملة دخل في خدمة المعتصم سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م بعد أن اختاره المعتصم لنفسه وأكرمه إكراما يفوق الوصف فكان يرد إلى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط يده وكان كل ما يرد من الأوامر إلى القادة من خروج أو توقيعات من حضرة الخليفة فبخط سلمويه (٥) وقال المعتصم فيه : ((سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة لأن

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٨ .
(٢) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٠-١٦٤ .
(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٩ .
(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٦ .

هذا يحكم في مالي وهذا يحكم في نفسي ونفسي أشرف من مالي وملكي)) [١] ولما مرض سلمويه أمر المعتصم ولده أن يعوده [٢] وقال : ((أنا أعلم وأتيقن أني لا أعيش بعده لأنه كان يراعي حياتي ويدير جسمي)) [٣] ولم يعش بعده المعتصم مدة طويلة [٤] .

وعند مرض سلمويه قال له المعتصم : ((تشير عليّ بعدك بما يصلحني ؟ فقال سلمويه : يعز عليّ بك يا سيدي ولكن عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه وإذا شكوت إليه شيئا فقد يصف فيه أوصافا فإذا وصف فخذ أقلها أخلاطا)) [٥] وعندما مات سلمويه امتنع المعتصم عن الطعام يوم موته وأمر بأن تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ويباهي في إكرامه وحزن عليه حزنا شديدا [٦] وأراد يوحنا أن يغير في طريقة مداواة المعتصم فكان سلمويه يفصد المعتصم فصدتين في السنة ويسقيه بعد كل فصدة دواء مسهلا ويعالجه بالحمية فأراد يوحنا أن يغير ذلك فسقاه دواء قبل الفصد فأشربه الدواء فحمي جسمه ودمه وأصبحت العلل تتزايد فيه وأصاب المعتصم نحول في جسمه فمات بعد عشرين شهرا من وفاة سلمويه سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م[٧] ولم يترك سلمويه أي مؤلف طبي مذكور .

٣- إسرائيل الكبير .

أبو قريش إسرائيل الكبير [٨] ويذكره ابن أبي أصيبعه نقلا عن الرهاوي باسم عيسى [٩] والصحيح أن أبا قريش هو اسمه إسرائيل ما دام الرهاوي هو مصدر ابن أبي أصيبعه في النقل ولكن لا نعلم لما قد غير ابن أبي أصيبعه اسمه من إسرائيل إلى عيسى وما يهمنا أن أبا قريش كان صيدلانيا ضعيف الحال يقصد على باب قصر الخليفة وكان دينيا صالحا في نفسه

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠٦ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤١ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٤ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٤١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٤١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٤١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠٧ .

(٨) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥١ .

(٩) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٧٩-٨٠ .

وأن الخيزران جارية المهدي وجهت لمن يحمل ماءها إلى طبيب فشاهدت الجارية جلوس إسرائيل عند باب القصر فأعطته ماء الخيزران فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بغلام فرجعت الجارية إلى الخيزران بالبشارة فولدت موسى الهادي وأخبرت المهدي بقصتها فبلغ الخبر جورجيس بن بختشيوع [١] فقال : كذب ومخرفة فغضبت الخيزران من قوله وأمرت لإسرائيل بالأموال والهدايا وما أن حملت الخيزران بالرشيد قال جورجيس للمهدي جرب هذا الطبيب بنفسك فوجه إليه ماء الخيزران فقال إسرائيل : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بغلام آخر وقال كلامه في كلتا الحالتين على سبيل الترزق فأثبت المهدي اليوم عنده فولدت الرشيد فأحضر المهدي إسرائيل وأقامه بين يديه ولم يزل يطرح عليه البدر والدنانير والدراهم حتى علت رأسه وصير موسى والرشيد في حجره وكناه أبا قريش أي أبا العرب وقال لجورجيس : هذا الأمر أنا قد جربته بنفسي فأصبح إسرائيل نضير جورجيس بل أكثر منه مكانة [٢] .

ولم يكن أبو قريش عالما بصناعة الطب إلا الشيء اليسير من علم الصيدلة إلا أنه اتخذ طبيبا لما جرى مع الخيزران زوجة المهدي [٣] توفي أبو قريش في خلاقة الرشيد وخلف اثنين وعشرين ألف دينار [٤] ولم يكن له من الكتب شيئا .

٤- حبيش الدمشقي .

هو حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي النصراني ابن أخت حنين بن إسحاق العبادي وتلميذه ومنه تعلم صناعة الطب وكان سائرا على خطى معلمه وخاله حنين في عمله ونقله وكلامه وأحواله [٥] قال فيه حنين : ((إن حبيشا ذكي مطبوع على الفهم غير أنه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه بل فيه تهاون وإن كان ذكاؤه مفرطا وذهنه ثاقبا)) [٦] وله من

(١) على ما يبدو أن الرهاوي قد توهم في شخص جورجيس بن بختشيوع طبيب المنصور لأنه لم يخدم المهدي مطلقا وربما يكون هذا الطبيب آخر غير جورجيس طبيب المنصور الخاص لأن جورجيس قد عاد إلى جنديسابور سنة ١٥٢هـ ولم يعد إلى بغداد ، القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٠-١١١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٩-٤٠ .

(٢) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥١-١٥٢ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٨٠ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٨٠ .

(٤) الرهاوي ، آداب الطبيب ، ص١٥٢ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٢٢ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ١٦٧-١٦٨ .

المؤلفات الطبية كتاب إصلاح الأدوية المسهلة ، كتاب الأدوية المفردة ، كتاب الأغذية ، كتاب في الاستسقاء ، مقالة في النبض ، وكذلك هو الذي أتم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين [1] ولا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة .

٥- جبرائيل الكحال .

طبيب ماهر في صناعة الكحل وكان المأمون يستخف يده ويذكر أن المأمون ما رأى أبدا أخف من يديه على عينيه فاتخذ المأمون أميال ومكاحل ودستجا وأعطاه إلى جبرائيل فكان أول من يدخل إليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الظهر فيغسل أجفانه ويكحل عينيه [2] وقد أجرى المأمون عليه رزقا في الشهر ألف درهم ثم سقطت منزلته بعد ذلك لتصبح مائة وخمسين درهما بعد أن أفشى خبر نوم الخليفة دون علمه ، فقال له المأمون : ((يا جبرائيل اتخذتك كحالا لي أو عاملا على الأخبار عني ؟ أردد عليّ مكاحلي وأميالي واخرج من داري)) [3] فذكره جبرائيل بخدمته فقال له المأمون : إن لك حرمة فليقتصر رزقك على مائة وخمسين درهما في الشهر ولا يؤذن لك في الدخول فلم يعد يخدم المأمون بعد حتى توفي [4] ولم يذكر له أي مؤلف طبي أو حتى تاريخ ولادة أو وفاة كما أن جبرائيل هذا لا ينتمي إلى أسرة آل بختشيوع لأنه لم يذكر ضمن عائلتهم في جميع المصادر.

٦- عيسى بن شهلا .

أحد تلاميذ جورجيس بن بختشيوع ، نصراني الملة دخل في خدمة المنصور منذ أن كان جورجيس في بغداد بعدما طلب المنصور من جورجيس إحضار ابنة بختشيوع رفض وقال : جنديسابور محتاجة إليه وإن فارقها قد فسد أمر البيمارستان وكان أهل المدينة إذا مرضوا ساروا إليه وههنا تلاميذي دربتهم وخرجتهم في الصناعة حتى أنهم مثلي [5] ، فأمر المنصور بإحضارهم وكان أبرزهم عيسى بن شهلا فسأله الخليفة عن أشياء في الطب فوجده فيها حاد المزاج حاذقا بالصناعة فقال المنصور لجورجيس : ما أحسن ما وصفت هذا التلميذ وعلمته

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٦٨ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٦ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٠٦ ؛ ابن العبري ، مختصر التاريخ ، ص١٣٨ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨-٣٩ .

[1] ولم يكن عيسى بن شهلا صاحب خلق أو دين فكان محبا للمال حقودا نذكر قول بختشيوع لأبيه عندما عزم الذهاب إلى بغداد وأراد أن يأخذ معه إبراهيم وسرجس قال له : لا تدع ههنا عيسى بن شهلا فإنه يؤذي أهل البيمارستان فترك سرجس وأخذ معه عيسى عوضا عنه [2] وقد ظهرت أطماع عيسى جليا عندما أصبح طبيب الخليفة أبو جعفر المنصور فبسط يده على المطارنة والأساقفة يأخذ أموالهم لنفسه حتى وصل به الأمر والجرأة إلى تهديد أحد المطارنة إذا لم يرسل إليه الأموال التي طلبها وكتب إليه : ((ألست تعلم أن أمر الملك بيدي إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته ؟)) [3] فأوصل المطران ذلك الكتاب إلى الربيع وزير المنصور فأوصله الربيع إلى الخليفة فنكبه وأمر بمصادرة أملاكه وأمواله ونفيه خارج مدينة السلام [4] .

٧- ابن صهاربخت .

هو عيسى بن صهاربخت الجنديسابوري [5] وأحد تلاميذ جورجيس بن بختشيوع أرسله أرسله جورجيس لخدمة الخليفة أبو جعفر المنصور بعد عودة جورجيس إلى جنديسابور فامتنع عيسى عن الذهاب فأرسل جورجيس عوضا عنه تلميذه إبراهيم وبقي عيسى ملازما لمارستان جنديسابور [6] وله من الكتب كتاب قوى الأدوية المفردة [7] .

٨- إبراهيم طبيب المنصور .

لا يعرف عن اسمه أكثر من ذلك ، دخل في خدمة الخليفة أبو جعفر المنصور بعد نفي عيسى بن شهلا ، وإبراهيم أحد أبرز تلاميذ جورجيس وصل إلى حضرة المنصور فخاطبه في أشياء جليلة فوجده فيها حاد المزاج جيد الجواب فقربه المنصور وأكرمه وخلع عليه ووهب له

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٩ .
(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١١٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٥ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٠ .
(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٥ .
(٥) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧٠ .
(٦) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٥ .
(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٧٠ .

أموالا كثيرة واستخلصه لخدمته [١] واستمر إبراهيم في خدمة المنصور حتى توفي الخليفة سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م [٢] ولم يعرف عن إبراهيم تاريخ ولادة أو وفاة كما لم يذكر له أي مؤلف طبي وربما يكون إبراهيم الطبيب هذا مسلما وليس على ملة النصارى وذلك واضح من اسمه .

٩- **فرات بن شحناتا اليهودي** .

طبيب فاضل كامل في وقته متقدم العهد كان أحد أبرز تلاميذ الطبيب تياذوق وكان تياذوق يرفعه ويقدمه على سائر تلاميذه [٣] خدم الحجاج بن يوسف الثقفي وهو حدث وصحب في أواخر عمره عيسى بن موسى العباسي ولي العهد في أيام المنصور [٤] وكان مقدما عنده ليس في الطب بل اتخذه عيسى مستشارا خاصا له ويشاوره في كل أموره [٥] وكان عيسى يتذكره بعد وفاته كلما وقع له شيء من الأمور التي كان ينذره وقوعها فيقول : ((أيا فرات سقى عهدك كأنك شاهد يومنا هذا)) [٦] وعلى ما يبدو أن فرات بن شحناتا شحناتا قد توفي في أيام الخليفة أبو جعفر المنصور رغم أن المصادر لم تذكر له تاريخ ولادة أو وفاة كما لم تذكر له أي أثر طبي .

١٠- **يزيد بن زيد** .

أبو يوحنا يزيد بن زيد بن أبي خالد [٧] المعروف بزيدبور [٨] طبيب الخليفة المأمون جيد جيد العلم حسن المعالجة موصوف بالفضل والخلق [٩] خدم بصناعته المأمون وخدم أيضا

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤١ .
(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٩ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٠١ .
(٤) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٦٩ .
(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٩٤ .
(٨) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ص٢٥٩ .

إبراهيم بن المهدي [١] وكان له من الإحسان الكثير والإنعام والعناية البالغة والمعالجات الجيدة الجيدة [٢] ولا يعرف له تاريخ ولادة أو وفاة أو أي مؤلف طبي .

١١- ابن ربن الطبري .

أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري يهودي الملة ولد ونشأ بطبرستان [٣] اعتنق الإسلام على يد الخليفة العباسي إبراهيم المعتصم فقربه وأظهر فضله بالحضرة وجعله من جملة أطبائه [٤] كما أدخله الخليفة المتوكل في جملة ندمائه الأخصاء [٥] اشتهر ابن ربن بتعليم الطب فكان من أبرز تلاميذه أبو بكر الرازي والذي أصبح إمام عصره في الطب وله شأن كبر في تاريخ الطب العربي الإسلامي فيما بعد [٦] ولابن ربن الطبري حكم طبية عظيمة منها منها ((الطبيب الجاهل مستحث الموت)) [٧] وله من المؤلفات الطبية الكثير أشهرها كتاب كتاب فردوس الحكمة وكتاب آفاق الحياة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب الصحة وغيرها [٨] فضلا عن تميز ابن ربن بالهندسة وأنواع الرياضة وكان عالما بها [٩] توفي ابن ابن ربن في سنة ٢٣٦هـ [١٠] .

١٢- عيسى بن ماسة .

من الأطباء الجيدين في وقته وأحد المتميزين في صناعة الطب وله طريقة حسنة في العلاج [١١] عاش في بداية العصر العباسي الأول وهو من الأطباء السريان [١٢] لا يعرف عن

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٩٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٢ .
(١١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٨ .
(١٢) ابن سينا ، القانون ، ج٤ ، ص٦ .

اسمه أكثر مما ذكر ولا عن حياته أو تاريخ ولادته أو وفاته وله عدة مصنفات منها كتاب قوى الأغذية وكتاب من لا يحضره الطبيب [١] وكتاب مسائل في الشلل والذرية وكتاب الفصد والحجامة وكتاب الرؤيا يجيز فيه بالسبب الذي امتنع به عن معالجة الحوامل ورسالة في استعمال الحمام [٢] .

١٣- داود بن سرابيون .

من جملة أطباء الخليفة موسى الهادي [٣] ثم انقطع بعدها في خدمة زبيدة أم جعفر زوجة هارون الرشيد وكانت فيه روح دعابة شديدة [٤] ولم يعرف له أي مؤلف طبي ولا تاريخ تاريخ وفاة .

١٤- عيسى بن الحكم الدمشقي .

عرف واشتهر باسم المسيح [٥] نصراني الملة عاش في دمشق أيام الخليفة هارون الرشيد [٦] وهو من عائلة مشهورة بالطب خدمت خلفاء بني أمية حيث كان جده أبو الحكم طبيب طبيب معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) [٧] ، كان خبيرا بصناعة الطب حسن المباشرة والمعالجة والتدبير وله نصائح طبية مشهورة منها ((لا تذوق القديد المالح ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام إلا بماء بارد)) [٨] وله من الكتب الكنائش الكبير في الطب [٩] وكتاب منافع الحيوانات [١٠] ولا يعلم عن سنة وفاته أو ولادته شيء .

١٥- اللجلاج .

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٤ .

(٢) ابن سينا ، القانون ، ج٤ ، ص٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٣٩ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٥) ابن سينا ، القانون ، ج٢ ، ص١٦ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٠ .

(٦) ابن سينا ، القانون ، ج٢ ، ص١٦ .

(٧) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٨) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٦ .

(٩) ابن سينا ، القانون ، ج٢ ، ص١٦ ؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٦٦ .

(١٠) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٢ .

من أطباء الخليفة أبو جعفر المنصور وكان من جملة أطبائه الذين رافقوه في حجته الأخيرة سنة ١٥٨هـ حيث توفي بها (١) ولا يعرف عن اسمه أكثر مما ذكر وربما يكون ذلك هو هو لقبه أو كنيته كما لا يعرف عن تاريخ حياته شيء ولا عن مؤلفاته .

المبحث الثاني : مارستانات العصر العباسي الأول .

أولا : المارستانات والخدمات الاجتماعية .

أنشأ العرب والمسلمون مستشفيات في وقت مبكر جدا ومنذ العصور الإسلامية الأولى وكانت تقوم هذه المستشفيات بعمل إنساني من أجل المحافظة على أرواح المسلمين ومعالجتهم فهي خير مأوى للمرضى والعاجزين ، وتوسعت البيمارستانات وأخذت شكلها المتكامل بعد أن أدخلت عليها الكثير من التحسينات والإضافات فبلغت ذروتها في العصور العباسية فشملت على مختلف وسائل الراحة والعناية والترفية من أسرة وفرش للمرضى إلى أطباء وطباخين وبوابون وحراس وفراشون وغيرهم من العاملين على راحة المرضى كما وجدت فيها الحمامات الواسعة وأحيطت البيمارستانات بالبساتين والأشجار والأزهار المختلفة كما وجدت فيها خزائن للشراب والأدوية (٢) ولم تظهر البيمارستانات بشكل متكامل إلا بعد قيام الدولة العباسية فكان للخليفة أبو جعفر المنصور الدور الكبير في تحديد النهج لمن سار بعده من الخلفاء ويبرز ذلك الدور في استقدام المنصور الأطباء الجيدين من خارج بغداد فظهرت النتيجة في عهد الرشيد وأسسوا ما فكر به المنصور بل وزادت البيمارستانات في بغداد زيادة كبيرة حتى بلغت في سنة ٣٠٧هـ/٩٢٠م خمس مارستانات تقلدها الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني (٣) وقد أنشأ الخليفة أبو جعفر المنصور دار للعميان والمجانين والأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن (٤) وعني العباسيون بإنشاء دور للمرضى والمجانين فأصبحت هذه الدور مارستانات كبيرة ضمت إلى جانبها ردهات للمرضى ومخازن للأدوية كما حظيت بمكتبات وقاعات لتدريس الطب فأصبحت هذه الدور الصغيرة مدارس كبرى

---

(١) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٨٥ .

(٢) عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات ، ص و،ر .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٣٤ .

لتعليم الطب في العصور العباسية اللاحقة [١] ومن أهم البيمارستانات في العصر العباسي الأول .

١- بيمارستان الرشيد .

أسسه الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة في الجانب الغربي لمدينة بغداد وكان المشرف على بنائه طبيب الخليفة الخاص جبرائيل بن بختشيوع ورشح لرئاسته الطبيب ماسويه الخوزي من أطباء جنديسابور كما تولى جبرائيل رعايته [٢] ثم خلف يوحنا بن ماسويه والده في رئاسة المارستان [٣] .

٢- بيمارستان البرامكة .

يذكر ابن النديم أن البرامكة قد أنشئوا في بغداد بيمارستان وأسندوا رئاسته إلى الطبيب الهندي ابن دهن [٤] أحد نقلة الهند [٥] .

وإلى جانب هذه البيمارستانات فقد رعى الخلفاء العباسيون صناعة الطب ووفروا كافة الخدمات الطبية النافعة فأنشأوا المجاذم ودور المجانين والبيمارستانات السيارة والمتنقلة وغيرها خدمة للمجتمع الإسلامي .

١- المجاذم .

أنشأ الخلفاء العباسيين ومن سار على خطاهم من الأمراء ملاجئ خاصة للمجذومين تقوم الدولة على رعايتهم ومعالجتهم وتأتت هذه الفكرة من إقامة الوليد بن عبد الملك بيوتا للمجذومين فسارع معظم الخلفاء العباسيين على إنشائها [٦] .

٢- دور المجانين .

(١) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٢٠٣ .

(٢) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٣) القفطي ، أخبار العلماء ، ص٢٥١ ؛ ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٤) لم أجد ذكر لمثل هذا الطبيب وفي أي مصدر تاريخي وحتى ابن النديم فلم يترجم له ولا يعرف عن أطباء الهند سوى صالح بن بهلة ومنكه الهندي وربما يكون منكه هو ابن دهن نفسه .

(٥) الفهرست ، ص٣٤٢ .

(٦) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٢٣١ .

وهي أشبه بالملاجئ وعرفت منذ أوائل التاريخ الإسلامي وخصوصا في عهد الدولة الأموية وتوسعت وانتشرت مثل هذه الدور في العصر العباسي وقد تحملت الدولة أعباء حاجاتهم ومصروفاتهم وعاملتهم برفق فعينت لهم أطباء والممرضين لخدمتهم والسهر على راحتهم وقد كانوا يفردون بيوت خاصة في المارستانات الكبرى لمثل هؤلاء المرضى (١) .

٣- دور العجزة والمكفوفين .

شيدت هذه الدور خصيصا للمقعدين والعاجزين وإطعامهم وإكسائهم وتوفير احتياجاتهم والصرف على مثل هذه الدور وسابقاتها من الأوقاف التي كانوا يوقفونها لهم من قبل الخلافة والأشخاص (٢) وكان من أشهر من أشاد مأوى للأيتام والنساء العاجزين هو الخليفة العباسي عبد الله المأمون (٣) .

٤- البيمارستانات المتنقلة .

وهي عبارة عن بيمارستانات مجهزة بجميع ما يلزم المرضى ومداواتهم من أدوية وأدوات وأطعمة وأشربة وألبسة وأطباء وصيادلة وكل من يعين على تخفيف الحال عن المرضى والعجزة والمسجونين وتنتقل مثل هذه البيمارستانات من بلد إلى آخر وتتواجد خصوصا في المدن المنكوبة والموبوئة (٤) .

٥- بيمارستانات السبيل .

وهي البعثات التي ترافق الحجاج أو التجار وكانت تجهز بكل ما يلزم من أدوات العلاج والأدوية وتحمل تلك الأشياء في صناديق خاصة وبرفقة الأطباء فيعالجون المرضى أصحاب القوافل أو من تمر بهم القافلة في الطريق (٥) .

٦- البيمارستانات الحربية .

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٣١ .

(٢) مُحَمَّد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١١٦ .

(٣) الخطيب ، الطب عند العرب ، ص٢٠٢ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٠٣ .

(٥) القفطي ، أخبار العلماء ، ص١٣٢ ؛ مُحَمَّد ، الموجز لما أضافه العرب ، ص١١٤ .

وهي البيمارستانات المخصصة لمرافقة الجيوش المحاربة وكان يرافقها أمر الأطباء والصيادلة المختصون فضلا عن أطباء الخليفة أو الأمراء ومهمتها الأولى العناية بجرحى المعارك والمرضى من الجنود (١) ومن أشهر تلك المشافي الحربية مشفى الأفشين والتي كانت ترافق معسكره (٢) وكانت مثل هذه المارستانات ترافق الجيش في السلم والحرب متنقلة على ظهور الجمال والبغال بمحامل مريحة واسعة لنقل المرضى والمصابين (٣) .

وتميزت المارستانات المختلفة بنقطة فائقة الأهمية ألا وهي معالجة المرضى فقيرهم وغنيهم ، مسلما كان أم ذميا دون التمييز في الجنس أو اللون أو الديانة (٤) وهذه ميزة تميز بها العرب والمسلمون دون سائر الأمم في ذلك الوقت وهذا يدل على وعيهم وتسامحهم مع أصحاب الملل والديانات الأخرى .

ثانيا : **مواقع بناء البيمارستانات وأقسامها** .

أقيمت البيمارستانات في أحسن الأماكن موقعا على الربوات وبجوار الأنهار والبساتين (٥) وكانوا يعلقون عدة قطع من اللحم في أماكن مختلفة من المدينة التي يراد البناء فيها والقطعة التي لم تتغير ولم يسهك فيها اللحم سريعا تكون موقعا ممتازا للبيمارستان (٦) كما اختيرت بعض القصور كمارستانات فكانوا يختارون القصر الذي لا يوجد فيه نمل أو حشرات ليكون بيمارستان للمرضى (٧) كذلك اهتم الأمراء والخلفاء بالمارستاتان فجعلوها لا تختلف عن فخامة قصورهم في الأثاث والفرش فكان لكل مريض سرير خاص به (٨) .

وقد قسمت البيمارستانات تقسيما دقيقا فكانت البيمارستانات مقسمة إلى جناحين، جناح للذكور وآخر للإناث وتحتوي المارستانات على عدة قاعات لمختلف الأمراض فقاعات للأمراض الداخلية وقاعات للجراحة والكحالة وأخرى للتجبير وقاعات للأمراض النفسية

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

(٣) خير الله ، الطب العربي ، ص٧١ .

(٤) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٣ .

(٦) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٣٤٣ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٣٦٥ .

(٨) خير الله ، الطب العربي ، ص٧٤-٧٥ .

وقاعات لكل نوع من الأمراض المعدية [١] كما احتوت البيمارستانات على خزائن الشراب أو ما تعرف بالشرابخانه فيها لكل أنواع الأشربة والأدوية والمعاجين والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية العطرية والتي لا توجد مثيلاتها إلا في المارستانات [٢] وكان للشرابخانه رئيس يسمى شيخ صيدلاني البيمارستان [٣] وكان لكل بيمارستان رئيس للأطباء يسمى ساعور [٤] ولكل ولكل قسم من أقسام البيمارستان رئيس فكان رئيس للأمراض الباطنة ورئيس للجراحين ورئيس للكحالين [٥] وكان عدد الأطباء في المارستان يتوقف على سعته وحجمه فكان يصل في بعضها إلى أربعة وعشرين طبيبا [٦] وقد كان البيمارستان يتولى رعايته أحد الأمراء أو الخلفاء أو الإشراف ممن يتصفون بالقدرة والثقافة وحب الإحسان [٧] .

(١) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٤٤ ؛ لاندو ، الإسلام والعرب ، ص٢٦٩ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٧٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٤ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٦٧ .

(٦) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٣٤٤ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص١٦٨ .

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع ((علم الطب في العصر العباسي الأول)) تبين لنا :

- إن علم الطب من العلوم التي تستحق الدراسة والبحث لكونها من العلوم المتعلقة بحياة الإنسان وحفظ صحته وسلامته ، وكان للعرب والمسلمين دور مشرف في تطوير هذا العلم في العصور الإسلامية المتعاقبة ، وبخاصة في العصر العباسي ، فارتقى علم الطب وكثر العاملين فيه وتنوعت فروعه واختصاصاته ، فأصبح كاملا من حيث التشخيص والعلاج .
- ساهم الأطباء العرب والمسلمين في تجذير أسس الطب عن طريق ما نقلوه وترجموه من علوم الأمم السابقة من يونانية وهندية وفارسية وغيرها ، ولم يقفوا عند حد الترجمة فحسب ، بل أضافوا الشيء الكثير من ابتكاراتهم الجديدة في طرق التشخيص ونظم المعالجة والمداراة ونوعية الأدوية والعقاقير كما أبدعوا في وصف مختلف الأمراض وصنفوها ضمن مؤلفات ضخمة وكبيرة ، فكانوا بحق حلقة الوصل ما بين علم الطب لدى الأمم والأقوام السابقة وعصر النهضة في أوربا .

- تأثر علم الطب عند العرب والمسلمين في العصور الإسلامية المختلفة وخصوصا في العصرين الأموي والعباسي ، بنظرية الأخلاط الأربعة اليونانية واتخذوها قاعدة أساسية في معالجاتهم .
- يعد الأطباء العرب والمسلمين أول من صاغ أدبا وزيا خاصا للطبيب ، فوضعوا فيه الصفات والشروط العلمية والخلقية الواجب توفرها في متعلم الطب وممارسه قبل أن يمارس مهنته على المرضى ، وعلى الطبيب أن يلتزم ويتحلى بتلك الصفات .
- كما يبدو جليا أن العرب والمسلمين سعوا جاهدين لإيجاد التخصص الدقيق في مجال الطب وذلك من خلال فصل مهنتي الطب عن الصيدلة بعد أن كان الطبيب الصيدلي ، والصيدلي الطبيب شخصا واحدا ، فأجازوا للطبيب تشخيص المرضى ووصف الدواء دون صرفه ، وللصيدلي جلب الأعشاب والمعادن والأحجار وتحضيرها وصنع الدواء منها وصرفه للمريض ، وبذلك يعتبر العرب والمسلمون هم المؤسسون الحقيقيون لعلم الصيدلة ، والذي أصبح على أيديهم علما ذا أصول وقواعد علمية متينة ، فافتتحت أول صيدلة عرفتها البشرية في بغداد في عصر الخليفة هارون الرشيد ثم انتشرت بعد ذلك دكاكين الصيدلة في الأسواق والمستشفيات وفي مختلف الأمصار الإسلامية ، ومن النتائج المهمة التي ظهرت بعد فصل الطب عن الصيدلة هي ظهور الوصفة الطبية ، تلك الورقة التي عمل بها أطباء العصر العباسي الأول والتي لا يزال يعمل بها حتى وقتنا الحالي .
- كما شهد العصر العباسي الأول ولادة التخصص الطبي الدقيق ، فكان هناك الطبيب العام ، والكحال طبيب العيون ، والأسناني طبيب الأسنان ، والفصاد والحجام ، والطبيب الجراح المختص بمعالجة الجروح والقروح ، وإجراء العمليات المختلفة ، وطبيب النساء والأطفال ، والمجبر المختص بمعالجة الكسور والخلوع ، كما وضعوا في جميع هذه الاختصاصات المصنفات الطبية الضخمة والتي تدل على براعتهم ومهارتهم في كافة المجالات .
- يعتبر الأطباء العرب والمسلمون أول من صنف الأمراض في الجسم ، وأرجع أسبابها إلى عوامل وراثية أو بيئية أو معدية ، وبحثوا في سبل مكافحتها والحد من انتشارها .

- كما كان للأطباء العرب والمسلمين سابقة علمية عظيمة ، عندما استخدموا الخيوط الجلدية في معالجة الجروح ، بعد أن استخلصوها من أمعاء القطط والحيوانات الأخرى ، كما نجحوا في ابتكار العديد من الآلات والأدوات الجراحية المختلفة وخصصوا لكل موضع في الجسد آلة مناسبة له ، كما كان لأطبائنا العرب والمسلمين فضل كبير على العالم أجمع وذلك باكتشافهم المخدر ((البنج)) ، الذي استخلصوه من الخشخاش والأفيون واستخدموه في عملياتهم الجراحية ، والتي كانت تجري بكل دقة وبراعة ، والفضل يعود إلى تلك الابتكارات العظيمة ، والتي نسبت فيما بعد إلى الأوروبيين متجاهلين الدور العربي الإسلامي وفضله على الإنسانية .
- لقد كان التصميم العربي الإسلامي للمستشفيات من أرقى التصاميم المعمارية والهندسية، ولم تكن للهندسة المعمارية أي قيمة أو أهمية ، بل ما صنعوه في داخل أروقة تلك المستشفيات هو الأهم ، فخصصوا أجنحة خاصة للرجال وأخرى للنساء وضمت تلك الأجنحة قاعات ترفيهية واسعة ، كما احتوت تلك المستشفيات على قاعات كبرى للتدريس ، وأنشأت فيها الصيدليات ، ومساكن للطلبة والأطباء ، وزينت بحدائق واسعة وجميلة .
- اكتسب تعليم الطب لدى العرب والمسلمين أهمية عظيمة ، فأوجدوا أماكن خاصة للتدريس ، وجعلوا تعليم الطب مجازا لأي شخص ذكرا كان أم أنثى ، ودون النظر إلى اللون أو الجنس أو الديانة أو المذهب ، كما صنفوا تعليم الطب إلى قسمين ، قسم نظري وآخر عملي ، والواحد مكمل للآخر ولا فصل بين القسمين ، فقطعوا في ذلك الأمر شوطا طويلا وأجادوا في كتابة المؤلفات والكتب الطبية المرشدة لتعليم علم الطب .
- وضع الأطباء في العصر العباسي الأول تحت رقابة المحتسب كما فرضت عليهم الامتحانات والاختبارات العلمية لمتعلمي المهنة وممارسيه ، من أجل الحفاظ على أصول وقواعد مهنة الطب ، ورفع مستوى الأطباء ، وشملت الامتحانات مختلف الاختصاصات والمهن الطبية والعلوم المتعلقة به ، لضمان سلامة المجتمع وتخليص مهنة الطب من الهواة والدجلة ومنتحلي المهنة .

- الملاحظ على علم الطب في العصر العباسي الأول خلوه من التشريح البشري واقتصر الأمر على تشريح جثث الحيوانات وبخاصة القردة ، من أجل دراستها والاستفادة منها في تطوير العلوم الطبية المختلفة ولإيجاد أفضل السبل لعلاج الأمراض .
- تميز العصر العباسي الأول بإنجاز رائع وبالغ في الأهمية ، ألا وهو نشاط حركة الترجمة وتوسعها ، والتي أجاد فيها العرب والمسلمون وكل الملل والطوائف الأخرى ، فترجموا كل ما كان ما يقع تحت أيديهم من علوم وفنون وآداب ، فترجمت أكثر الكتب الطبية شهرة من يونانية وفارسية وهندية وسريانية وغيرها إلى اللغة العربية ، فأصبحت بذلك علوم الأقوام المختلفة بلغة القرآن الكريم وأصبحت لغة العرب لغة الدنيا بأسرها .
- كما تميز العصر العباسي الأول باهتمام الخلفاء العباسيين بعلم الطب والعلوم العقلية المختلفة ، فقرب خلفاء بني العباس الأطباء وأغدقوا عليهم الأموال والهدايا ووفر لهم الرعاية والحماية والأمان ، دون تميز في اللون أو الجنس أو الديانة أو المذهب ، فعمل اليهودي والنصراني إلى جانب المسلم ، ونالوا أعظم المناصب والمراتب ، وهذا الأمر انفرد به العرب المسلمون وذلك لتسامح الإسلام مع مختلف الملل والطوائف الدينية الأخرى ، وأصبحت بغداد في ذاك الزمان قبلة الدنيا ودار العلم والمعرفة ، بفضل دعم الخلفاء العباسيين ورعايتهم وحبهم الكبير للعلم والمعرفة وتقديمهم الغالي والنفيس من أجل تحصيل العلوم ونشرها بين الناس ، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في رفع مستوى العلوم ولا سيما علم الطب ، الذي نحن بصدد الحديث عنه إلى أرقى المستويات العلمية وأجلها وقتذاك ، وسموا مهنة الطب التي اقتصر من ممارستها على من هو جدير بها فحسب .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولا : **المخطوطات** .

* **البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .**

١- رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها ، مخطوطة مصورة محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم ق/١٣٤٤ .

* **الخوارز منشاهي ، أبو إبراهيم زين الدين إسماعيل بن الحسن ، (مجهول الوفاة) .**

٢- الزبدة في الطب ، مخطوطة مصورة محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم ق/١٣٠٠ .

* **المقزي ، مهدي علي الصبيري اليمني المهجمي ، (مجهول الوفاة) .**

٣- الرحمة في الطب والحكمة ، مخطوطة مصورة محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم ق/١٣٠١ .

ثانيا : **المصادر الأصلية** .

*** ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .**

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (بيروت – ١٩٨٩م) .

٢- الكامل في التاريخ ، تحقيق : نخبة من العلماء ، الطبعة الثالثة ، (بيروت – ١٩٨٠م).

*** ابن الأزرق ، أبو بكر إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ٨٩٦هـ/١٦٠٤م) .**

٣- تسهيل المنافع في الطب والحكمة ، تحقيق : أحمد سعد علي ، (القاهرة – ١٩٤٨م).

*** الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).**

٤- معرفة الصحابة ، تحقيق : مُحَمَّد راضي بن حاج عثمان ، الطبعة الأولى ، (المدينة المنورة – ١٩٨٨م) .

*** الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن مُحَمَّد القريشي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م).**

٥- الأغاني ، تحقيق : سمير جابر ، (بيروت – ١٩٨٦م) .

*** ابن أبي أصيبعه ، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) .**

٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : سميح الزين ، الطبعة الثانية ، (بيروت – ١٩٨١م) .

*** أوس بن حجر (ت ٦٢٠م) .**

٧- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق : مُحَمَّد يوسف نجم ، (بيروت – ١٩٦٠م) .

*** البخاري ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) .**

٨- صحيح البخاري ، (بيروت – بلا ت) .

*** البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) .**

٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، شرح : الإمام العيني محمود ، (مصر – بلا ت) .

*** البلدي ، مُحَمَّد بن يحيى (ت ٣٦٨هـ/٩٨٣م) .**

١٠- تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ، تحقيق : د. محمود قاسم مُحَمَّد ، (بغداد – ١٩٨٠م) .

* **البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .**

١١- أنساب الأشراف ، (القاهرة — ١٩٧٨م) .

١٢- فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان مُحَمَّد رضوان ، (بيروت — بلا ت) .

* **البيهقي ، ظهر الدين (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) .**

١٣- تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق : د. مُحَمَّد كرد علي ، (دمشق — ١٩٤٦م) .

* **أبو تمام الطائي ، حبيب بن جاسم بن أوس (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) .**

١٤- ديوان أبي تمام ، شرح : أيليا الحاوي ، الطبعة الأولى ، (بيروت — ١٩٨١م) .

* **الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ/٦٦٩م) .**

١٥- البيان والتبيين ، تحقيق : د. عبد السلام هارون ، (القاهرة — ١٩٧٥م) .

١٦- الحيوان ، تحقيق : فوزي عطوي ، (بيروت — ١٩٦٨م) .

* **ابن الجزار القيرواني ، أبو جعفر مُحَمَّد بن إبراهيم بن خالد (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م).**

١٧- زاد المسافر وقوت الحاضر ، تحقيق : الراضي الجازي ، الطبعة الأولى ، (تونس — ١٩٨٦م) .

١٨- سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق : مُحَمَّد حبيب الهيلة ، (تونس — ١٩٦٨م) .

* **ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) .**

١٩- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، (القاهرة — ١٩٥٥م) .

* **ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .**

٢٠- صفة الصفوة ، الطبعة الأولى ، (حيدر آباد الدكن — ١٣٥٥هـ) .

٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : د. سهيل زكار ، (بيروت — ١٩٩٥م).

* **حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) .**

٢٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت — ١٩٩٢م) .

* **ابن حبيب ، أبو جعفر مُحَمَّد بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) .**

٢٣- المحبر ، تحقيق : أيليزه ليجتن شنيتر ، (حيدر آباد الدكن — ١٩٤٢م) .

* **ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .**

٢٤- الإصابة في تمييز الصحابة ، (القاهرة – ١٣٢٨هـ) .

٢٥- تهذيب التهذيب ، تحقيق : مجلس دائرة المعارف النظامية ، الطبعة الأولى ، (الهند – بلا ت) .

٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت – ١٩٨٩م) .

٢٧- مختصر الترغيب والترهيب ، تحقيق : حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، (بيروت – ١٩٨١م) .

* **ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .**

٢٨- جمهرة أنساب العرب ، (القاهرة – ١٩٦٢م) .

* **أبو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .**

٢٩- البصائر والذخائر ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، (دمشق – ١٩٦٤م) .

* **الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .**

٣٠- تاريخ بغداد ومدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ ، (بيروت – بلا ت).

* **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد التونسي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) .**

٣١- المقدمة ، تحقيق : حجر عاصي ، (بيروت – ١٩٨٦م) .

* **ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .**

٣٢- وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت – بلا ت) .

* **أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .**

٣٣- سنن أبي داود ، (القاهرة – ١٩٨٨م) .

* **الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) .**

٣٤- تاريخ الخميس في أحوال أنفس ونفيس ، (بيروت – بلا ت) .

* **الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٩٨٥م) .**

٣٥- الأخبار الطوال ، تصحيح : فلادمير جرجاس ، (لندن – ١٨٨٨م) .

*** الذهبي ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .**

٣٦- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، الطبعة الثانية ، (بيروت – ١٩٩٧م) .

٣٧- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : حسين الأسد ، الطبعة الثانية ، (بيروت – ١٩٨٢م).

٣٨- الطب النبوي ، مراجعة : مجموعة من أعلام الطب الحديث ، الطبعة الأولى ، (مصر – ١٩٦١م) .

٣٩- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر مُحَمَّد السعيد ، (بيروت – بلا ت) .

*** الرازي ، أبو بكر مُحَمَّد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ/٩٢٥م) .**

٤٠- الحاوي في الطب ، (حيدر آباد الدكن – ١٩٥٥م) .

*** الرازي ، أبو بكر مُحَمَّد بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) .**

٤١- مختار الصحاح ، (الكويت – ١٩٨٣م) .

*** ابن ربن الطبري ، أبو الحسن علي بن سهل (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) .**

٤٢- فردوس الحكمة ، تصحيح : مُحَمَّد زبيد الصديقي ، (بيروت – ١٩٢٨م) .

*** ابن رضوان المصري ، أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب (ت٤٥٣هـ/١٠٦٢م) .**

٤٣- الكتاب النافع في كيفية تعلم صناعة الطب ، تحقيق : د. كمال السامرائي ، (بغداد – ١٩٨٦م) .

*** الرهاوي ، إسحاق بن علي ، (توفي في القرن الثالث الهجري) .**

٤٤- آداب الطبيب ، تحقيق : د. كمال السامرائي ود. داود سلمان علي ، الطبعة الأولى، (بغداد – ١٩٩٢م) .

*** الزبيدي ، مُحَمَّد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .**

٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، (مصر – ١٣٠٦هـ) .

* **الزبيري ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) .**

٤٦- نسب قريش ، تحقيق : أ. ليفي بروفنسيال ، (مصر – ١٩٥٣م) .

* **الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م) .**

٤٧- المستقصى في أمثال العرب ، تحقيق : مُحَمَّد عبد المعين خان ، الطبعة الأولى ، (حيدر آباد الدكن – ١٩٦٢م) .

* **ابن سعد ، مُحَمَّد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٦٩م) .**

٤٨- الطبقات الكبرى ، (بيروت – بلا ت) .

* **ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٨م) .**

٤٩- المخصص ، (بيروت – بلا ت) .

* **ابن سينا ، أبو الحسن بن علي (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) .**

٥٠- القانون في الطب ، تحقيق : إدوارد القس ، ترجمة : علي زيعور ، (مؤسسة عز الدين للطباعة – ١٩٨٧م) .

* **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .**

٥١- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة – ١٩٥٢م) .

* **الشيزري ، عبد الرحمن بن نضير بن عبد الله (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) .**

٥٢- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، (بيروت – بلا ت) .

* **ابن صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت ٦٤٢هـ/١٠٧٠م) .**

٥٣- طبقات الأمم ، (بيروت – ١٩١٢م) .

* **الطبري ، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .**

٥٤- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر – ١٩٦١م) .

* **العبادي ، أبو زيد حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) .**

٥٥- العشر مقالات في العين ، منسوب إليه ، تحقيق : ماكس مايرهوف ، (القاهرة – ١٩٢٨م) .

* **ابن عبد ربه ، أبو عمر بن مُحَّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) .**

٥٦- العقد الفريد ، شرح : عبد السلام هارون وآخرون ، (القاهرة – ١٩٤٩م) .

* **ابن العبري ، أبو الفرج غريغوريوس بن هارون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .**

٥٧- تاريخ مختصر الدول ، (بيروت – ١٨٩٥م) .

* **أبو العلاء المعري ، أحمد بن سليمان التنوخي (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) .**

٥٨- رسائل الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، (القاهرة – ١٩٧٧م).

* **ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الله بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).**

٥٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (بيروت – بلا ت) .

* **الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) .**

٦٠- العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، (بغداد – ١٩٨٢م).

* **ابن قتيبة ، أبو مُحَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .**

٦١- الإمامة والسياسة (منسوب إليه) ، تحقيق : مُحَّد الزيني ، (بيروت – بلا ت) .

٦٢- عيون الأخبار ، (القاهرة – بلا ت) .

٦٣- المعارف ، تحقيق : د. ثروت عكاشة ، (القاهرة – ١٩٦٠م) .

* **ابن قرة ، أبو الحسن ثابت الحراني (ت ٣٨٨هـ/١٠٠٠م) .**

٦٤- الذخيرة في علم الطب ، (القاهرة – ١٩٢٨م) .

* **القزويني ، زكريا بن مُحَّد بن محمود (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) .**

٦٥- آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت – ١٩٦٠م) .

* **القفطي ، أبو الحسن جمال الدين علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .**

٦٦- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (بيروت – بلا ت) .

* **القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) .**

٦٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (القاهرة – بلا ت) .

٦٨- مـآثر الآنافـة في معـالم الخلافـة ، تحقيـق : عبـد السـتار أحمـد فـرج ، الطبعـة الأولى ، (بيروت — ١٩٦٤م) .

* **ابن القيم الجوزية ، أبو بكر شمس الدين بن عبد الله بن أيوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) .**

٦٩- زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، (بيروت — ١٩٨٦م) .

٧٠- الطب النبوي ، الطبعة الأولى ، (بور سعيد ، ٢٠٠١م) .

* **ابن الكازروني ، ظهر الدين علي بن مُحَمَّد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .**

٧١- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : د. مصطفى جواد ، (بغداد — ١٩٧٠م) .

* **الكتبي ، مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .**

٧٢- عيون التواريخ ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، (القاهرة — ١٩٢٧م) .

٧٣- فوات الوفيات والذيل عليها ، (بيروت — ١٩٨٤م) .

* **ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٤٣م) .**

٧٤- البداية والنهاية ، تصحيح : مجموعة من الباحثين ، الطبعة الخامسة ، (بيروت — ١٩٨٤م) .

٧٥- السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، (القاهرة — ١٩٦٥م) .

* **الكحال ، علي بن عيسى بن شرف الدين (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) .**

٧٦- تذكرة الكحالين ، تصحيح : محي الدين القادري الشرفي ، (حيدر آباد الدكن — ١٩٦٤م) .

* **ابن ماجه ، عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .**

٧٧- سنن ابن ماجه ، شرح : أبو الحسن الحنفي ، (بيروت — بلا ت) .

* **ابن ماسويه ، يوحنا الخوزي (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) .**

٧٨- النوادر الطبية ، (القاهرة — بلا ت) .

* **المجوسي ، علي بن عباس (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) .**

٧٩- كامل الصناعة الطبية ، (القاهرة – ١٣٩٤هـ) .
* **المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .**
٨٠- التنبيه والإشراف ، (بيروت – بلا ت) .
٨١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت – ١٩٨٧م) .
* **مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).**
٨٢- صحيح مسلم ، شرح : النووي ، (بيروت – ١٩٨١م) .
* **المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٦م) .**
٨٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية (ليدن – ١٩٠٤م) .
* **المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .**
٨٤- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، (بيروت – بلا ت) .
* **ابن منظور ، مُحَمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .**
٨٥- لسان العرب ، (بيروت – بلا ت) .
* **الميداني ، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م) .**
٨٦- مجمع الأمثال ، تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت – ١٩٨٧م) .
* **ابن النديم ، أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) .**
٨٧- الفهرست ، تحقيق : رضا تجدد بن علي ، (طهران – ١٩٧١م) .
* **النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) .**
٨٨- تهذيب الأسماء واللغات ، تصحيح : دار الطباعة المنيرية ، (مصر – بلا ت) .
* **النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) .**
٨٩- نهاية الإرب في فنونه والأدب ، (القاهرة – بلا ت) .
* **ابن هشام ، مُحَمَّد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) .**
٩٠- السيرة النبوية ، تحقيق : مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة – ١٩٣٧م) .

* **ابن هبل ، أبو الحسن علي بن أحمد بن علي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) .**

٩١- المختارات في الطب ، الطبعة الأولى ، (حيدر آباد الدكن – ١٩٤٣م) .

* **الواقدي ، مُحَّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) .**

٩٢- المغازي ، تحقيق : ماردسن جونس ، (القاهرة – ١٩٦٥م) .

* **ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .**

٩٣- معجم البلدان ، (بيروت – ١٩٥٦م) .

٩٤- معجم الأدباء ، (بيروت – بلا ت) .

* **اليعقوبي ، أبو يعقوب أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م) .**

٩٥- تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : د. عبد الأمير مهنا ، (بيروت – ١٩٩٣م) .

ثالثا : المراجع الحديثة :

* **الأطرقجي ، الدكتورة رمزية .**

١- الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ ، (مطبعة جامعة بغداد – ١٩٨٢م) .

* **أمين ، الدكتور أحمد .**

٢- ضحى الإسلام ، (القاهرة – ١٩٣٣م) .

* **أمين ، الدكتور حسين .**

٣- المدرسة المستنصرية ، (بغداد – ١٩٦٠م) .

* **الآلوسي ، مُحَّد شكري البغدادي .**

٤- بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : د. مُحَّد بهيجة الأثري ، (القاهرة – بلا ت) .

* **البغدادي ، أديب التقي .**

٥- التاريخ العام ، الطبعة الثانية ، (دمشق – ١٣٤١هـ) .

* **التوانسي ، الدكتور أبو الفتوح .**

٦- من أعلام الطب العربي ، (القاهرة – ١٩٦١م) .

* **الجميلي ، الدكتور رشيد عبد الله .**

٧- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجري ، (بغداد – ١٩٨٦م) .

* **الجنابي ، الدكتور عجمي محمود خطاب .**

٨- هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده ١٧٠-١٩٣هـ، (بغداد – ١٩٨٩م).

* **حتي ، الدكتور فليب .**

٩- تاريخ العرب المطول ، الطبعة الرابعة ، (بيروت – ١٩٦٥م) .

* **حسن ، الدكتور حسن علي .**

١٠- العين وأمراضها ووقايتها ، (بيروت – ١٩٨٦م) .

* **حمادة ، الدكتور مُحَمَّد طاهر .**

١١- المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومعاهدها ، (بيروت – ١٩٧٠م) .

* **خطاب ، الدكتور فرات فائق .**

١٢- الكحالة عند العرب ، (بغداد – ١٩٧٥م) .

* **الخطابي ، الدكتور مُحَمَّد العربي .**

١٣- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (بيروت – ١٩٨٨م) .

* **الخطيب ، الدكتور حنيفة .**

١٤- الطب عند العرب ، (بيروت – ١٩٨٨م) .

* **خليل ، الدكتور ياسين .**

١٥- الطب والصيدلة عند العرب ، (بغداد – ١٩٧٩م) .

١٦- الطب والصيدلة ، حضارة العراق ، (بغداد – ١٩٨٥م) .

* **خير الله ، الدكتور أمين سعد .**

١٧- الطب العربي ، (بيروت – ١٩٤٦م) .

١٨- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : أحمد الشنتاوي وآخرون، (بيروت – بلا ت).
* **دروزة ، الدكتور مُحَمَّد عزة .**
١٩- تاريخ الدولة الأموية ، الطبعة الأولى ، (مصر – ١٩٦٤م) .
* **الدفاع ، الدكتور علي عبد الله .**
٢٠- أعلام العرب والمسلمين في الطب ، الطبعة الرابعة ، (بيروت – ١٩٨٧م) .
٢١- موجز التراث العربي الإسلامي ، (بيروت – ١٩٧٧م) .
* **دي لاسي ، الدكتور أوليري .**
٢٢- انتقال علوم الإغريق إلى العرب ، ترجمة : متي بثيون ويحيى الثعالبي ، الطبعة الأولى ، (بغداد – ١٩٥٨م) .
* **زيدان ، الدكتور جرجي .**
٢٣- تاريخ التمدن الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، (مصر – ١٩٣١م) .

* **السامرائي ، الدكتور كمال .**
٢٤- مختصر تاريخ الطب العربي ، الطبعة الأولى ، (بيروت – ١٩٨٩م) .
* **السعيد ، الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود .**
٢٥- نشأة الطب ، (عمان – ١٩٨٥م) .
* **الشطي ، الدكتور أحمد شوكت .**
٢٦- العرب والطب ، (دمشق – ١٩٧٠م) .
٢٧- مختصر تاريخ الطب وطبقات الأطباء ، (دمشق – بلا ت) .
* **الشطي ، الدكتور شوكت موفق .**
٢٨- السفر الأول من تاريخ الطب ، الطبعة الأولى ، (دمشق – ١٩٥٦م) .
* **شكر ، الدكتور فارس حسن .**
٢٩- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، الطبعة الأولى ، (بغداد – ١٩٨٩م) .
* **الشكري ، الدكتور جابر .**
٣٠- تاريخ العلم اليوناني ، (بغداد – ١٩٨٤م) .

* **شلبي ، الدكتور أحمد .**

٣١- التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، (القاهرة — ١٩٨٧م) .

* **ضيف ، الدكتور شوقي .**

٣٢- العصر العباسي الأول ، الطبعة السادسة ، (مصر — ١٩٦٦م) .

* **عطية الله ، أحمد .**

٣٣- القاموس الإسلامي ، (القاهرة — ١٩٦٣م) .

* **العلمي ، الدكتور رياض رمضان .**

٣٤- الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، (الكويت — ١٩٨٨م) .

* **علي ، الدكتور جواد .**

٣٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، (بيروت — ١٩٧١م) .

* **العلي ، الدكتور صالح أحمد .**

٣٦- العلوم عند العرب ، الطبعة الأولى ، (بيروت — ١٩٨٩م) .

* **علي ، الدكتور عصام الدين مُحَمَّد .**

٣٧- بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة ، (الإسكندرية — ١٩٨٦م) .

* **عيسى بك ، الدكتور أحمد .**

٣٨- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، (دمشق — ١٩٣٩م) .

٣٩- المأثور من كلام الأطباء ، تحقيق : مصطفى السقا ، (مصر — ١٩٥١م) .

* **فروخ ، الدكتور عمر .**

٤٠- تاريخ العلوم عند العرب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت — ١٩٨٠م) .

* **فهد ، الدكتور بدري مُحَمَّد .**

٤١- تاريخ الفكر والعلوم العربية ، (بغداد — ١٩٨٨م) .

* **القربي ، أحمد حسنين .**

٤٢- قصة الطب عند العرب ، (مطابع الدار القومية — بلا ت) .

* **قنواتي ، الدكتور جورج شحاته .**

٤٣- المسيحية والحضارة العربية ، الطبعة الرابعة ، (بيروت — ١٩٨٤م) .

* **القنوجي ، صديق بن حسن .**

٤٤- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، (بيروت – بلا ت) .

* **كحالة ، عمر رضا .**

٤٥- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، الطبعة الثانية ، (دمشق – ١٩٥٨م) .

* **لوبون ، الدكتور غوستاف .**

٤٦- حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، الطبعة الرابعة ، (دمشق – ١٩٦٤م) .

* **لاندو ، روم .**

٤٧- الإسلام والعرب ، ترجمة : منير البعلبكي ، الطبعة الأولى ، (بيروت – ١٩٦٢م).

* **الماحي ، التجاني .**

٤٨- مقدمة في تاريخ الطب العربي ، الطبعة الأولى ، (الخرطوم – ١٩٥٩م) .

* **مايرهوف ، الدكتور ماكس .**

٤٩- من الإسكندرية إلى بغداد التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة – ١٩٦٥م) .

* **مُحَمَّد ، الدكتور محمود قاسم .**

٥٠- الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به ، (بغداد – ١٩٧٤م) .

* **المعاضيدي ، الدكتور عبد القادر سلمان .**

٥١- واسط في العصر العباسي ، (بغداد – ١٩٨٣م) .

* **معروف ، الدكتور ناجي .**

٥٢- أصالة الحضارة العربية ، الطبعة الثانية ، (بغداد – ١٩٦٩م) .

* **منتصر ، الدكتور عبد الحليم .**

٥٣- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، (القاهرة – ١٩٨٠م) .

* **النسيمي ، الدكتور محمود ناظم .**

٥٤- الطب النبوي والعلم الحديث ، الطبعة الأولى ، (بيروت – ١٩٨٧م) .

* **هاشم ، الدكتور مُحَّد مُحَّد .**

٥٥- التداوي والقرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، (جدة – ١٩٨٥م) .

* **هونكه ، الدكتورة زيغريد .**

٥٦- شمس الله على الغرب وفضل العرب على أوربا ، ترجمة : فؤاد حسنين علي ، (القاهرة – ١٩٦٤م) .

٥٧- شمس العرب تستطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، (بيروت – ١٩٦٤م) .

* **الهوني ، الدكتور فرج مُحَّد .**

٥٨- تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، (مصراته – بلا ت) .

رابعا : الدراسات والمؤتمرات العلمية .

* **البدوي ، الدكتور عبد اللطيف .**

١- تعليم الطب عند العرب ، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) .

* **البكري ، الدكتور عادل .**

٢- الطب الوقائي عند العرب ، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) .

٣- المعالجات بالمركبات الكيمياوية في الطب العرب ، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) .

* **جعفر ، الدكتور عامر هاشم .**

٤- طبابة الحرب عند العرب ، المؤتمر القطري الرابع لتاريخ العلوم عند العرب ، (الموصل – ١٩٨٨م) .

* **السامرائي ، الدكتور خليل أحمد .**

٥- دراسات في الفكر العربي ، (بغداد – ١٩٨٣م) .
* **السامرائي ، الدكتور كمال .**
٦- الطب في العراق أيام العباسيين ، دراسات في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) .
* **عاشور ، الدكتور سعيد عبد الفتاح وآخرون .**
٧- دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، (الكويت – ١٩٨٦م) .
* **العاني ، الدكتور سلسل محمَّد .**
٨- الصيدلة عند العرب علم وفن ، الندوة القطرية السابعة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٩١م) .
* **عبد الرحمن ، الدكتور حكمت نجيب .**
٩- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، (الموصل – ١٩٧٧م) .

* **العبوسي ، الدكتور السيد هادي .**
١٠- المستشفيات في بغداد ، ندوة في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) .
* **علي ، الدكتور داود سلمان .**
١١- ممارسة مهنة الطب عند العرب ، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) .
* **عوض ، الدكتور هنري أمين .**
١٢- الجراحة في العصر الإسلامي ، الندوة القطرية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٨٩م) .
* **محفوظ ، الدكتور حسين علي .**
١٣- نظرة في تاريخ الطب ، ندوة في الطب العربي ، (بغداد – ١٩٩١م) .
* **محمَّد ، الدكتور محمود قاسم .**
١٤- الألم في الطب العربي ، الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد – ١٩٩٠م) .
* **الهيتي ، الدكتور مصطفى .**

١٥- رواد الصيدلة في التاريخ ، دراسة في تاريخ العلوم ، (بغداد – ١٩٨٩م) .

خامسا : المجلات والدوريات .

* **إبراهيم ، الدكتور حسين أحمد .**

١- العرب وأثر الدراسات الطبية ، مجلة المؤرخ العربي ، ع١٧ ، (بغداد – ١٩٨١م) .

* **باز ، الدكتور خليل .**

٢- بغداد ودورها الرائد في تفوق العرب على اليونان في منجزات الطب ، مجلة المورد ، مج٨ ، ع٤ ، (بغداد – ١٩٧٩م) .

* **البكري ، الدكتور عادل .**

٣- العلاقة بين الطب والموسيقى في تراثنا الحضاري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٣٤، ج١ ، (بغداد – ١٩٨٣م) .

* **الحبيطي ، الدكتور عبد الجبار ياسين .**

٤- مساهمات الأطباء العرب والمسلمين القدامى في التشريح البشري ، المجلة الثقافية ، ع٣، (عمان ، ٢٠٠٠م) .

* **حبي ، الدكتور يوسف .**

٥- المراكز السريانية والثقافية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٩ ، (بغداد – ١٩٨٥م).

* **السامرائي ، الدكتور كمال .**

٦- الطب وتاريخه عند العرب ، مجلة المورد ، مج١٤ ، ع٤ ، (بغداد – ١٩٨٥م) .

* **سعد الدين ، شروق مُحَمَّد كاظم .**

٧- النباتات الطبية عند العرب غذاء ودواء ، مجلة المورد ، مج١ ، ع٢ ، (بغداد – ١٩٩٣م) .

* **العاني ، الدكتور مصطفى شريف .**

٨- نشأة الطب عند العرب وفرع الكحالة منه خاص ، مجلة التراث العلمي العربي ، ع١، (بغداد – ١٩٧٧م) .

* **كشريد ، الدكتور صلاح الدين .**

٩- الطب النبوي ، مجلة المؤرخ العربي ، ع١٦ ، (بيروت – ١٩٨١م) .

* **ماك ، الدكتور فادمن .**

١٠- الصيام في الطب الحديث ، مجلة الوعي الإسلامي ، ع٢١ ، (الكويت – ١٩٦٦م).

* **مُحَمَّد ، الدكتور محمود قاسم .**

١١- الطب عند العرب والمسلمين في فجر الإسلام ، مجلة علوم ، ع١٠٠ ، (بغداد – ١٩٨٨م) .

١٢- تدريس الطب في المستشفيات العربية والإسلامية ، مجلة آفاق عربية ، ع٩/١٠ ، (بغداد – ٢٠٠٢م) .

١٣- الحجامة بين الطب والشرع والتراث ، مجلة التراث الشعبي ، ع٢ ، (بغداد – ٢٠٠٠م) .

سادسا : الرسائل والأطاريح الجامعية .

* **البياتي ، بهجة علي مُحَمَّد .**

١- بيت الحكمة البغدادي وأثره العلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات – جامعة بغداد ، (بغداد – ٢٠٠٣م) .

* **الجنابي ، خلود مسافر نعمة .**

٢- المجالس العلمية منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات – جامعة بغداد ، (بغداد – ٢٠٠٣م) .

* **الخالدي ، رغيد كمر مجيد .**

٣- الوقف والخدمات العامة في العراق خلال العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية الآداب – جامعة بغداد ، (بغداد – ٢٠٠٤م) .

* **الزبيدي ، رضية شرهان صالح .**

٤- الحركة الفكرية في الفسطاط في القرنين الأول والثاني الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية — الجامعة المستنصرية ، (بغداد — ٢٠٠٣م) .

* **الساعدي ، ثامر لفته حسن .**

٥- أثر الحلقات الدراسية في تنمية الحركة الفكرية في الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية — الجامعة المستنصرية ، (بغداد — ٢٠٠٣م) .

* **الشمري ، نهاد عبد الله .**

٦- الطب في قرطبة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات — جامعة بغداد ، (بغداد — ٢٠٠٤م) .

* **الغريري ، وسن حسين محيميد .**

٧- أهل الذمة في العصر العباسي دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية للبنات — جامعة بغداد ، (بغداد — ٢٠٠٢م) .

* **المشهداني ، أركان طه .**

٨- الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية في القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية — الجامعة المستنصرية ، (بغداد — ٢٠٠١م) .

* **المشهداني ، أنيسة مُحَمَّد جاسم .**

٩- رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ١٣٢-٣٣٤هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، (بغداد — ٢٠٠٤م).

* **الموسوي ، مهدية فيصل صالح شافي .**

١٠- معارف العرب قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، (الفلك والطب والرياضيات)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس عمادة كلية التربية ابن رشد — جامعة بغداد ، (بغداد — ٢٠٠٢م) .